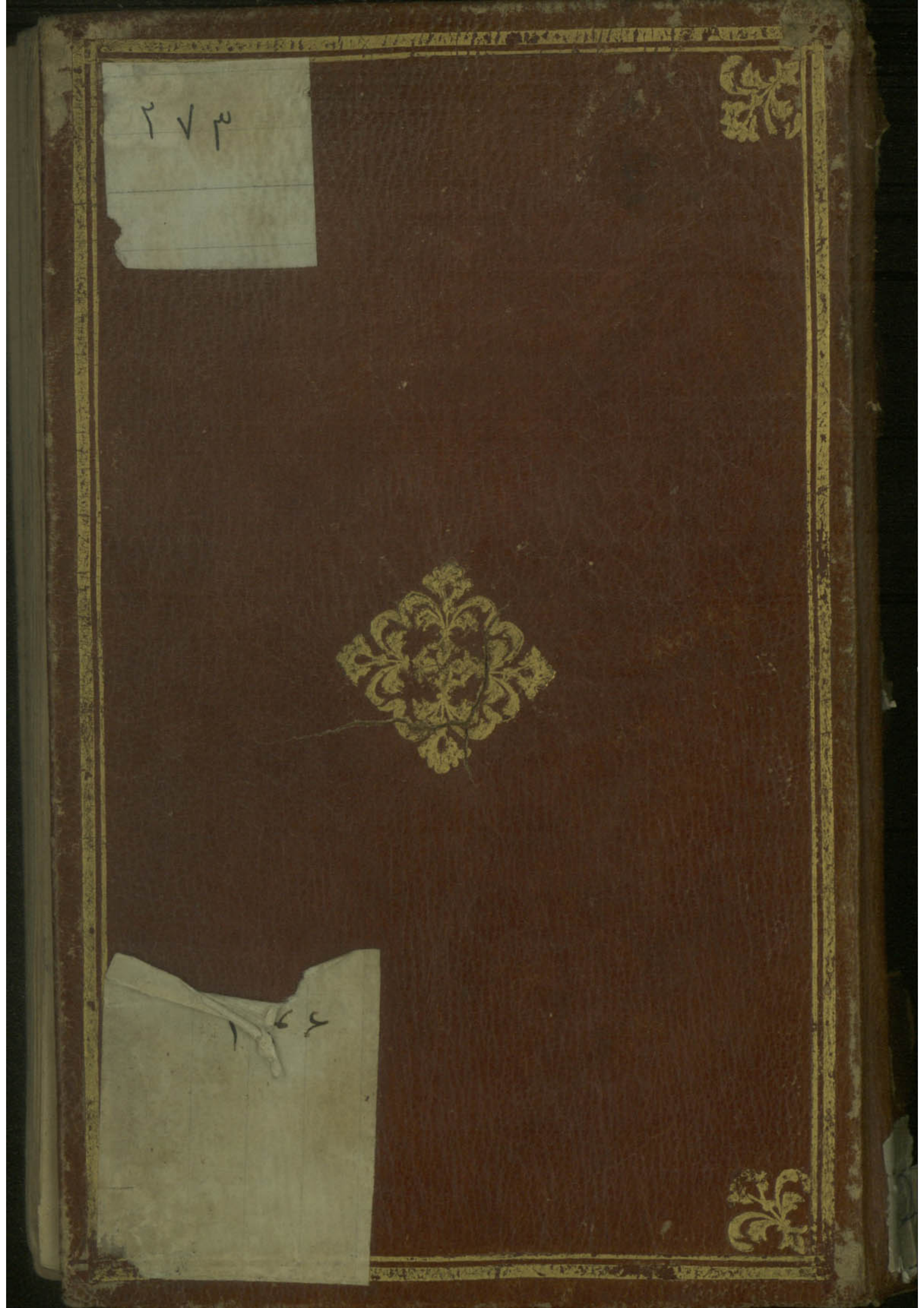
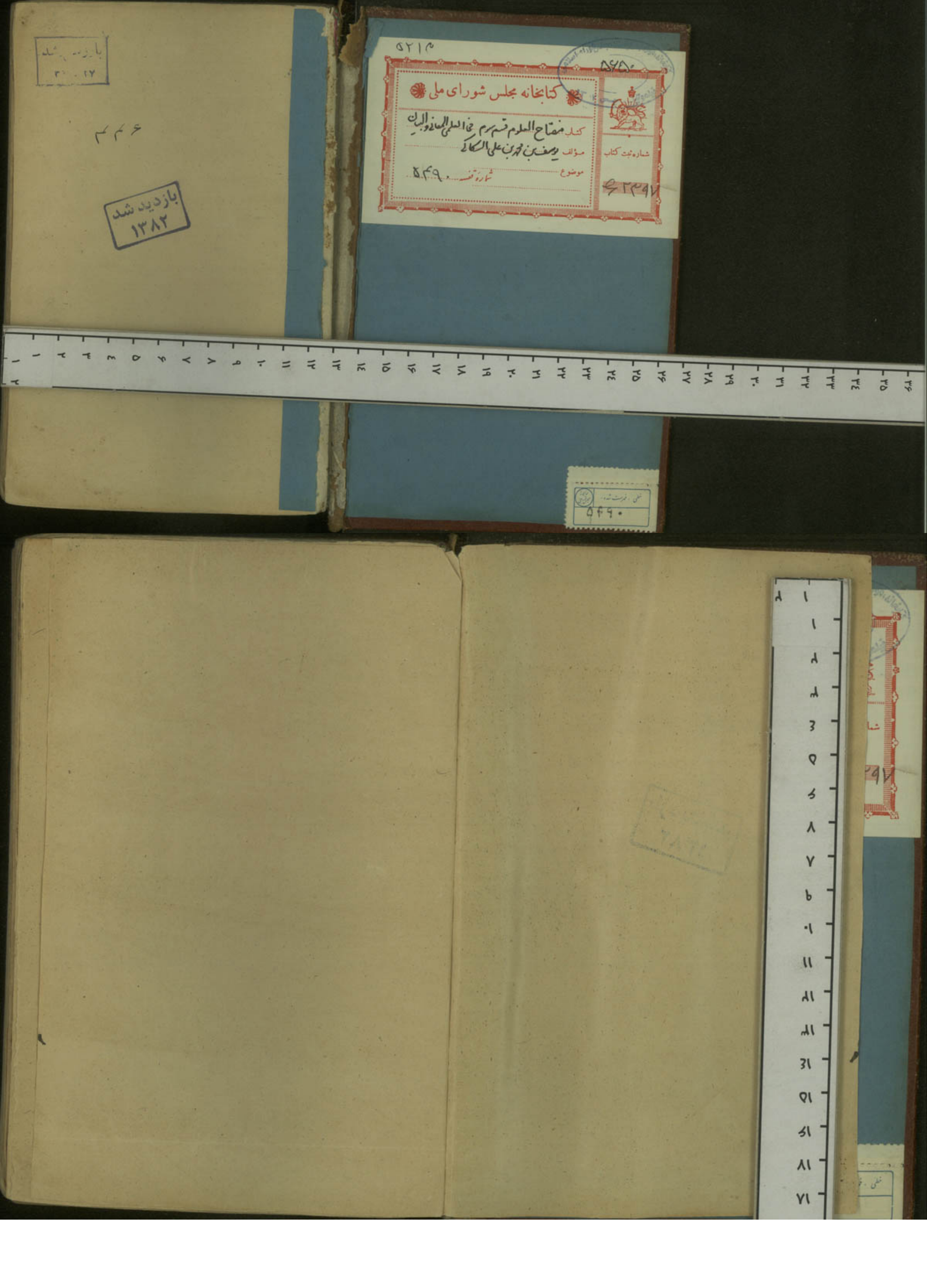
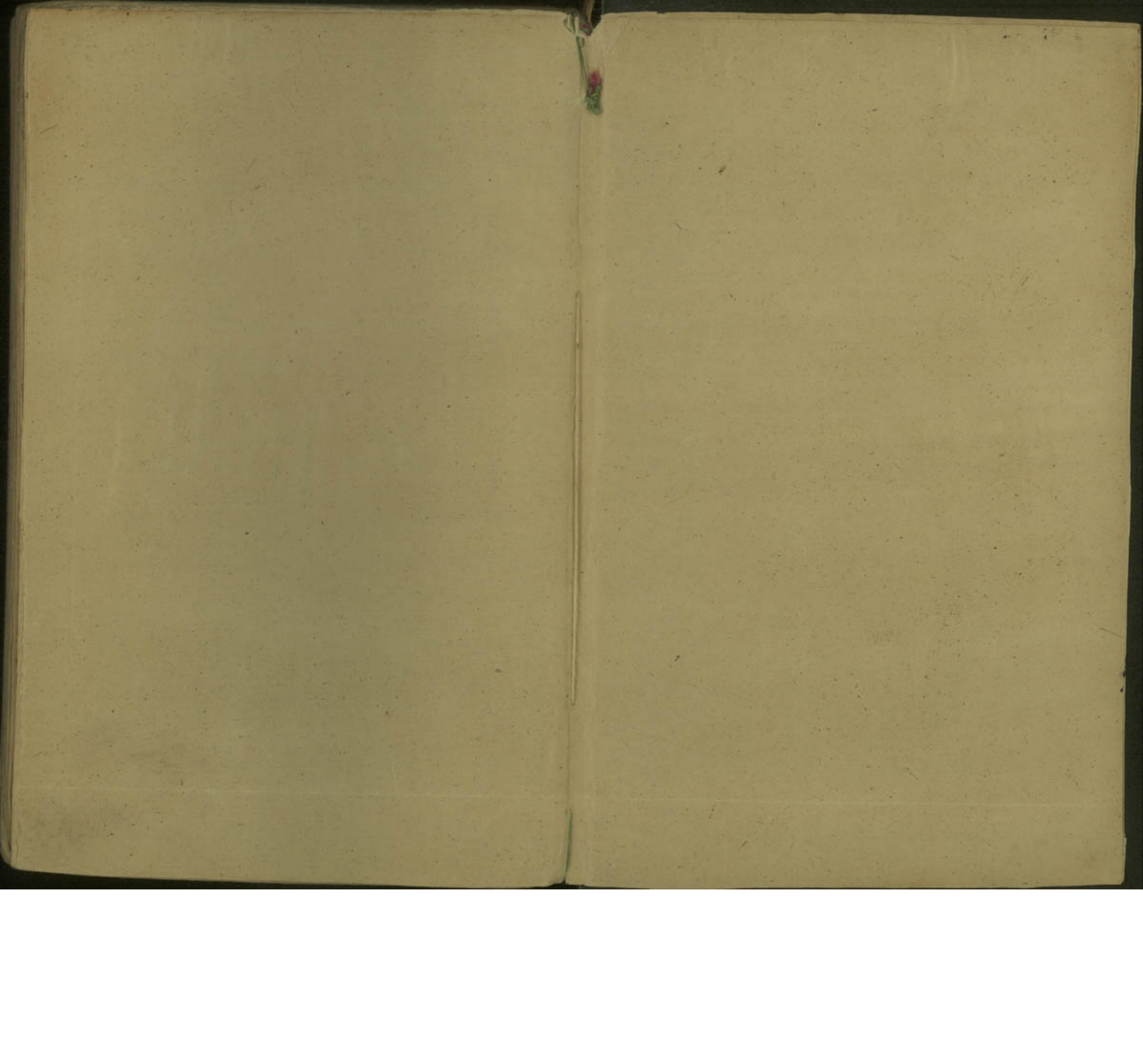
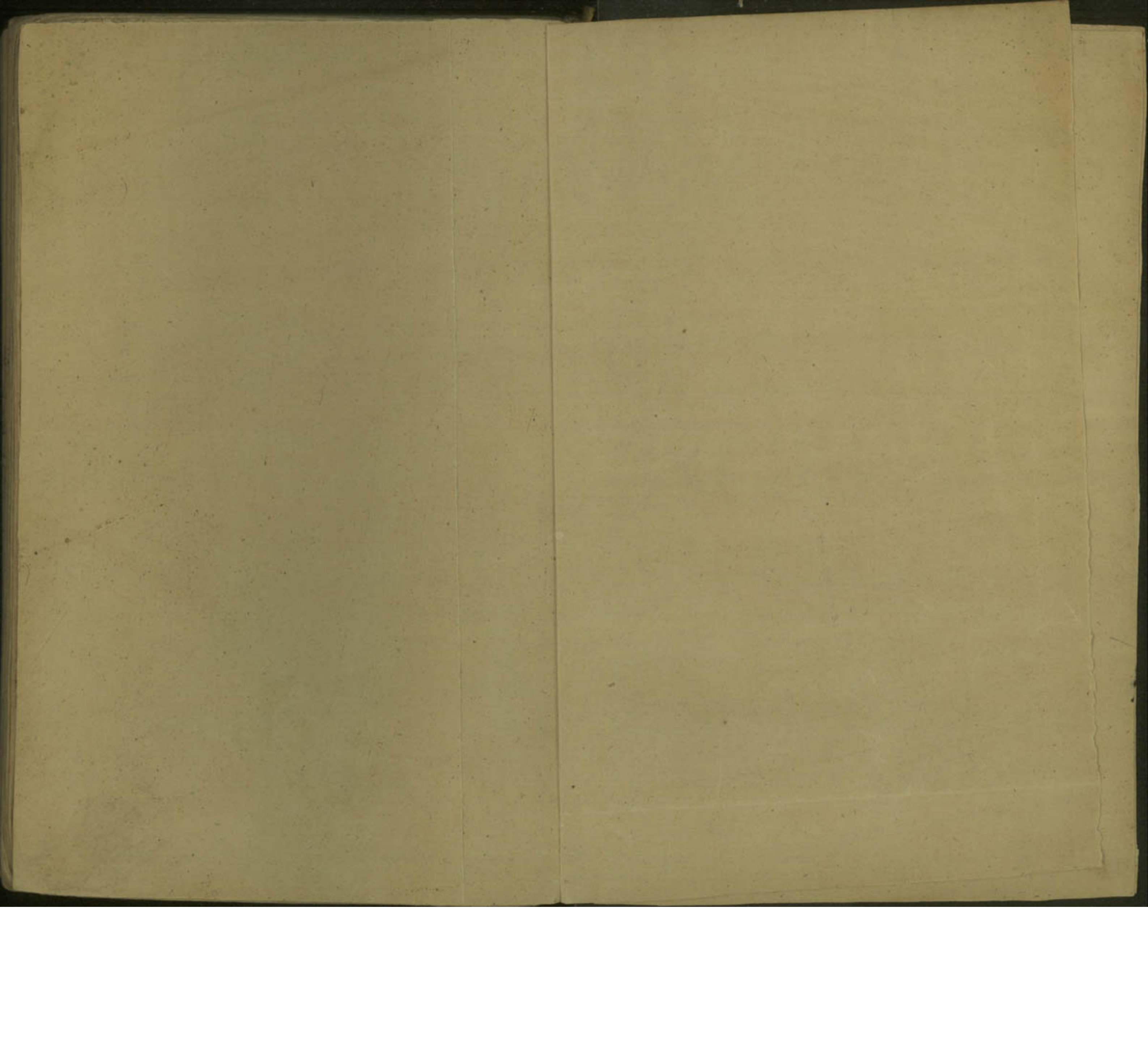
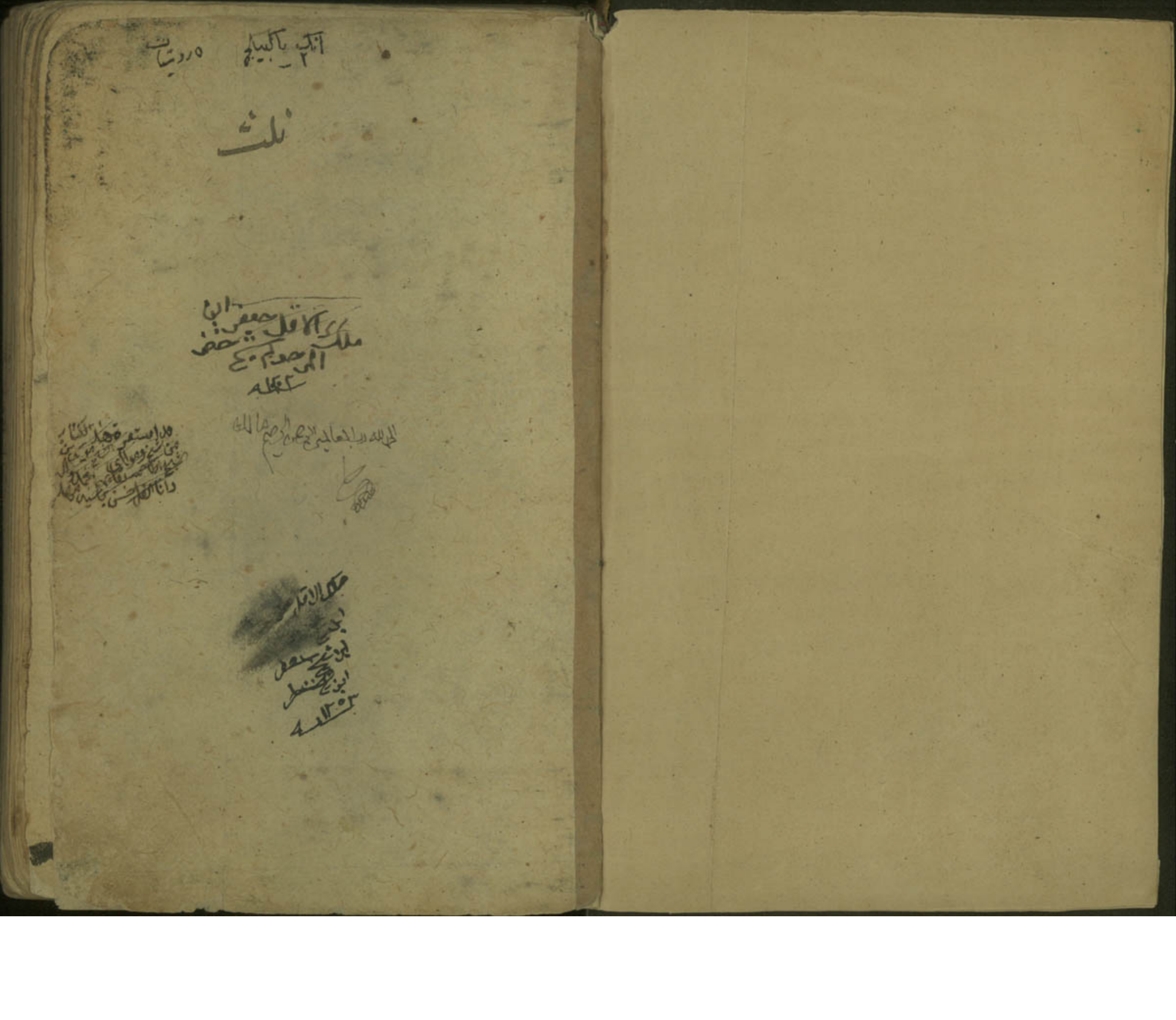
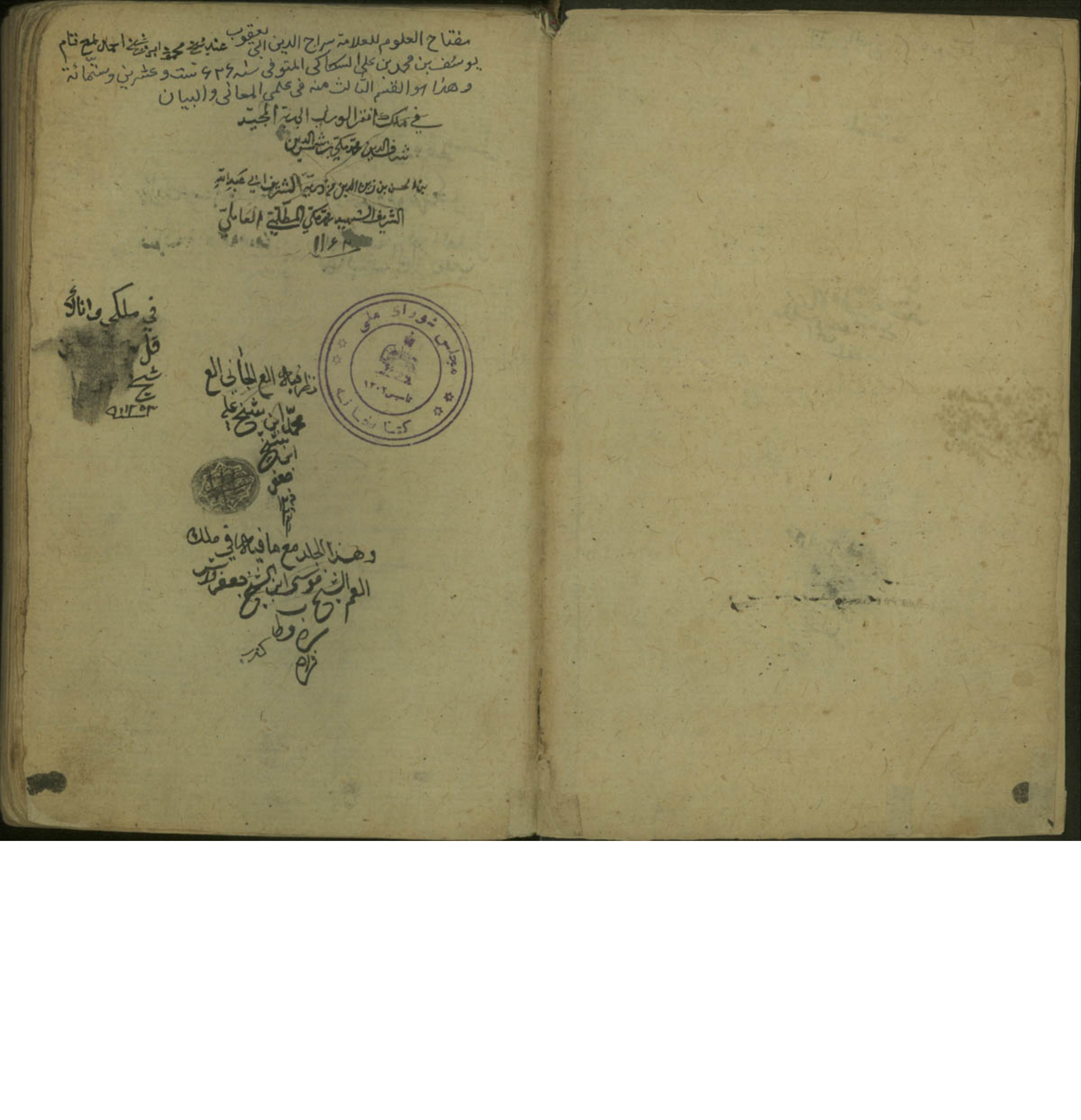

٢٧٣


کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب مفتاح العلوم قسم سوم فی علمی المعانی والبیان
مؤلف یوسف بن محمد بن علی السکاکی
موضوع
شماره ثبت کتاب
بازدید شد
۱۳۸۲



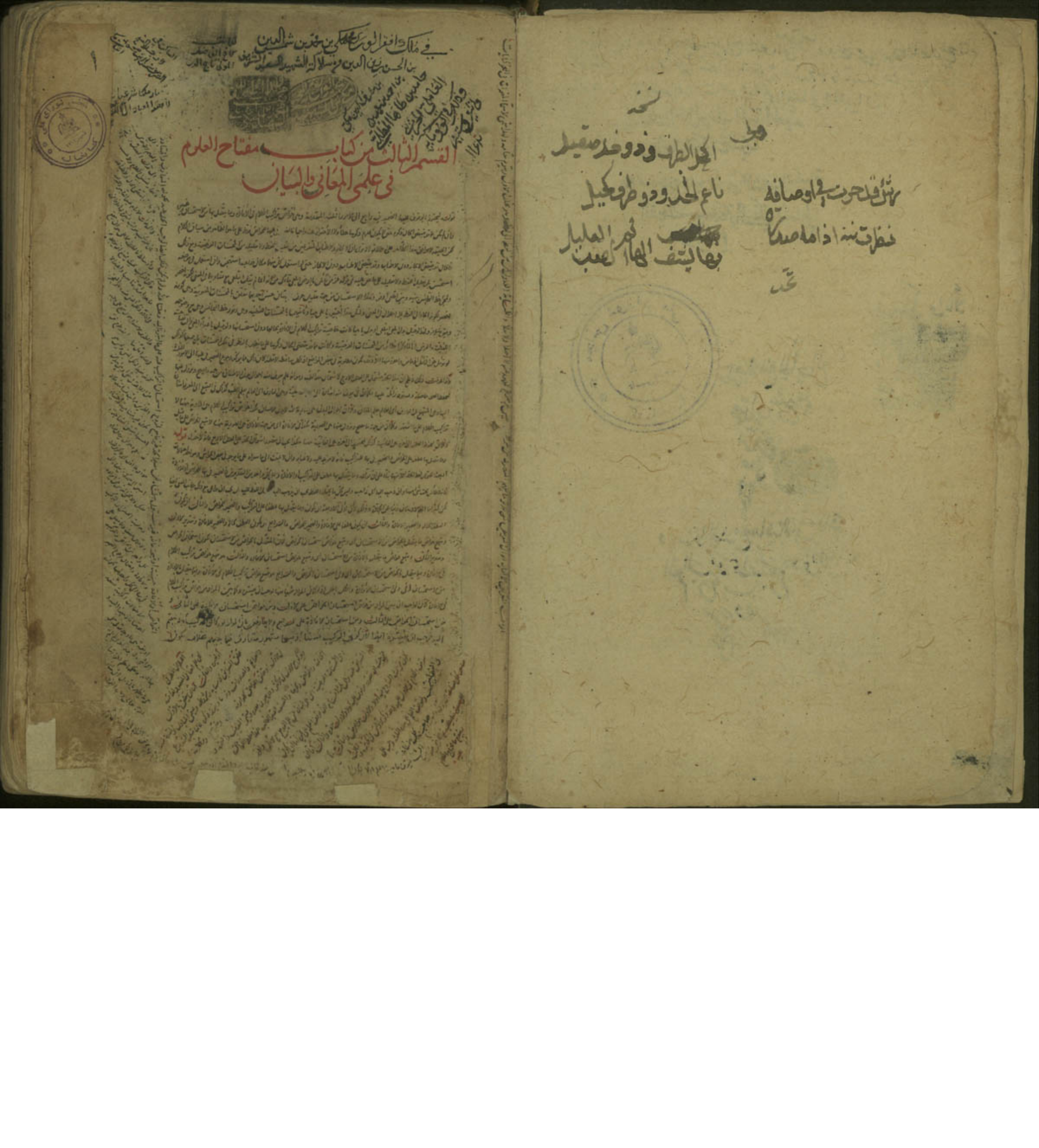





مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين ابي يعقوب
يوسف بن محمد بن علي السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ ست وعشرين وستمائة
وهذا هو القسم الثالث منه في علمي المعاني والبيان

في مملكة افقر الورى الى الله المجيد
شرف الدين محمد مكي بن شمس الدين

الشريف الشهيد محمد مكي المطلبي العاملي
١١٦٣



القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم
في علمي المعاني والبيان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان وفيه مقدمة لبيان حد كل من العلمين والغرض فيهما وفصلان لضبط معاقدهما والكلام فيهما

المقدمة اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطاء في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تميز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو أو لازما له لما هو هو حينا وأعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب إن زيدا منطلق إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصودا به نفي الشك أو رد الإنكار أو من تركيب زيد منطلق من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو منطلق بترك المسند إليه
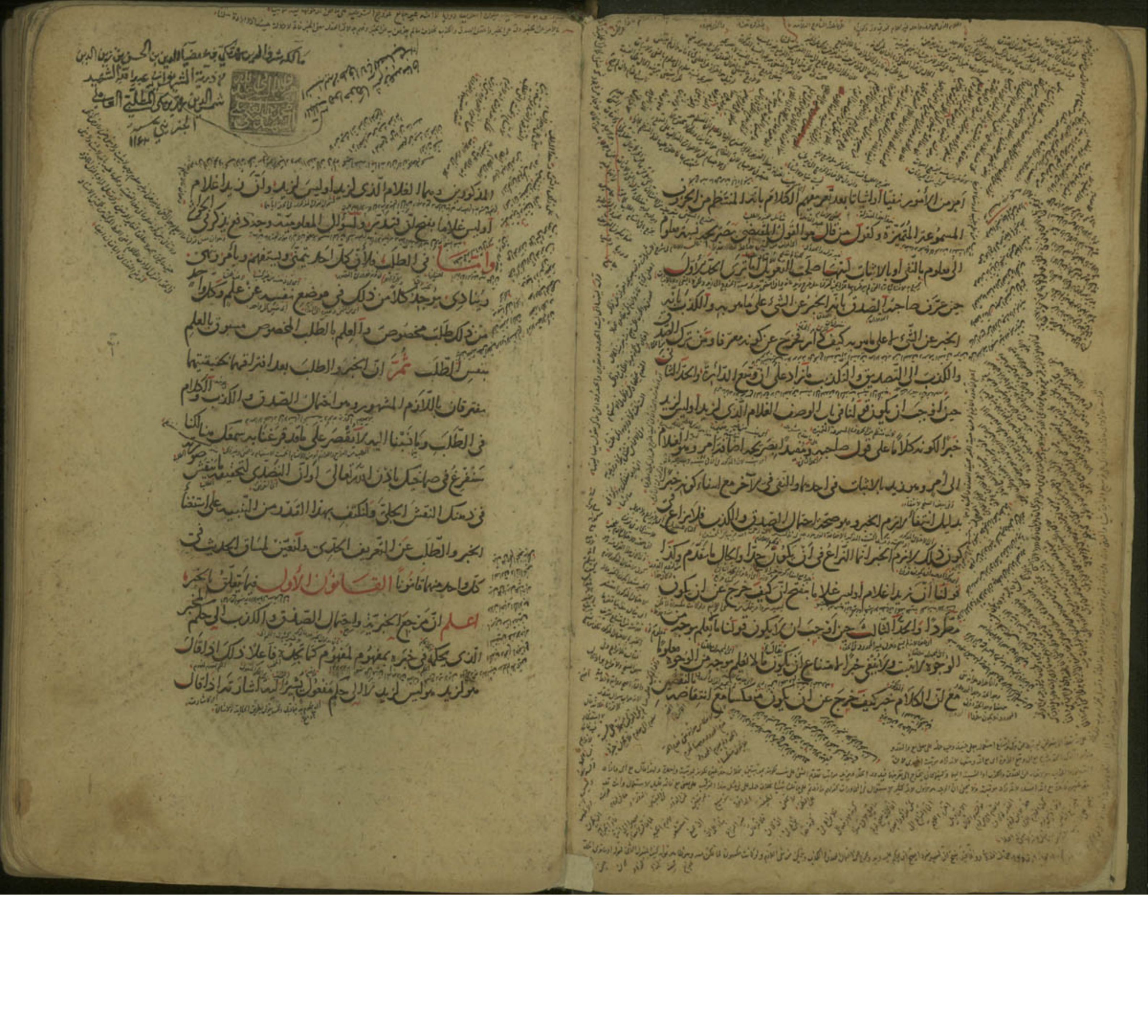
من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها وكذا إذا لفظ بالمسند إليه وهكذا إذا عرف أو نكر أو قيد أو أطلق أو قدم أو أخر على ما يطلعك على جميع ذلك شيئا فشيئا مساق الكلام في العلمين بإذن الله تعالى وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطاء في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره

الفصل الأول

في ضبط معاقد علم المعاني والكلام فيه اعلم أن مساق الكلام يستدعي تمهيد أصل وهو أن مقتضى الحال عند المتكلم يتفاوت كما ستقف عليه إذا أفضت النوبة إلى التعرض له من هذا الكتاب بإذن الله تعالى فتارة تقتضي ما لا ينتقر في تأديته إلى أزيد من دلالات وضعية

والفاظ كيف كانت ونظم لها الحد لا التاليف بهما تخرجا عن حكم النعيق
وهو الذي سميناه في علم النحو اصل المعنى وتركناه ههنا منزلة اصوات
الحيوانات والاخرى تقتضي ما نفتقر في تأديته الى المزيد وظاهر ان الخطأ
الذي نحن بصدده لا يجامع في الاول اذ في التمييز فضلا ان يقع فيه من العاقل
المتفطن وانما مثار الخطأ هو الثاني وان اختلج في وهمك ان الاحتراز
عن الخطأ في الثاني ان لم يتوقف على علم المعاني استغنى عنه وان توقف
عليه ولا شبهة في ان الكلام فيه كلام من القبيل الثاني فيتوقف تعريفه
على تعريف له سابق ويتسلسل او يدور فاستوضح ما اجبنا به عن تعلم
علم الاستدلال وعلم العروض اي قيل ان كان العقل او الطبع يكفي
في البابين فليستغن عن تعليمهما والا كان تعليمهما موقوفا على تعليم سابق من
والمآل اما الدور او التسلسل وسنتلو عليك هذين العلمين في سلك [illegible]
لهذا اذا جاء وقته باذن الله تعالى واذ قد عرفت هذا فنقول
ان التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه
ضرورة لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة فيجب المصير
الى ايراد ما يحب الضبط بتعيين ما هو الاصل لها وسابق في الاعتبار ثم حمل

ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق والسابق في الاعتبار
في كلام العرب شيئان الخبر والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الابواب
الخمسة التي يأتيك ذكرها وما سوى ذلك نتائج امتناع اجراء الكلام على
الاصل وعساك فيما نرى ان تتجه عيناك الى ان لا ذاك الخليقة وان
كشف القناع عنه وجدت من شكل الشأن بخلافه فلنعينهما اعني
الخبر والطلب لافتتاح الحديث بالكلام فيهما والله المستعان اعلم
ان العقلاء بشأنهما فرقتان فرقة تحوجهما الى التعريف وفرقة تغنيهما
عن ذلك واختياري قول هؤلاء اما في الخبر فلما ان كل احد من
العقلاء ممن لم يمارس الحدود والرسوم بل الصغار الذين لهم ادنى
تمييز يعرفون الصادق والكاذب بدليل انهم يصدقون ابدا في مقام
التصديق ويكذبون ابدا في مقام التكذيب فلولا انهم عارفون للصادق
والكاذب لما تأتى منهم ذلك لكن العلم بالصادق والكاذب كما تشهد
له عقلك موقوف على العلم بالخبر الصدق والخبر الكذب وهذان الحدود
التي تذكر كقولهم الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب والتصديق
والكذب وكقولهم هو الكلام المفيد بنفسه اضافة امر من الامور الى



أمر من الأمور نفيا أو إثباتا بعد تعرف مفهوم الكلام بأنه المنتظم من الحروف
المسموعة المتميزة وكقول من قال هو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم
إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات لكنها صلحت للتعويل لما ترى الحد الأول
حين عرف صاحبه الصدق بأنه الخبر عن الشيء على ما هو به والكذب بأنه
الخبر عن الشيء لا على ما هو به كيف كان يخرج عن كونه معرفا ومن ترك الصدق
والكذب إلى التصديق والتكذيب ما زاد على أن وسع الدائرة والحد الثاني
حين أوجب أن يكون قولنا في باب الوصف الغلام الذي لزيد أو ليس لزيد
خبرا لكونه كلاما على قول صاحبه ومفيدا بصريحه إضافة أمر وهو الغلام
إلى أمر وهو زيد بالإثبات في أحدهما والنفي في الآخر مع امتناع كونه خبرا في
بدليل امتناع لازم الخبر وهو صحة احتمال الصدق والكذب فلا نزاع في
كون ذلك لازم الخبر إنما النزاع في أن يكون حدا والحال ما تقدم وكذا
قولنا أن زيدا غلام أو ليس غلاما بمنع أنه كيف خرج عن أن يكون
مطردا والحد الثالث حين أوجب أن لا يكون قولنا ما يعلم بوجه من
الوجوه لا يثبت ولا ينفى خبرا لامتناع أن يكون ما لا يعلم بوجه من الوجوه معلوما
مع أن الكلام خبر كيف خرج عن أن يكون منعكسا مع انتقاضه بالنقيضين

المذكورين ونحو الغلام الذي لزيد أو ليس لزيد وأن زيدا غلام
أو ليس غلاما بنحو لن تقدر ولسؤال المعلومية وجه دفع يذكر في الحكمي
وأما في الطلب فلأن كل أحد يتمنى ويستفهم ويأمر وينهى
وينادي ويجد كلا من ذلك في موضعه بنفسه عن علم وكل واحد
من ذلك طلب مخصوص والعلم بالطلب المخصوص مسبوق بالعلم
بنفس الطلب ثم إن الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما
مفترقان باللازم المشهور وهو احتمال الصدق والكذب والكلام
في الطلب وما ينبنا إليه لا يقتصر على ما قد فرغنا به فسنعلم منا لكنا
سنفرغ في صاحبك بإذن الله تعالى أو أن التصدي لتحقيق ما ينقش
في ذهنك النقش الجلي ولنكتف بهذا القدر من التنبيه على استغنا
الخبر والطلب عن التعريف الحدي ولنعين لسياق الحديث في
كل واحد منهما قانونا **القانون الأول** فيما يتعلق بالخبر
اعلم أن مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب إلى حكم المخبر
الذي يحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم كما تجده فاعلا ذلك إذا قال
هو لزيد هو ليس لزيد لا إلى ما هو مفعول يشير إليه إشارة إذا قال

الذي هو زيد او ليس لزيد فان قعد صلة للموصول الذي من حقه
ان تكون صلته قبل الاخبار بها معلومة للمخاطب او اذا قال انه زيد
بفتح ان فنقل الحكم بثبوت الزيدية للضمير الى جعله مصدرا للمشار
اليه بحكم لدلالته اذا قال حتى انه زيد او قال الذي ادعيه انه زيد
فاما النسبة في كون الخبر محتملا للصدق والكذب فهو امكان تحقق
ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث انه حكم مخبر ومرجع كون الخبر
مفيدا للمخاطب الى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة
الخبر كقولك زيد عالم لمن ليس واقفا على ذلك او استفادته منه انك تعلم
ذلك الحكم كقولك لمن حفظ التورية قد حفظت التورية ويسمى هذا
لازم فائدة الخبر والاولى بدون هذه تمتنع وهذه بدون الاولى لا تمتنع
كما هو حكم اللازم المجهول المساواة ومرجع كونه صدقا او كذبا عند الجمهور
الى مطابقة ذلك الحكم للواقع او غير مطابقته له وهو المتعارف
وعليه التعويل وعند بعض الى طباق الحكم لاعتقاد المخبر او ظنه
والى لا طباقه لذلك سواء كان ذلك الاعتقاد والظن خطا
او صوابا بناء على دعوى تبرؤ المخبر عن الكذب متى ظهر خبره

خلاف الواقع واحتجاجه لها بان لم يتكلم بخلاف الاعتقاد او الظن
لكن تكذيبنا لليهودي مثلا اذا قال الاسلام باطل او تصديقنا
له اذا قال الاسلام حق ينحجان بالقطع على هذا البناء ويستوجبان
طلب تاويل لقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهو
حمل قول المنافقين على كونه مقرونا بانه قول عن صميم القلب كما يترجم
عنه ان واللام وكون الجملة اسمية في قولهم لارباب البلاغة وبيانك
تعرض لهذه الاية واذ قد عرفت ان الخبر يرجع الى الحكم بمفهوم
لمفهوم وهو الذي نسميه الاسناد الخبري كقولنا شيء ثابت شيء ليس ثابتا
فانت في الاول تحكم بالثبوت للشيء وفي الثاني باللاثبوت للشيء عرفت
ان فنون الاعتبارات الراجعة الى الخبر لا تزيد على ثلثة فن يرجع الى
الحكم وفن يرجع الى المحكوم له وهو المسند اليه وفن يرجع الى المحكوم به
وهو المسند اما الاعتبار الراجع الى الحكم في التركيب من حيث
هو حكم من غير التعرض لكونه لغويا او عقليا فان ذلك وظيفة
بيانية فلكون التركيب تارة غير مكرر ومجردا عن لام الابتداء وان

فكقوله

المشبهة والقسم ولام الابتدا ونوني التاكيد كنحو زيد عارف واخرى كذا
او غير مجرد كنحو عرفت عرفت ولزيد عارف ولتقومن زيد لعارف
وان زيدا لعارف ووالله لقد عرفت او لاعرفن في الاثبات و
في النفي كون التركيب غير مكرر ومقصورا على كلمة النفي مرة نحو
ليس زيد منطلقا ليس زيد منطلقا وغير مقصور على كلمة النفي
كنحو ليس زيد بمنطلق وما ان يقوم زيد ووالله ما زيد قائما فهذه
ترجع الى نفس الاسناد الخبري واما لاعتبار الراجع الى المسند اليه
في التركيب من حيث هو مسند اليه من غير التعرض لكونه حقيقة
او مجازا فلكونه محذوفا كقولك عارف ولست تريد زيد عارف
او ثابتا معرفا من احد المعارف وتعرفها مصحوبا بشيء من التوابع
او غير مصحوب مقرونا بفصل او غير مقرون او منكرا مخصوصا
او غير مخصوص متقدما على المسند او مؤخرا عنه واما لاعتبار
الراجع الى المسند من حيث هو مسند ايضا فلكونه متروكا او غير
متروك وكونه مفردا او جملة وفي افراده من كونه فعلا او اسما
منكرا او معرفا مقيدا كل من ذلك بنوع قيد او غير مقيد وفي كونه

جملة من كونها اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية وكونه متقدما او مؤخرا
هذا اذا كانت الجملة الخبرية مفردة واما اذا انتظمت مع اخرى فمع
ذلك اعتبارات سوى ما ذكرت رابع ولا يتضح الكلام في جميع ذلك
اتضاحه الا بالتعرض لمقتضى الحال فبالحري ان لا نخله نظرا فنقول
والله الموفق للصواب لا يخفى عليك ان مقامات الكلام متفاوتة
فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنية يباين مقام التعزية
ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب
ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام
مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير
مقتضى الآخر ثم اذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام
ولكل حد ينتهي اليه الكلام مقام وارتفاع شان الكلام في باب الحسن
والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة المقام لما يليق به وهو
الذي نسميه مقتضى الحال فان كان مقتضى الحال اطلاق الحكم فحسن
الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم وان كان مقتضى الحال بخلاف ذلك
فحسن الكلام تحليته بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة وان

كان مقتضى الحال طي ذكر المسند اليه فحسن الكلام تركه وان كان المقتضى اثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب وكذا ان كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره وان كان المقتضى اثباته مخصصا بشى من التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجه المناسب من الاعتبارات المقدم ذكرها وكذا اذا كان المقتضى عند انتظام الجملة مع اخرى فصلها او وصلها والايجاز معها او الاطناب اعنى طى جمل عن البين ولا طيها فحسن الكلام تاليفه مطابقا لذلك وما ذكرنا حديث اجمالى لا بد من تفصيله فاستمع لما يتلى عليك باذن الله تعالى وقد رتب الكلام هنا كما ترى على فنون اربعة **الفن الاول** فى تفصيل اعتبارات الاسناد الخبرى **الفن الثانى** فى تفصيل اعتبارات المسند اليه **الفن الثالث** فى تفصيل اعتبارات المسند **الفن الرابع** فى تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والايجاز والاطناب وقبل ان نخوض فى هذه الفنون لا بد من التنبيه على اصل لتكون على ذكر منه وهو ان ليس من الواجب فى صناعة وان كان المرجع فى اصولها وتفاريعها الى مجرد العقل

ان يكون الدخيل فيها كالناشى عليها فى استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات الفية فلا باس على الدخيل فى صناعة علم المعانى ان يقلد صاحبها فى بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق وكان شيخنا الحاتمى ذلك الامام الذى لن تسمح بمثله الادوار ما دار الفلك الدوار تغمده الله بغفرانه يحيلنا بحسن كثير من مستحسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن نبغ فى عدة شعب من علم الادب وصنع بها يده وعانى فيها ما عانى وكذا هو الامام عبد القاهر قدس الله روحه فى دلائل الاعجاز كم يعيد هذا

الفن الاول من المعلوم ان حكم العقل حال اطلاق اللسان هو ان يفرغ المتكلم فى قالب الافادة ما ينطق به متحاشيا عن وصمة اللاغية فاذا اندفع فى الكلام مخبرا لزم ان يكون قصده فى حكمه بالمسند للمسند اليه فى خبره ذاك افادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار فاذا القى الجملة الخبرية الى من هو خالى الذهن عما يلقى اليه ليحضر طرفاها عنده وينتقش فى ذهنه استناد احدهما الى الاخر

ثبوتاً او انتفاءً كفى في ذلك الانتقاش حكمه وتمكن لمصادفته اياه خالياً
اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبي خالياً فتمكنا
فيستغني الجملة عن مؤكدات الحكم ويسمى هذا النوع من الخبر
ابتدائياً واذا القاها الى طالب لها متحير طرفاها عنده دون
الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية
المنقذ بادخال اللام في الجملة او ان نحو لزيد عارف او ان زيداً
عارف ويسمى هذا النوع من الخبر طلبياً واذا القاها الى حاكم فيها
بخلافه ليرده الى حكم نفسه استوجب حكمه ليترجح تاكيداً بحسب ما
اشرب المخالف الانكار في اعتقاده كقولك اني صادق لمن ينكر صدقك
انكاراً واني لصادق لمن بالغ في انكار صدقك ووالله اني
لصادق على هذا وان شئت فتامل كلام رب العزة علت كلمته
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون حيث قال اولاً انا اليكم مرسلون
وقال ثانياً انا اليكم لمرسلون كيف يقرر ما القي اليك ويسمى هذا النوع

من الخبر انكارياً واخراج الكلام في هذه الاحوال على الوجه المذكور يسمى
اخراجاً على مقتضى الظاهر وانه في علم البيان يسمى بالتصريح كما تسمع عليه
والذي اريناك اذا اعملت فيه البصيرة استوثقت من جواب ابي العباس
للكندي حين ساله قائلاً اني اجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله
قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم والمعنى
واحد وذلك ان قال بل المعاني مختلفة فقولهم عبد الله قائم اخبار
عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم
ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه هذا ثم انك ترى
المفلقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا على مقتضى الظاهر
كثيراً وذلك اذا احلوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية وبلازم فائدتها
علماً محل الخالي الذهن عن ذلك لاعتبارات خطابية مرجعها تجهيله
من وجوه مختلفة وان شئت فعليك بكلام رب العزة ولقد علموا لمن
اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون
كيف تجد صدره يصف اهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي وآخره
ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم ونظيره في النفي والاثبات

وما رميت إذ رميت وقوله وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم فيسوقون الكلام إلى
هذا مساقه إلى ذاك ويسلكونه بحيث يكون من يكون بالمقام
بمثال فلا يميزون في صياغة التركيب الكلام بينهما وإنما يصبّونهما
في قالب واحد إذا كانوا قدموا إليه ما يلوح مثله للنفس ليتعطش بحكم
ذلك الخبر فيتركها مستشرفة له استشراف الطالب المتحير بتمثيل بين
الإقدام للتلويح والإحجام لعدم التصريح فيخرجون الجملة إليه مصدرة
بإنّ ويرون سلوك هذا الأسلوب في أمثال هذه المقامات من كمال
البلاغة وإصابة المحز أوما ترى بشاراً كيف سلك في رائيته

بكّرا صاحبيّ قبل الهجير إنّ ذاك النجاح في التبكير

حين استهواه التشبه بأئمة صناعة البلاغة المهتدين بفطرتهم
إلى تطبيق مفاصلها وهم الأعراب الخلّص من كل حارش يربوع
ومضت لمقاه في بلاغة مضغ الهناء مواضع النقب دون المولدين الذين
قصارى أمرهم في مضمار البلاغة أول الأشياء إذا استفرغوا مجهودهم
لا قد أنباؤك من شواهد الحق فيه شهادة غير مردودة

رواية الأصمعي من قبيل خلف الأحمر عن بشار بحضرة أبي عمرو بن العلاء
حين استنشده القصيدة هذه على ما روى الأصمعي من أن خلفاً قال
لبشار بعد ما أنشد القصيدة لو قلت يا أبا معاذ مكان إنّ ذاك النجاح
بكّرا فالنجاح في التبكير كان أحسن فقال بشار إنما قلتها يعني قصيدة أعرابية
وحشية فقلت إنّ ذاك النجاح في التبكير كما تقول الأعراب البدويون
ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام
ولا يدخل في معنى القصيدة فقام وقبّل فهل يحوي ما جرى بين بشار وخلف
وهما من فحول هذا النوع ومن المهرة المتقنين والسحرة الموخلين إلا أشجع
بحقيقة ما أنت منه على بينة وقل لي مثل بشار وقد تعهد أن يتدبر
شكان مهاني الريح من كل ماضغ قيصوم وشيح إذا خاطب بكراً محرضا
صاحبيه على التشمير عن ساق الجد في شأن السفار أقرّ أو استنصرهما أحاس
حول بلسل التبكير بمر النجاح متجانف عن التوكيد ولا سلفائهما بأن هيهات
نظيره فقدينهاديني الكل ابتداء إن غناء الإبل الحداء
ونحو الذي في التنزيل ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون وكذا وما أبرئ
نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وكذا وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم

وكذا يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم وأمثال ذلك
كثيرة وإذا صادفت الرسالة بحيرة قبلك ووقفت على ما سيأتيك في
الفن الرابع أعثرك في باب التبديل لتركيبات الجمل الخبرية في نحو اعبد
ربك إن العبادة حق له واعبد ربك فالعبادة حق له واعبد ربك العبادة
حق له على تفاوتها هناك واجعلن منه بسبيل فضل الأولى على الثانية
بحسب المقام ورد آخرها تارة والحكم العالي أخرى وكنت الحاكم الفيصل
بإذن الله تعالى وكذلك قد ينزلون منزلة المنكر من لا يكون إياه إذا رأوا
عليه شيئا من ملابس الإنكار فيجعلونه حين إلقاء الكلام لهما على منوال المنكر كقولك
لمن يتصدى لمقاومتك ومكاوحة أمر غير متدبر مغترا بما كذبته النفس من سولة
يا أيها أن لهالك مكابد حالك ومن هذا الأسلوب قوله
جاء شقيق عارضا رمحه إن بني عمك فيهم رماح فيقولون
ويقلبون هذه القضية مع المنكر إذا كان معه ما إذا تأمله ارتدع
لمنكر الإسلام الإسلام حق وقوله جل وعلا في حق القرآن لا ريب فيه
وكم من شقي مرتاب فيه وارد على ذا وهذا النوع أعني نفث الكلام
لا على مقتضى الظاهر متى وقع عند النظار موقعه استهش الأنفس وآنق

الأسماع وهز القرائح ونشط الأذهان ولأمر ما تجد أرباب البلاغة وفرسان
الطراد في ميدانها الرامية في حدق البيان يستكثرون من هذا الفن في
محاوراتهم وإنه في علم البيان يسمى الكناية ولها أنواع تقف عليها وعلى
وجه حسنها بالتفصيل هناك بإذن الله تعالى وإن هذا الفن
لا يلين عريكته ولا ينقاد قرونته بمجرد استقراء صور منه وتتبع
مظان أخوات لها وإتعاب النفس بتكرارها واستيداع الخاطر
حفظها وتحصيلها بل لا بد من ممارسات لها كثيرة ومراجعات فيها
طويلة مع فضل إلهي من سلامة فطرة واستقامة طبيعة وشدة
ذكاء وصفاء قريحة وعقل وافر ومن أتقن الكلام في اعتبارات الإثبات
وقف على اعتبارات النفي واعلم أنك إذا حققت في هذا الفن
لصدق همتك واستفراغ جهدك فيه وبالحري أن ملك التسلق به
إلى العثور على التسبب في إنزال رب العزة فرقانه المجيد على هذه المناهج
إن شاء الله تعالى

الفن الثاني

لما تقرر أن مدار حسن الكلام
وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال وعلى لا انطباقه وجب
عليك أيها الحريص على ازدياد فضلك المنتصب لاقتداح زناد عقلك

المتخصص عن تفاصيل المزايا التي بها يقع التفاضل ويتفاوت بين
البلغاء في شأنها التسابق والتناضل ان ترجع الى فكرك الصائب وذهنك
الثاقب وخاطرك المتيقظ وانتباهك العجيب الشأن ناظرا بنور عقلك
وعين بصيرتك في التصفح لمقتضيات الاحوال في ايراد المسند اليه على
كيفيات مختلفة وصور متنافية حتى يتأتى بروزه عندك لكل منزلة في
معرضها فهو الرهان الذي يجرب به الجياد والنضال الذي يعرف به الايدي
الشداد فتعرف ان ثمة حالا يقتضي طي ذكره وان ثمة حالا يقتضي خلاف ذلك وان ثمة
حالا يقتضي تعريفه مضمرا او علما او موصولا او اسم اشارة او معرفا باللام
او بالاضافة وان ثمة حالا يقتضي تعقيبه بشيء من التوابع الخمسة والفصل
وان ثمة حالا يقتضي تنكيره وان ثمة حالا يقتضي تقديمه على المسند وان ثمة حالا
يقتضي تاخيره عنه وان ثمة حالا يقتضي تخصيصه او اطلاقه وحال التنكير
وان ثمة حالا يقتضي قصره على الخبر اما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند اليه
فهي اذا كان السامع مستحضرا له عارفا منك القصد اليه عند ذكر المسند
والترك راجع اما لضيق المقام واما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر
واما لتخييل ان في تركه تعويلا على شهادة العقل وفي ذكره تعويلا

على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين واما لايهام
ان في تركه تطهيرا للسان عنه او تطهيرا له عن لسانك واما للقصد
الى عدم التصريح ليكون لك سبيل الى الانكار ان مست اليه حاجة واما
لان الخبر لا يصلح الا له حقيقة كقولك خالق لما يشاء فاعل لما يريد او ادعاء
واما لان الاستعمال وارد على تركه او ترك نظائره كقولهم نعم الرجل
زيد على قول من يرى اصل الكلام نعم الرجل هو زيد واما لاغراض
سوى ما ذكر مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات لا يهتدي الى امثالها
الا العقل السليم والطبع المستقيم وقلما ملك الحكم هناك شيء غيرهما
فراجعهما في مثل قوله
قال لي كيف انت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل
كيف تجد الحكم اذا قلت انا عليل وفي مثل قوله حين شكا ابن عمه
ولطمه فانشأ يقول
سريع الى ابن العم يلطم وجهه ... وليس الى داعي الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع
حيث لم يقل هو سريع وفي مثل قوله

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

إذ لم يقل هو فتى ومن مثل قوله

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

حين لم يقل هم نجوم سماء وقوله عز وجل سورة أنزلناها إذ لم يقل
هذه سورة أنزلناها وقوله تعالى وما أدراك ما هيه نار حامية ولم يقل هي نار
حامية وقوله فصبر جميل وقوله طاعة معروفة على أحد الاعتبارين
فيهما وهو فأمري صبر جميل أو أمركم أو الذي يطلب منكم أو طاعتكم طاعة
معروفة بحسب تفسير المعروفة وأما الحالة التي تقتضي إثباته فهي
أن يكون الخبر عام النسبة إلى كل مسند إليه والمراد تخصيصه بمعين
كقولك زيد جاء وعمرو ذهب وخالد في الدار وقوله

الله أنجح ما طلبت به ... والبر خير حقيبة الرحل وقوله

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

أو يذكر احتياطا في إحضاره في ذهن السامع لقلة الاعتماد بالقرائن

أو التنبيه على غباوة السامع أو لزيادة الإيضاح والتقرير أو لأن
في ذكره تعظيما للمذكور أو إهانة له كما يكون في بعض الأسامي والمقام
مقام ذلك أو يذكر تبركا به واستلذاذا له كما يقول الموحد الله خالق
كل شيء ورازق كل حي أو لأن إصغاء السامع مطلوب فيبسط الكلام
افتراصا لبسط موسى عليه السلام إذ قيل له وما تلك بيمينك وكان تم
الجواب بمجرد أن يقول عصا ثم ذكر المسند إليه وزاد فقال
هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى و
نظيره في البسط نعبد أصناما فنظل لها عاكفين وقد بسطوا الكلام
ابتهاجا منهم بعبادة الأصنام وافتخارا بمواظبتها منحرفين عن الجواب
المطابق المختصر وهو أصناما أو لأن الأصل في المسند إليه هو كونه
مذكورا أو أجرى مجرى المجرى وأما الحالة التي تقتضي تعريفه
فهي إذا كان المقصود من الكلام إفادة السامع فائدة يعتد بها
والسبب في ذلك هو أن فائدة الخبر لما كانت هي الحكم أو لازمه كما عرفت
في أول قانون الخبر ولازم الحكم وهو أنك تعلم الحكم أيضا ولا شبهة أن
احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في تعريفه أقوى ومتى كان

اقرب كانت اضعف وبعد تحقق الحكم بسبب تخصيص المسند اليه
المسند كلما ازداد تخصصا ازداد الحكم بعدا وكلما ازداد عموما ازداد
الحكم قربا وان شئت فاعتبر حال الحكم في قولك شي ما موجود وفي
قولك فلان بن فلان حافظ للتورية والانجيل يتضح لك ما ذكرت
ثم ان تخصيص المسند اليه اما ان يكون لكونه احد اقسام المعرفات
فحسب وهي المضمرات والاعلام والمبهمات اعني الموصولات
واسماء الاشارة والمعرفات باللام والمضافات الى المعارف اضافة
حقيقية مع القيد المذكور في علم النحو او لما زاد على ذلك من كونه
معرفا بشي من التوابع الخمس وللضمير المسمى فصلا واما ان
يكون لا لما ذكر كما ستقف عليه ولكل من ذلك حالة تقتضيه

اما الحالة التي تقتضي كونه مضمرا فهي اذا كان المقام مقام حكاية
كقوله انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا ارد
وقوله انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
وقوله ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
وقوله ونحن بنو عم على ذاك بيننا زرابي فيها بغضة وتنافس

ونحن كصدع العس ان يعط شاعبا يدعه وفيه عيبه متشاخس
او مقام خطاب كقوله
يا ابن الاكارم من عدنان قد علموا وتالد المجد بين العم والخال
انت الذي تنزل الايام منزلها وتمسك الارض من خسف وزلزال
وقوله قد كان قبلك اقوام فجعتهم خلى لنا هلكهم نفعا واضرارا
انت الذي لم تدع سمعا ولا بصرا الا شغلت فامر العيش امرار
وقوله يا ليت التي كالشمس دخل الترك وجون القطا بالكلبتين جثوم
وقولها وانت الذي اخلفتني ما وعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم
وحق الخطاب ان يكون مع مخاطب معين ثم يترك الى غير معين
كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك
فلا تريد مخاطبا بعينه كانك قلت ان اكرم او احسن اليه
ان سوء معاملته لا يختص واحدا دون واحد وانه في القرآن كثير يحمل
قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم على العموم قصدا
الى تفظيع حال المجرمين وانها قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها
البتة فلا يختص رؤيته راء بل كل من يتاتى منه الرؤية فله مدخل



بن هذا الخطاب وكذا اذا شاء السائل او كان المسند اليه في ذهن السامع
لكونه مذكورا او في حكم المذكور لقرائن الاحوال واريد الاشارة اليه
كنحو قوله من البيض الوجوه بني سنان لو انك تستضيء بهم اضاءوا
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
وقوله بيمن ابي اسحق طالت يد العلى وقامت قناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والبر ساحله
وقوله اري الصبر محمودا وعنه مذاهب فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب
هو المهرب المنجي لمن احدقت به مكاره دهر ليس عنهن مهرب
واما الحالة التي تقتضي كونه علما فهي اذا كان المقام مقام
احضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء بطريق يخصه كنحو زيد صديق
لك وعمرو عدو لك وقوله
ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه
وقوله الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرسي باشقر مزبد
قال الله تعالى تبت يدا ابي لهب اي مقام تعظيم او مقام صالح
لذلك كما في الكنى والالقاب المحمودة او اهانة والاسم صالح كالاسم

المذمومة او كناية مثل قوله تبت يدا ابي لهب اي يدا جهنمي او
مقام ايهام انك تستلذه بسمه العلم او تتبرك به او ما شاكل ذلك مما له
مدخل في الاعتبار واما الحالة التي تقتضي كونه موصولا فهي
متى صح احضاره في ذهن السامع بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب
الى مشار اليه واتصل باحضاره بهذا الوجه غرض مثل ان لا يكون
لك منه امر معلوم سواه او لمخاطبك فتقول الذي كان معك امس
لا اعرفه او الذي كان معنا امس رجل عالم فاعرف او الذين
في بلاد الشرق لا اعرفهم او لا تعرفهم او لا نعرفهم او ان تستهجن
التصريح بالاسم او ان تقصد زيادة التقرير كما في قوله جل وعلا
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه والعدول عن التصريح
باب من البلاغة يصار اليه كثيرا وان اورث تطويلا كما يحكى عن شريح
ان رجلا اقر عنده بشيء ثم رجع ينكر فقال له شريح شهد عليك ابن
اخت خالتك آثر شريح للتطويل ليعدل عن التصريح بنسبة الحماقة
الى المنكر لكونه الانكار بعد الاقرار ادخالا للعنق في ربقة الكذب
لا محالة او للتهمة وكذا ما يحكى عندنا ان علي بن اطاة لنادمه امراة

الا من اهل الكوفة يخاصمها فلما جلس بين يدي شريح قال اين انت
قال بينك وبين الحائط قال اني امرؤ من اهل الشام قال بعيد سحيق
قال واني قدمت العراق قال خير مقدم قال وتزوجت هذه قال
بالرفاء والبنين قال وانها ولدت غلاما قال ليهنك الفارس قال
واردت ان انقلها الى داري قال المرء احق باهله قال وقد كنت شرطت
لها دارها قال الشرط املك قال اقض بيننا قال فعلت قال فعلى من
قضيت قال على ابن امك عدل عن لفظ عليك لئلا يواجهه بالتصريح
على ما يشق على المخاصم من القضاء عليه او ان تومي بذلك الى
وجه بناء الخبر الذي تبنيه عليه فتقول الذين آمنوا لهم درجات
النعيم والذين كفروا لهم دركات الجحيم ثم تتفرع على هذا اعتبارات
لطيفة ربما جعل ذريعة الى التعريض بالتعظيم كقولك الذي
يرافقك يستحق الاجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الاذلال
والصفع ومنه قولهم جاء بعد اللتيا والتي وسيأتيك في فصل
الايجاز معناه او بالاهانة كما اذا قلبت الخبر في الصورتين وربما
جعل ذريعة الى تعظيم شان الخبر كقوله

ان الذي سمك السماء بنى لنا ٭ بيتا دعائمه اعز واطول

وربما جعل ذريعة الى تحقيق الخبر كقوله

ان التي ضربت بيتا مهاجرة ٭ بكوفة الجند غالت ودها غول

وربما جعل ذريعة الى التنبيه للمخاطب على خطائه كقوله

ان الذين ترونهم اخوانكم ٭ يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا

او على معنى آخر كقوله

ان الذي الوحشة في داره ٭ تؤنسه الرحمة في لحده

وربما قصد بذلك ان يوجد من السامع الى ما يستخبر به عنه منتظرا
لوروده عليه حتى ياخذ منه مكانه اذا ورد كقوله

والذي حارت البرية فيه ٭ حيوان مستحدث من جماد

وفي هذه الاعتبارات كثرة فحوم لها حول ذكائك واما الحالة
التي تقتضي كونه اسم اشارة فهي متى صح احضاره في ذهن السامع
بوساطة الاشارة اليه حسا واتصل بذلك داع مثل ان لا يكون
لك او لسامعك طريق اليه سواها او ان تقصد بذلك اكمل تمييز له
وتعيين كقوله

هذا ابو الصقر فردا في محاسنه ٭ من نسل شيبان بين الضال والسلم

وقوله: وإذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربل سربال ليل أغبر
أومى إلى الكوماء هذا طارق نحرتني الأعداء إن لم تنحري
وقوله: ولا تقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد
وقوله: أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
أو أن يقصد بذلك بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك
هذا وذلك وذاك ثم يتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار مثل
أن يقصد بذلك كمال العناية بتمييزه وتعيينه كقوله عز من قائل
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون أو أن يقصد أن السامع
غبي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس كقول الفرزدق في خطابه جريرا
أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع
أو أن يقصد بقربه تحقيره واسترذاله كما قالت عائشة رضي الله عنها
يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له وهو عبد الله بن عمرو بن العاص
وكما يحكيه عز وعلا عن الكفار ماذا أراد الله بهذا مثلا وفي
موضع آخر أهذا الذي بعث الله رسولا وفي موضع آخر أهذا الذي

يذكر آلهتكم وقوله وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وكما يحكيه القائل
عن امرأته تقول ودقت نحرها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس
أو بعده تعظيمه كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل وأولئك الفحول
وكقوله عز وعلا الم ذلك الكتاب ذهابا إلى بعد درجته وكقوله ما
يحكيه جل وعلا قالت فذلكن الذي لمتنني فيه لم تقل فهذا وهو حاضر
رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به واستبعادا
لمحله ومن التبعيد لقصد التعظيم قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها
أو خلاف تعظيمه كما تقول ذلك اللعين أو ما سوى ذلك مما له
انخراط في هذا السلك ولطائف هذا الفصل لا تكاد تنضبط
وأما الحالة التي تقتضي التعريف باللام فهي متى أريد بالمسند
نفس الحقيقة كقولك الماء مبدأ كل حي قال عز من قائل وجعلنا
من الماء كل شيء حي أي جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس الذي هو
جنس الماء يأتي في الروايات أنه جل وعلا خلق الملائكة من ريح
خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه
وكقولك الرجل أفضل من المرأة والدينار خير من الدرهم والكلب

اعظم من الجزء ونعم الرجل او بئس الرجل ومن تعريف الجنس قوله

والخلّ كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقوله الناس ارض بكل ارض وانت من فوقهم سماء وقوله

عز من قائل اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وللعرب

المسافر اذا نامت بين ان يعرف الاسم هذا التعريف وبين ان

يترك غير معرف به تعامل معرفه كثيرا معاملا غير المعرف قال

ولقد امرّ على اللئيم يسبني فمضيت ثمّت قلت لا يعنيني

تعريف اللئيم والمعنى ولقد امرّ على لئيم من اللئام ولذلك قدّر

يسبني وصفا لا حالا وله في القرآن غير نظير او العموم والاستغراق

كقوله عز من قائل ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وقوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وقوله

ولا يفلح الساحر حيث اتى لو كان المسند اليه حصة معهودة من الجنس

كما اذا قال لك قائل جاءني رجل من قبيلة كذا او رجلان او رجال

فتقول اين الرجل الذي جاءك او الرجلان اللذان جاءاك او

الرجال الذين جاؤوك وفي التنزيل في المدائن حاشرين يأتوك بكل

سحار عليم بجمع السحرة وفي موضع آخر كما ارسلنا الى فرعون رسولا

فعصى فرعون الرسول وتقرير ما ذكرنا من افادة اللام الاستغراق

او العهد يذكر في الفن الثالث ان شاء الله تعالى واما الحالة

التي تقتضي التعريف بالاضافة فهي متى لم يكن للمتكلم الى احضاره في

ذهن السامع طريق سواها اصلا كقولك غلام زيد اذا لم يكن عندك

شيء سواها او عند سامعك او طريق سواها اخصر والمقام مقام

اختصار كقوله هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق

او لان في اضافته حصول مطلوب آخر مثل ان تغني عن التفصيل

المتعذر او الاول تركه لجهة من الجهات كقوله

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في غيل خفان اشبل

وقوله اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

وقوله قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي

وقوله قبائلنا سبع وانتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث واكثر

او مثل ان تتضمن اعتبارا لطيفا مجازا كقوله

اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها في القرائب



وقوله اذا قال قدنى قال بالله حلفة لتغنى عنى ذا اناءك اجمعا
او مثل ان يتضمن نوع تعظيم باعتبار كما تقول عبدك حضر
فتعظم شانك لان لك عبدا او كما تقول عبد الخليفة حضر فتعظم
شان العبد او كما تقول عبد الخليفة عند فلان فتعظم شان فلان
او نوع تحقير كما تقول ولد الحجام عنده او غيرها من الاغراض ممكن
التعلق بالاضافة واما الحالة التي تقتضي وصف المعرف فهي
اذا كان الوصف مبينا له كاشفا عنه كما اذا قلت الجسم الطويل
العريض العميق محتاج الى فراغ يشغله او قلت المتقي الذي يؤمن
ويصلي ويزكي على هدى من ربه فبينت بالوصف على اللطف واجب
ان المتقي هو الذي يفعل الواجبات باسرها ويجتنب الفواحش والمنكرات
عن آخرها وكشفته كشفا كانك حددته ووجه الطائفة انك
ذكرت اساس الحسنات ومنشيها وهو الايمان وعقبته بامهات العبادات
البدنية والمالية المستتبعتين لسائر العبادات وهما الصلوة والزكوة
فافدت بذلك فعل الواجبات باسرها وذكرت الناهي عن الفحشاء
والمنكر وهو الصلوة فافدت بذلك اجتناب الفواحش عن آخرها

ونظيره في تنزيل الوصف منزلة الكاشف المجرى عليه قول اوس
الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا
حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد ومما هو اخوه
منه قوله جل وعلا ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا عن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن
طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله تعالى او مدحا له كقولك الله الخالق
البارئ المصور او كما اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي
على هدى ولم ترد الا مدحه او ذما له كقولك ابليس اللعين ضال مضل
او مخصصا له زيادة تخصيص بغير فائدة الكشف والمدح كقولك
زيد التاجر عندنا او كما اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي
على هدى وانت تريد بالمتقي المجتنب عن المعاصي او تاكيدا له مجردا
كقولك امس الدابر لا يعود وكان ما يتعلق بالوصف مطلوبا ولما تركت
من طلب التمييز بالوصف وامتناع ان تميز شيئا عن شيء بلا معرفة
انه يمكنك ان تتوصل به الى ان تحقق الوصف كونه عند السامع معلوم
التحقق للموصوف ولعلك ان تحقق الشيء للشيء فرع على كيفية تحقق

لا يشتبه عليك أن حق كل وصف أن يكون في نفسه ثابتا متحققا وأن حق كل ما تقصد ثبوته للغير أن يكون في نفسه ثابتا وعندك فما لا يكون ثابتا كذلك أو متحققا يمتنع منك جعله وصفا وكذا خبرا أيضا لحكم عكس النقيض وعسى إذا استوضحت ما أريناكه أن تجد بصعلك في تعريف أي من لا ترى الصفة معلومة ولن تحقق محاولة إثبات الثابت في نفسه لشيء آخر تستدعي ثبوت ذلك الشيء الآخر في نفسه لا محالة ثم اعلمك أن الطلب سعي في تحصيل الحاصل ممتنع كما سيأتيك كل ذلك في قانون الطلب تعلم أن مطلوبك مثله في نحو هل رأيت كذا وفي نحو اضرب يمتنع أن يكون ثابتا عندك أو متحققا فيمتنع أن تجعل مثله وصفا أو خبرا فلذلك يمتنعان في مثل قوله جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط تقول تقدير جاءوا بمذق مقول عنده هذا القول أي تحمل المذق رائيه أن يقول لمشاهده هل رأيت الذئب قط لإيراده في خيال الرائي لون الذئب لورقته لكونه سمارا وفي مثل زيد اضربه أو لا تضربه أنه محمول على يقال أي يقال في حقه اضربه أو لا تضربه

وتفسير قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون على لفظ من الاستفهامي ورفع فرعون بأنه لما وصف الله العذاب بكونه مهينا بانا الشدة وفظاعة أمره أراد أن يصور كنهه قال من فرعون هل تعرفون من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته في تفرعنه ما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله ثم عرف حاله في ذلك بقوله إنه كان عاليا من المسرفين وستطلع من كتابنا هذا لمن خدمه حق خدمته على نكات محتجبة في الكلام و

أما الحالة التي تقتضي تأكيده فهي إذا كان المراد أن لا يظن بك السامع في حكمك ذلك تجوزا أو سهوا أو نسيانا كقولك عرفت أنا وعرفت أنت وعرف زيد زيد أو نفسه أو عينه وربما كان القصد مجرد التقرير كما يطلعك عليه فصل اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل أو خلاف الشمول والإحاطة كقولك عرفني الرجلان كلاهما أو الرجال كلهم وعنه كل رجل عارف وكل إنسان حيوان وأما الحالة التي تقتضي بيانه وتفسيره فهي إذا كان المراد زيادة إيضاحه بما يخصه من الاسم كقولك صديقك



خالد قدم وقوله علت كلمته ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله
واحد﴾ من هذا القبيل شفع إلهين باثنين وإله بواحد لأن لفظ إلهين
يحمل معنى الجنسية ومعنى التثنية وكذا لفظ إله يحمل الجنسية والوحدة
والذي له الكلام مسوق هو العدد في الأول والوحدة في الثاني
ففسر إلهين باثنين وإله بواحد بيانا لما هو الأصل في الغرض ومن
هذا الباب من وجه قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر
يطير بجناحيه﴾ ذكر في الأرض مع دابة ويطير بجناحيه مع طائر
لبيان أن القصد من لفظ دابة ولفظ طائر إنما هو إلى الجنسين وإلى
تقريرهما وأما الحالة التي تقتضي البدل عنه فهي إذا كان
المراد تقرير الحكم وذكر المسند إليه بعد توطئة ذكره لزيادة
التقرير والإيضاح كقولك سلب زيد ثوبه وجاء القوم أكثرهم
وحق عليك الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم في
الأنواع الثلاثة من البدل دون الرابع فليتأمل وأما
الحالة التي تقتضي العطف فهي إذا كان المراد تفصيل المسند إليه
مع اختصار كقولك جاءني زيد وعمرو وخالد أو تفصيل المسند مع
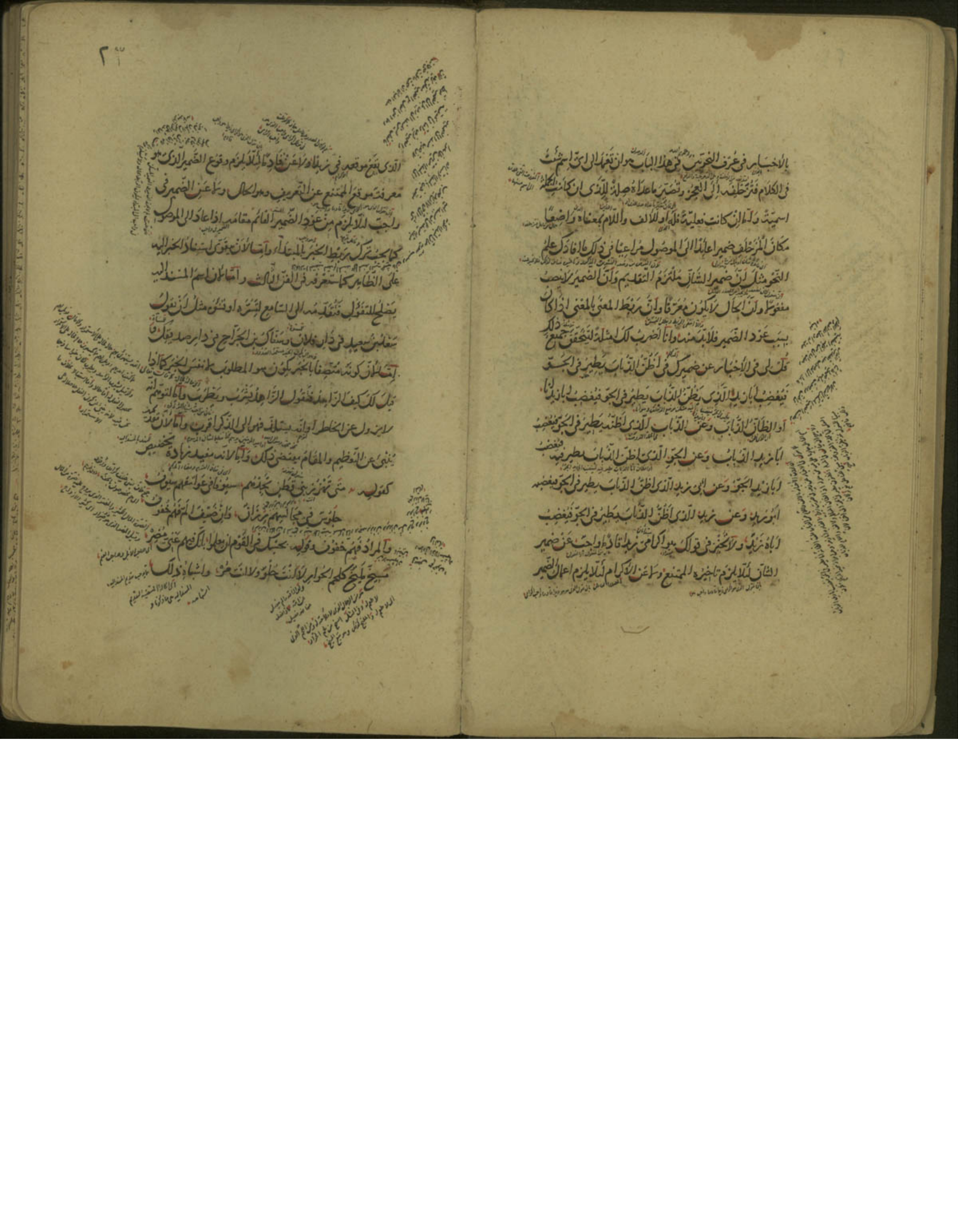
اختصار كقولك جاء زيد فعمرو فخالد أو ثم عمرو ثم خالد أو جاء القوم
حتى خالد ولا بد في حتى من التدريج كما بين في موضعه قوله
وكنت فتى من جند إبليس فارتمى بي الحال حتى صار إبليس من جندك
أو كان المراد رد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب كقولك
جاءني زيد لا عمرو لمن في اعتقاده أن عمرا جاءك دون زيد أو أنهما
جاءاك معا وقولك ما جاءني زيد لكن عمرو لمن في اعتقاده أن زيدا
جاءك دون عمرو أو كان المراد صرف الحكم عن محكوم له إلى آخر كقولك
جاءني زيد بل عمرو وما جاءني زيد بل عمرو أو كان المراد الشك
أو التشكيك كقولك جاءني زيد أو عمرو أو إما زيد وإما عمرو أو كان
المراد التفسير كقولك جاءني أخوك أي زيد على قول وفي العطف لا سيما
العطف بالواو كلام يأتيك في الفن الرابع إن شاء الله تعالى
وأما الحالة التي تقتضي الفصل فهي إذا كان المراد تخصيصه
للمسند بالمسند إليه كقولك زيد هو المنطلق وزيد هو أفضل
من عمرو أو خير منه أو زيد هو يذهب وأما الحالة التي تقتضي تنكيره
فهي إذا كان المقام للإفراد شخصا أو نوعا كقولك جاءني رجل أي فرد

من اشخاص الرجال وقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء اي من
نوع من الماء مختص بتلك الدابة او من ماء مخصوص وهي النطفة او كان
المقام غير صالح للتعريف لانك لا تعرف منه حقيقة الا ذلك القدر
وهو انه رجل او تجاهل وترى انك لا تعرف منه الا جنسه كما اذا سمعت
شيئا في اعتقادك فاسدا عمن هو عندك مفتر كذاب واردت ان تظهر
لاصحاب لك سوء اعتقادك به قلت هل لكم في حيوان على صورة انسان
يقول كيت وكيت معتقدا ان تقول في فلان فتسميه كانك لست تعرف منه
ولا اصحابك الا تلك الصورة ولعله عندكم اشهر من الشمس وعليه ما حكيه
جل وعلا عن الكفار في حق النبي صلوات الله عليه وسلامه هل ندلكم
على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد كانهم لم يكونوا
يعرفون منه الا انه رجل ما وباب التجاهل في البلاغة والى سحرها
وان شئت فانظر لفظ كان في قول الخارجية
ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف
ماذا ترى اداة الاستخبار في قول علام الغيوب فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم متضمنا للتوبيخ لهم على

ورجاء دخولهم في الايمان ناعيا عليهم لن يتوقع من امثالهم ان
تولوا امور الناس وتأمروا عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامهم تناحرا في الملك وتهالكا على الدنيا لينعجم بهم التأمل في
المتوقع على ما تم من اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم
الا يلتبس لمن اذا عرض لهم بذلك على سبيل النصيحة جار النمر
وان لا تقلب لحاليهم واما لانه لا طريق لك الى تعريف له الا على
هذا القدر لسامعك واما لان في تعيينه مانعا يمنعك واما لانه
في شانه ارتفاعا او انحطاطا واصلا الى حد يوهم انه لا يمكن ان يعرف
فتقول في جميع ذلك عندي رجل او حضر رجل وقولهم شر
اهر ذا ناب من الاعتبار الاخير وستسمع في مثل هذا التركيب
اعني نحو رجل جاءني وامراة حضرت فوائد وكذا قولك في خمر
تخمر متداره في نوع من الانواع عنده شمة قال الله تعالى
ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ومنه ان نظن الا ظنا
وقول ابن ابي السمط
له حاجب في كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

منه ايضا انظر كيف تجد الفهم والذوق يقتضيان كمال ارتفاع شأن
حاجب الاول وكمال انحطاط حاجب الثاني وقال الله تعالى ولكم
في القصاص حيوة فنكر على معنى لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص
حيوة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا
او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لمكان العلم
بالاقتصاص لان الرجل اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص فارتدع
فيسلم صاحبه من القتل وهو من القود فيتسبب لحيوة نفسين وفي معنى
طلب التعظيم والتهويل بالتنكير قال الله تعالى فأذنوا بحرب من الله و
رسوله دون ان يقول بحرب الله ورسوله وبخلاف ذلك قال الله تعالى
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر دون ان
يقول ورضوان الله قصدا للافادة وقدر يسير من رضوانه خير
من ذلك كله لان رضاه سبب كل سعادة وفلاح واما قوله
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن بالتنكير دون عذاب الرحمن
بالاضافة فاما للتهويل واما بخلافه بمعنى اخاف ان يصيبك [illegible]

من عذاب الرحمن وقوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل المعنى
رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال
واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك واما الحالة التي تقتضي
تقديمه على المسند فهي متى كان ذكره اهم ثم ان كونه اهم يقع
مختلفة لتأمل ان اصله التقديم ولا مقتضي للعدول عنه وسيتبع
كلاما في هذا المعنى في اخر الفن الثالث ان شاء الله تعالى واما
لانه متضمن للاستفهام كقولك ايهم منطلق وسيتقرر في القانون
الثاني واما لانه ضمير الشأن والقصة كقولك هو زيد منطلق وعن
قرب تعرف السر في التزام تقديمه واما لان في تقديمه تشويقا
للسامع الى الخبر ليتمكن في ذهنه اذا اورده كما اذا قلت صديقك
فلان للفاعل الصانع رجل صدوق وهو احدى خواص تركيب
الاخبار في باب الذي كما اذا قلت بدل قولك زيد منطلق الذي
زيد هو منطلق او بدل قولك خبر مقدمك سرني الذي هو سرني
خبر مقدمك او الذي خبره سرني مقدمك وهو السبب في التزام
تأخير الخبر في هذا الباب وامتناع الاخبار عن ضمير الشأن والمراد



بالاخبار في عرف النحويين في هذا الباب هو ان تعمد الى اي اسم شئت
في الكلام فتؤخره الى العجز وتصير ما عداه صلة للذي ان كانت الجملة
اسمية وللالف واللام ان كانت فعلية فله او للالف واللام بمعناه واضعا
مكان المؤخر ضميرا عائدا الى الموصول مراعيا في ذلك ما افادك علم
النحو مثل ان ضمير الشان ملتزم التقديم وان الضمير لا ينصب
مفعولا وان الحال لا يكون معرفة وان ربط المعنى بالمعنى اذا كان
بسبب عود الضمير فلا بد منه وانا اضرب لك امثلة لتحقق جميع ذلك
قل لي في الاخبار عن ضمير كل في اظن الذباب يطير في الجو
فيغضب ابا زيد الذي يظن الذباب يطير في الجو فيغضب ابا زيد انا
او الظان الذباب وعن الذباب الذي اظنه يطير في الجو فيغضب
ابا زيد الذباب وعن الجو الذي اظن الذباب يطير فيه فيغضب
ابا زيد الجو وعن ابي زيد الذي اظن الذباب يطير في الجو فيغضبه
ابو زيد وعن زيد الذي اظن الذباب يطير في الجو فيغضب
اباه زيد ولا تخبر في قولك هو اكرامي زيدا قائما واجب عن ضمير
الشان لئلا يلزم تاخيره الممتنع ولا عن الاكرام لئلا يلزم اعمال الضمير

الذي يقع موقعه في ربطه ولا عن قائما لئلا يلزم وقوع الضمير الذي هو
معرفة موقع الممتنع عن التعريف وهو الحال ولا عن الضمير في
واجب لئلا يلزم من عود الضمير القائم مقامه اذا عاد الى الموصول
كما يجب ترك ربط الخبر بالمبتدا واما لان يتوقف اسناد الخبر اليه
على الظاهر كما ستعرفه في الفن الثالث واما لان اسم المسند اليه
يصلح للتفاؤل فتقدمه الى السامع لتسره او تسوءه مثل ان تقول
سعد بن سعيد في دار فلان وسفاك بن الجراح في دار صديقك او
اما لان كونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر كما اذا
قيل لك كيف الزاهد فتقول الزاهد يشرب ويطرب واما لتوهم انه
لا يزول عن الخاطر او انه يستلذ فهو الى الذكر اقرب واما لان تقديمه
ينبئ عن التعظيم والمقام يقتضي ذلك واما لانه مفيد زيادة تخصيص
كقوله متى تهزز بني قطن تجدهم سيوفا في عواتقهم سيوف
جلوس في مجالسهم رزان وان ضيف الم فهم خفوف
والمراد فهم خفوف وقوله بحسبك في القوم ان يعلموا بانك فيهم غني مضر
مسيح مليح كلهم الحوار لا انت حلو ولا انت مر واشباه ذلك

وأما الحالة التي تقتضي تأخيره عن المسند فهي إذا اشتمل المسند
على وجه من وجوه التقديم كما سيرد عليك في الفن الثالث إن شاء الله تعالى
وأما الحالتان المقتضيتان لإطلاق المسند إليه أو تخصيصه بحال
التنكير فإنك إذا مررت فيما تقدم استغنيت عن التعريف فيهما
وأما الحالة المقتضية لقصر المسند إليه على المسند فهي أن يكون
عند السامع حكم مشوب بصواب وخطاء وأنت تريد تقرير صوابه
ونفي خطائه مثل أن يكون عند السامع أن زيدا متمول وجواد فتقول
لمن زيد متمول لا جواد ليعرف أن زيدا مقصور على التمول لا يتعداه
إلى الجود أو تقول له ما زيد إلا متمول وإنما زيد متمول وعليه قوله
عز وجل في حق يوسف عليه السلام عن النسوة ما هذا بشرا إن هذا إلا
ملك كريم أي إنه مقصور على الملكية لا يتخطاها إلى البشرية وقوله
عن اليهود في قوله وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما
نحن مصلحون أي يقولون نحن مقصورون على الصلاح لا يتأتى منا
أمر سواه واعلم أن القصر كما يكون للمسند إليه على المسند يكون أيضا
للمسند على المسند إليه ثم ليس هو مختصا بهذا البين بل له شيوع ولم

تفريعات فالأولى أن نفرد الكلام في ذلك فصلا ونؤخره إلى تمام القول
لما سواه في قانوننا هذا ليكون إلى الوقوف عليه أقرب واعلم أن جميع
ذلك من مقتضى الظاهر ثم قد يخرج المسند إليه لا على مقتضى الظاهر
فيوضع اسم الإشارة موضع الضمير وذلك إذا كمل العناية بتمييزه
إما لأنه اختص بحكم بديع عجيب الشأن كقوله

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

وإما لأن يقصد التهكم بالسامع والسخرية منه كما إذا كان فاقد البصر
أو لم يكن ثم مشار إليه أصلا أو النداء على كمال بلادته بأنه لا يميز
بين المحسوس بالبصر وبين غيره أو على كمال فطانته وبعد غوره إدراكه
بأن غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره أو قصد ادعاء
أنه ظهر ظهور المحسوس بالبصر كقوله

تعاللت كي أشجى وما بك علة ... تريدين قتلي قد ظفرت بذلك

أو ما شاكل ذلك ويوضع المضمر موضع المظهر كقولهم ابتداء من
غير جري ذكر لفظا أو قرينة حال ربه رجلا ونعم رجلا زيد وبئس

رجلا عمرو مكان ربّ رجلٍ ونعم الرجل وبئس الرجل على
قول من لا يرى الاصل زيد نعم رجلا وعمرو بئس رجلا وقولهم
زيد عالم وهي هند مليحة مكان الشان زيد عالم والقصة هند
مليحة ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه وذلك ان السامع متى
لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظرا لعقبى الكلام كيف تكون فيتمكن
المسموع بعده فضل تمكن في ذهنه وهو السر في التزام تقديمه
قال الله تعالى قل هو الله احد وقال فانها لا تعمى الابصار كما وضع
المظهر موضع المضمر اذا اريد تمكين نفسه زيادة تمكين كقوله
ان تسألوا الحق نعط الحق سائله وقوله عز وجل الله الصمد دون
هو الصمد بعد قوله قل هو الله احد ونظيره خارج باب المسند اليه
وبالحق انزلناه وبالحق نزل وكذا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا وتترك الحكاية الى المظهر اذا تعلق
به غرض قول الخلفاء حيث يقولون امير المؤمنين يرسم لك مكان
انا ارسم وهو لادخال الروعة في ضمير السامع وتربية المهابة
او تقوية داعي المأمور وعليه قوله تعالى فاذا عزمت فتوكل

على الله او قول المستعطف حيث يقول اسيرك يتضرع اليك
مكان انا اتضرع اليك ليكون ادخل في الاستعطاف وعليه قوله
الهي عبدك العاصي اتاكا وما جرى مجرى هذا الاعتبار واعلم
ان هذا النوع اعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص المسند اليه
ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل
واحد منها الى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني
والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب
الى اسلوب ادخل في القبول عند السامع واحسن تطرية لنشاطه
واملأ باستدرار اصغائه وهم احرياء بذلك اليس قرى الاضياف
سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم وهجيراهم لا برحت ابدي الآباد
لهم ادبا ولا ابانت لهم حريما افتراهم يحسنون قرى الاشباح فيخالفون
فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الارواح فلا يخالفون
فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد فان الكلام المفيد عند الانسان
لكن بالمعنى لا بالصورة اشهى غذاء لروحه واطيب قرى لها قال ربيعة بن مقروم
بانت سعاد فامسى القلب معمودا واخلفتك ابنة الحر المواعيدا

فالتفت كما ترى حيث لم يقل ولطفتني ثم قال

مالم ألاق امرأ جزلا مواهبه * سهل الفناء رحيب الباع محمودا

وقد سمعت بقوم يحمدون فلم * أسمع بمثلك لا حلما ولا جودا

فالتفت كما ترى حيث لم يقل بمثله وقال

تذكرت والذكرى تهيجك زينبا * وأصبح باقي وصلها قد تقضبا

وحل بفلج فالأباتر أهلنا * وشطت فحلت غمرة فمثقبا

فالتفت في البيتين وقال عوف بن الأحوص

لهدمتا الحياض فلم تغادر * لحوض من نصائبه إزاء

لحوله أذمم مغنى لحلي * والشكل ساكون ومنهم براء

فالتفت في الثاني وقال عبد الله بن عنمة

ما إن ترى السيد زيدا في نفوسهم * كما تراه بنو كوز ومرهوب

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله * والدرع محقبة والسيف مقروب

فالتفت في تسألوا وقال الحارث بن حلزة

طرق الخيال ولا كليلة مدلج * سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

إني اهتديت لنا وكنت رحيلة * والقوم قد قطعوا متان السجسج

فالتفت في الثاني وقال علقمة بن عبدة

طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكلفني ليلى وقد شط وليها * وعادت عواد بيننا وخطوب

فالتفت في البيتين وقال امرؤ القيس

تطاول ليلك بالأثمد * ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبإ جاءني * وخبرته عن أبي الأسود

فالتفت في الأبيات الثلاثة وأمثال ذلك أكثر من أن يضبطها القلم

هذا النوع قد تختص مواقعه بلطائف معان قلما تتضح إلا لأفراد العلماء أو للحذاق المهرة في هذا الفن والعلماء النحارير ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق وأورث السامع زيادة هزة ونشاط ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان السامع ممن يسمع ويعقل وقليل ما هم أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ولأمر ما وقع التباين الخارج عن الحد بين مفسر الكلام رب العزة ومفسر وبين غواص في بحر ذلك وغواص وكل التفاتات وارد في القرآن

متى صرت من سامعيه عرفك ما هو فيه وإذا أنجبت لن تصير فاصخ ثم
ليتل عليك قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين فلعلك لأنس مما يهدك
لذا الوجدان بحيث تغنيه عن شهادة ما تتلوه لأن المرء لذا أخذ في استحضار
جنايات جان متنقلا فيها عن الإجمال إلى التفصيل وجد من نفسه
تفاوتا في الحال بينا لا يكاد تشبه آخر حاله هناك أولها أو ما تراك
إذا كنت في حديث مع إنسان وقد حضر مجلسكما من له جنايات في
حقك كيف تصنع تحول عن الجاني وجهك وتأخذ في الشكاية عنه
إلى صاحبك تبثه الشكوى معددا جناياته واحدة فواحدة وأنت
فيما بين ذلك واجد من أجل تحمى على تزايد تحرك حالة لك غضبية تدعوك
إلى أن تواثب ذلك الجاني وتشافهه بكل سوء وأنت تجب إلى أن
تغلب فتقطع الحديث مع الصاحب وتباشرك إياه وترجع إلى الجاني
مشافها له بالله قل لي هل عامل أحد مثل هذه المعاملة هل يتصور
معاملة أسوء مما فعلت إما كان لك حياء يمنعك أما كان لك مروءة تردعك
على هذا وإذا كان الحاضر لمجلسكما ذا نعم عليك كثيرة فإذا أخذت في تعداد
نعمه عند صاحبك مستحضرا لتفاصيلها أحسست من نفسك بحالة كأنها

تطالبك بالإقبال على منعمك وتزين لك ذلك ولا تزال تتزايد ما دمت في
تعداد نعمه حتى تحملك من حيث لا تدري على أن تجيئه وأنت معه في الكلام
تثني عليه وتدعو له وتقول بأي لسان أشكر صنائعك الروائع وبأيه
عبارة أحصر عوارفك الذوارف وما جرى ذلك المجرى وإذا وعيت
ما قصصته عليك وتأملت الالتفات في إياك نعبد وإياك نستعين بعد
ما قبله من قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم
الدين على الوجه الذي يجب وهو التأمل القلبي علمت ما هو فيه وكيف
أصاب المحز وطبق مفصل البلاغة لكونه منبها على أن العبد المنعم عليه
بتلك النعم العظام الفائتة للحصر إذا قدر أنه ماثل بين يدي مولاه من
حقه إذا أخذ في القراءة أن يكون قراءته على وجه يجد معها من نفسه شبه
محرك إلى الإقبال على من يحمده صائر في أثناء القراءة إلى حالة شبيهة
بإيجاب ذلك عند ختم الصفات مستدعية انطباقها على المنزل على
ما هو عليه وإلا لم يكن قارئا والوجه هو إذا افتتح التحميد أن يكون
صادرا عن قلب حاضر ونفس ذاكرة يعقل فيم هو وعند من هو
فإذا انتقل من التحميد إلى الصفات أن يكون انتقاله محذوا به حذو

الافتتاح فانّه متى افتتح على الوجه الذي عرفت مجريا على لسانه الحمد لله
أفلا يجد محركا للاقبال على من يحمد من معبود عظيم الشأن حقيق بالثناء
بالشكر مستحق للعبادة ثم اذا انتقل على نحو الافتتاح الى قوله رب
العالمين واصفا له بكونه ربا مالكا للخلق لا يخرج شيء من ملكوته
وربوبيته أفلا ترى ذلك المحرك لا يقوى ثم اذا قال الرحمن الرحيم
موصوفا بما ينبئ عن كونه منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مصيبا اياهم بكل معروف أفلا تتضاعف قوة ذلك المحرك عند هذا
ثم اذا آل الامر الى خاتمة هذه الصفات وهي مالك يوم الدين المنبئة
على كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الحشر للثواب والعقاب فما
بال ذلك المحرك لا يستدعي منك ان لا تصبر الى حد يوجب عليك الاقبال
على مولى شأنه ما نشكر معه منذ افتتحت التحميد ما تصورت فتستطيع أن
لا تقول إياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك فلا تنطق
على المنزل على ما هو عليه وليس لابن حجر الكندي ببعيد وهو المشهود له
في شأن البلاغة والحائز القصبات السبق في درك اللطائف ما
المتلقى للآتي من عيون النكت في افتنانه في الكلام اذا التفت تلك

الالتفاتات وكان يمكنه ان لا يلتفت البتة وذلك ان يسوق الكلام
على الحكاية في الابيات الثلاثة فيقول تطاول ليلي بالاثمد ونام الخلي ولم
ارقد وبت وبات لنا ليلة كقول لبيد فوقفت أسألها وكيف سؤالنا أو ان
يلتفت نوعا واحدا فيقول وبت وبات لكم وذلك من نبإ جاءكم وخبرتم
عن ابي الاسود ان يكون تحزن قصد تهويل الخطب واستفظاعه في النبإ
الموجع والخبر المفجع اللاذع الغائب في العضد المحرق للقلب والكبد فعل
ذلك منبها في الالتفات الاول على ان نفسه وقت ورود ذلك النبإ
عليها ولهت وله الثكلى فأقامها مقام المصاب الذي لا يتسلى بعض التسلي
الا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه واخذ يخاطبه بتطاول ليلك تسلية
او نبه على ان نفسه لفظاعة شأن النبإ واستشعار جامعه كمدا وارتماضا
ابدت قلقا لا يتقلقه كمد وضجرا لا يضجره مرمض وكان من حقها ان
تتصبر فعل الملوك وجريا على سننها المسلوك عند طوارق النوائب وبوارق
المصائب فحين لم تفعل شككته في انها نفسه فأقامها مقام مكروب
ذي حرق قائلا له تطاول ليلك مسليا وفي الالتفات الثاني على ان
التحزن تحزن صدق ولذلك استعادت الحال خاطبتك اذ لم اجدك

وفي النكتة الثالثة على ان جميع ذلك انما كان لما خصه ولم يعده الى من
سواه او ثبته في النكتة مما دل على ان ذلك للنبأ الطارق قلبه ولا بادرة
وتركه خاطرا بالبال فافطن معه لمقتضى الحال من الحكاية فجرى على لسان
ما كان الفهم من الخطاب الدائر في مجاري امور الكبار امرا منهيا
ومن انسان اذا دهمه ما تكاد العقول وتطير له الالباب وتدهش معه
الفطن ولا يكاد يتكلم بكلام عن امثال ذلك وفي النكتة الثاني على التدريج
بعد الصدمة الاولى حين افاق شيئا فشيئا من كما بعض الادراك ما وجد
النفس معه مبنى الكلام على الغيبة فايلاء وبانث له وفي النكتة
الثالث على ما سبق او زيد في النكتة مما دل على ان نفسه حين لم تثبت
ولم تصبر خاطره ذلك فاقامها مقام المستحق للعتاب فابلاء على سبيل
التوبيخ والتعيير بطاول لتلك وفي النكتة الثاني على ان الحامل
على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب فحين سكت عنه
الغضب بالعتاب مما دل فان سورة الغضب بالعتاب تنكسر وتولى عنها
الوجد وهو مقدم فايلاء وبانث له وفي النكتة الثالث على ما تقدم
وانما ذكرت لك ما ذكرت لتقف على ان التحول الى النزل من الغير فرق بالبلاغة

بالامر ولا يشعرون لكلام العرب وذوائهم يتحيروا من مطاوي افتنانه على
لطائف العبارات والتفاصل بين الكلامين فلما تقع الا باشباهها
واعلم ان لطائف الاعتبارات المرفوعة لك في هذا الفن من تلك
المطامح النازحة من مغالك لا تشتبها حق اشباهها ما لم تمتر مصير كل
في استشراف لما هنالك اطيار المجهود ولم تخلف في السعي للتشمير
عنها ورايك كل حد معهود ما ذا يشتغل حلقك من ثمة يتبطش في متوجاتك
بيباع بسيط انه لا يزال عن مرمى غرضك ولو مقدار قيد مستطيرا
ترطما عينك ان تشعرها بنفس لك يقظى وطبع لطيف مع فهم شاسع
وخاطر معوان وعقل دراك وعلماء هذه الطبقة الناظرة بانوار
البصائر المخصوصون بالعناية الالهية المدلون بما اوتوا من الحكمة
وفصل الخطاب على ان كلام رب العزة وهو قرآنه الكريم وفرقانه
العظيم لم يكتس تلك الطلاوة ولا استودع تلك الحلاوة ولا اغدقت
اسافله ولا اثمرت اعاليه وما كان بحيث يعلو ولا يعلى الا لانصبابه
من تلك القوالب ولوروده على تلك الاساليب **الفن الثالث**
للوجه الذي علمت انها المخصوص بناظم او الذي فكره دون ابناء جنسه

المستودع في استكشافه عن أسرار البلاغة كمال انتساب الحدث
ولا يحتجب عنه شيء من روائع النكت عن مكامنها المستخرج للطائف
السحر البياني عن معادنها المستطلع طلع إعجاز التنزيل باشتراق
طوقه المالك لزمام الحكم كعبة التحرير بعجيب فهمه وغريب ذوقه
فهو الطبيب وما عداه ذرائع البعد عن المرام وما سواه أسباب التسلي
عليه أن لا بد من التصفح لمقتضيات أحوال إيراد المسند إليه على تلك
الصور والكيفيات يعلم له أيضا أن لا بد من التفحص عن الأحوال
المقتضية لأنواع التفاوت في المسند من كونه متروكا تارة وغير
متروك أخرى ومن كونه مفردا أو جملة وفي إفراده من كونه فعلا
نحو قام زيد ويقوم ويستقوم أو اسما منكرا أو معرفا من جملة المعرفات
مقيدا كل من ذلك بنوع قيد نحو ضربت يوم الجمعة وزيد رجل عالم
وعمرو أخوك الطويل أو غير مقيد وفي كونه جملة من كونها اسمية أو
فعلية أو شرطية أو ظرفية ومن كونه مؤخرا أو مقدما حتى يتأتى
لك أن تتم لكل مقام بحسبه وأن تجري إلى حد مقتضاه على أقوم سمته
فهو المطارح الذي تزار فيه قوى القرائح والمطارد الذي يمتاز

فيه الجذع عن القارح **أما** الحالة المقتضية لترك المسند
فهي متى كان ذكر المسند إليه بحال يعرف منه المسند ومتعلق بتركه غرض
إما اتباع الاستعمال كقولهم ضربي زيدا قائما وأكثر شربي السويق ملتوتا
وأخطب ما يكون الأمير قائما وقولهم كل رجل وضيعته وقولهم لولا
زيد لكان كذا ونحو ذلك وإما قصد الاختصار والاحتراز عن العبث
كما إذا قلت خرجت فإذا زيد أو قلت زيد منطلق وعمرو وقوله عز من
قائل قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار إذا حملته على تقدير النار شر
من ذلكم ولما ضيق المقام مع قصد الاختصار والاحتراز عن العبث نحو قوله
قالت وقد رأت اصفراري من به وتنهدت فأجبتها المتنهد
إذا حمل على تقدير المتنهد هو المطالب دون المتنهد هو وتعرف في
الحالة المقتضية لكونه اسما معرفا إلى التقدير في ولي وقوله
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف
أي نحن بما عندنا راضون وأما تخييل أن العقل عند الترك معرفه
دون اللفظ عند الذكر وهو معرفه من حيث الظاهر وبين المعرفين
بون وذلك لن آخذ من هذا القبيل قوله عز وعلا والله ورسوله أحق



ان يرضى وأما ان يخرج ذكره الى ما ليس بمراد كما اذا قلت في أزيد عندك
ام عمرو ام عندك عمرو فانه يخرج ام عن كونها متصلة الى انها منقطعة
وأما الاختبار لتنبه السامع هل يتنبه عند قرائن الاحوال او ما مقدار
تنبهه عند ما وأما طلب تكثير الفائدة بالمذكور من حمله على شيء
وحمله على غيره اخرى كقوله فصبر جميل وقوله طاعة معروفة
تارة على فصبر جميل اجمل وطاعة معروفة امثل وحملها اخرى على
فامري صبر جميل وطاعتكم طاعة معروفة اي معروفة بالقول دون
الفعل وأما الحالة المقتضية لذكره فهي ان لا يكون ذكر المسند اليه
مفيد المسند بوجه ما من الوجوه كما اذا قلت ابتداء زيد عالم او
ان يكون في ذكر المسند غرض وهو اما زيادة التقرير او التعريض
بغباوة سامعك او استلذاذه او قصد التعجب من المسند اليه بذكره
كما اذا قلت زيد يقاوم الاسد مع دلالة قرائن الاحوال او تعظيمه
او اهانته او غير ذلك مما يصلح للقصد اليه في حق المسند اليه اذا
كان طالبا للذكر او بسط الكلام بذكره في المقام مقام بسط او لان
الاصل في الخبر ان يذكر كما سبق لكن ذلك في اثبات المسند اليه

او ليتعين الذكر كونه اسما كقولك زيد عالم فيستفاد الثبوت صريحا
فاصل الاسم صفة وغير صفة الدلالة على الثبوت او كونه فعلا كقولك
زيد علم فيستفاد التجدد او ظرفا كقولك زيد في الدار فيورث احتمال
الثبوت والتجدد بحسب التقديرين وما حاصل او يحصل وما تكرر
فيه كلام ويصلح الشمول من اعتبارات قولك عند المخالف لله
الثناء محمد نبينا دين الاسلام ديننا والتوحيد والعدل مذهبنا
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم دائما ابدا
الخلفاء الراشدون ائمتنا والناصر لدين الله خليفتنا والدعاء له و
عليه وظيفتنا وأما الحالة المقتضية لافراد المسند فهي اذا كان
فعليا ولم يكن القصد من نفس التركيب تقوي الحكم واعني بالمسند الفعلي
ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند اليه او بالانتفاء عنه كقولك
ابو زيد منطلق والكرم من التقوى وضرب اخو عمرو ويشكر بكر
ان تعطه وفي الدار خالد اذ تقديره استقر او حصل في الدار على اقوى
الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف كقولك الذي في الدار اخوك كما تقرر
في علم النحو وتفسير تقوي الحكم يذكر في حال تقديم المسند على
المسند اليه وأما الحالة المقتضية لكونه فعلا فهي اذا كان

تخصيص المسند باحد الازمنة على اخصر ما يمكن مع افادة التجدد كقوله
عز وعلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اى فويل لهم
مما سلفت ايديهم من كتبة ما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون لهم
بعد من اخذ الرشى وقوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون اى فريقا
كذبتموه على التمام وفرغتم عن تكذيبه ما بقى منه غير مكذب وفريقا تقتلون
اى ما تيسر لكم قتله على التمام وانما تشتغلون جهدكم ان تتموا قتله نحو ان
حول قتل محمد عليه السلام فانتم بعد لم تقتلوه وقوله فسيكفيكهم الله وقوله
سيقول السفهاء وقوله سنستدرجهم والمراد بالزمان الماضى
ما وجد قبل زمانك الذى انت فيه والمستقبل ما يترقب وجوده بعد زمانك
والحال اجزاء من الطرفين يعقب بعضها بعضا من غير فرط مهلة وتراخ
والحاكم فى ذلك هو العرف لا غير واما الحالة المقتضية لتقييده
فهى اذا كان المراد تربية الفائدة كما اذا قيد بشىء مما يتصل به من
نحو المصدر كنحو ضربت ضربا شديدا او ظرف الزمان كنحو ضربت يوم
الجمعة او ظرف المكان كنحو ضربت الملك او السبب الحامل كنحو ضربت
تاديبا وقررت جبنا او المفعول به بدون حرف كنحو ضربت زيدا

او بحرف كنحو ضربت بالسوط وما ضربت الا زيدا او المفعول معه
كنحو جئت والسارية او الحال كنحو جاءنى زيد راكبا او التمييز كنحو طاب
زيد نفسا او الشرط كنحو يضرب زيد ان ضرب عمرو يضرب زيد
اخرى وقد مرت فهذه كلها مقيدات للمسند ومفاعيل يزداد
الحكم بها تقيدا ولم اذكر الخبر فى نحو كان زيد منطلقا لان الخبر هناك
هو نفس المسند لا شبيه بالمفعول كما اشبه هو كان فتامل وقد ظهر لك
من هذا ان الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص محتملة
فى نفسها للصدق والكذب واعلم ان للفعل وما يتصل به من
المسند اليه وغير المسند اليه اعتبارات فى الترك والاثبات والاظهار
والاضمار والتقديم والتاخير وكذا اعنى الفعل يتصل بالقيد الشرطى
على الخصوص اعتبارات ايضا يذكر جميع ذلك فى آخر هذا الفن فى
فصل لها على حدة واما الحالة المقتضية لترك تقييده فهى
اذا منع عن تربية الفائدة مانع قريب او بعيد واما الحالة المقتضية
لكونه اسما فهى اذا لم يكن المراد افادة التجدد والاختصاص باحد الازمنة
الثلثة افادة الفعل لاغراض تتعلق بذلك واما الحالة المقتضية

لكونه منكرا اعني اذا كان الخبر دائرا على حكاية المنكر كما اذا اخبر عن رجل
في قولك عندي رجل مُتَّصِل بقالك فقيل الذي عندك رجل او كان المسند
اليه نكرة والمسند معرفة سواء قلنا يمتنع عقلا او يصح عقلا لكن في كلام
العرب وتحقيق الكلام فيه ليس مما يهمنا الآن واما ما جاء من نحو قوله
ولا يك موقف منك الوداعا وقوله يكون مزاجها عسل وماء وبيت الكتاب
اظبي كان امك ام حمار فمحمول على القلب مثل عرضت الناقة على الحوض في
اصل الاستعمال ولا يكن موقفا منك الوداع ويكون مزاجها عسلا وماء
واظبيا كان امك ام حمار ولا تظنن بيت الكتاب خارجا عما نحن
فيه ذهابا الى ان اسم كان انما هو الضمير والضمير معرفة فليس المراد كان
امك انما المراد اظبي بناء على ان ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء و
لذلك قدرنا الاصل على ما ترى وفي الابيات اعتبارات سوالا وجوابا
فلا عليك ان تتاملها واياك والتبخيت في تخطئة احد هناك فتخطئ
ان اخطئ خالك واعلم ان هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من
الاخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب وهي مما يورث
الكلام ملاحة ولا يشجع عليها الا كمال البلاغة يأتي في الكلام وفي الاشعار

وفي التنزيل يقولون عرضت الناقة على الحوض يريدون عرضت الحوض
على الناقة وقال القطامي كما طينت بالفدن السياعا
اراد كما طينت الفدن بالسياع وقال الشماخ كما عصب العلباء بالعود
اراد كما عصب العود بالعلباء وقال خداش وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
اراد وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح ولكن لا تحمله على القلب بل هو
استعارة الشقاء لكسرها بالطعان وقال رؤبة
ومهمه مغبرة ارجاؤه كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه من
غبرتها لون ارضه وقال آخر
عشى فيقعس او يكب فيعثر اراد او يعثر فيكب وفي التنزيل و
كم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا اي جاءها باسنا فاهلكناها على احد
الوجهين وفيه اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون على ما يحمل من العيد
ثم تول عنهم وفيه ثم دنى فتدلى يحمل على تدلى فدنى او كان المسند
معرفة لكن المراد بالمسند وصف غير معهود والمقصود الاخبار بالمسند
اليه كما تقول زيد كاتب وعمرو شاعر ولذا تكلمنا في تعريف المسند
باللام اتضح عندك ما ذكرنا او كان بنى تنكيره على ما تقدم في تنكير المسند اليه



من انقطاع الشأن وانحطاطه كما قال الله تعالى هدى للمتقين فنزيدا
بتنكيره أنه هدى لا يكتنه كنهه وكما قال الله تعالى إن زلزلة الساعة شيء
عظيم وأما الحالة المقتضية للتخصيص أما بالإضافة كقولك زيد
ضارب غلام أو بالوصف كقولك زيد رجل عالم فهي إذا كان المراد كون
الفائدة أتم لما عرفت في فصل تعريف المسند إليه وأما الحالة المقتضية
لترك التخصيص فظاهرة لك إن كان ما سبق على ذكر منك وأما الحالة المقتضية
لكونه اسما معرفا فهي إذا كان عند السامع متخصصا بأحد طرق التعريف
معلوما له وكان بك أن تمكنك تقول فالمسند إذا كان متخصصا عند السامع
معلوما له استلزم لا محالة كون المسند إليه معلوما له أيضا لما قدمت أنهم
إذا كانا معلومين عنده فما يستفيد فإنما تقول ليستفيد لما لازم الحكم كما
في قولك لمن أثنى عليك بالغيب الذي أثنى على بالغيب أنت معرفا إليه أنك
عالم بذلك أو الحكم كما ترى في قولك لمن يعرف أن له أخا ويعرف إنسانا
يسمى زيدا أو يعرفه بحفظ التوراة أو يراه بين يديه لكن لا يعرف أن ذلك
الإنسان هو أخوه إذا قلت له أخوك زيد أو أخوك الذي يحفظ التوراة
أو أخوك هذا فقدمت الأخ لذا إذا قلت زيد أخوك والذي يحفظ التوراة

أخوك أو هذا أخوك فأخرت الأخ معرفا له في جميع ذلك لأن أحدهما
الآخر ولا يتقدم فيما نحن فيه ما يتقدم بسلامة الأمير لكن إذا أثنى عليك بالغيب
إنسان وعلم أن الثناء لم تصل إليك وأنت تتصوره كالمتخبر عن حالك
تعلم أن ذلك المثني عليك من وهل تحكم على ذلك المثني بما فتقول الذي
أثنى على بالغيب أنت فأنت بالحكم على الوجه المتصور لو كان أثنى عليك
وغيره وعلم أن ثناء ما نقل إليك وأنت تتصوره كالطالب أن يتبين لديك
حكمك عليه وعلى ذلك الآخر فتقول له الذي أثنى على بالغيب أنت
فأتيت بالحكم على ما تتصوره وتستفيده أنك إنما تعتبرت ثناءه دون ثناء
غيره وإذا قلت أنت الذي أثنى على بالغيب قلت إذا كان أثنى عليك
ونقل إليك الثناء بحضرته وبحضرة غيره وتتصوره كالطالب أن
يتبين لديك حكمك عليه فأثبت الحكم على الوجه المطلوب
وإذا قلت أخوك زيد قلته لمن يعتقد أخا لنفسه لكن لا يعرفه على التعيين
فتتصوره طالبا منك الحكم على أخيه بالتعيين وإذا قلت زيد أخوك
قلته لمن يعلم زيدا وهو كالطالب أن يعرف حكماله وأنه معتقد أن له أخا
لكن لا يعلمه على التعيين وكذلك إذا قلت أخوك الذي يحفظ التوراة

او الذي يحفظ التوراة اخوك او اخوك هذا او هذا اخوك واذا قلت
زيد المنطلق قلته لمن يطلب ان يعرف حكما لزيد اما باعتبار تعريف العهد
ان كان المنطلق عنده معهودا واما باعتبار تعريف الحقيقة واستغراقها
واذا قلت المنطلق زيد قلته لمتصور في ذهنه المنطلق باحد الاعتبارين
وهو طالب لتعيينه في الخارج واذا تأملت ما تلوته عليك لا عثرك على معنى
قول النحويين رحمهم الله لا يجوز تقديم الخبر على المبتدا اذا كانا معرفتين
مقابل انهما قدمت فهو المبتدا او وما قد يسبق الى بعض الخواطر من ان
المنطلق دال على معنى نسبي فهو في نفسه متعين للخبرية وان زيدا دال
على الذات فهو في نفسه متعين للمبتدائية تقدم او تأخر فلا معرج عليه
فان المنطلق لا يجعل مبتدا الا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وانه
بهذا المعنى لا يجب كونه خبرا وان زيدا لا يقع خبرا الا بمعنى صاحب
اسم زيد ويكون المراد من قولنا المنطلق زيد الشخص الذي له الانطلاق
صاحب اسم زيد واما ما قد يقع من نحو قوله ثم وان لم انم كراي كراكا
ونحو قوله لعاب الافاعي القاتلات لعابه مما لا يستقيم معناه الا بالتقديم
والتاخير فمحمول على القلب المتقدم ذكره فاعرفه واعلم ان القول
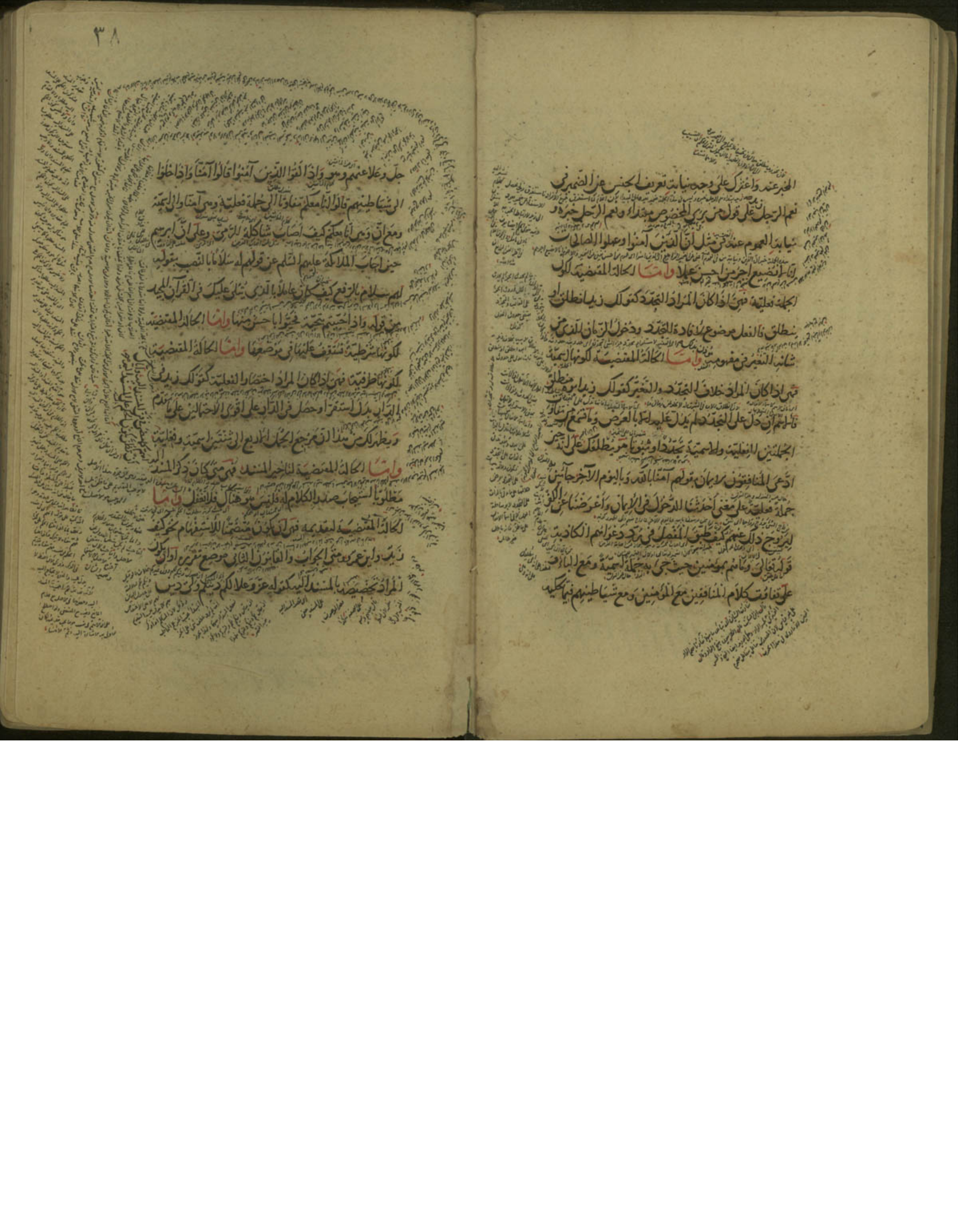
تعريف الحقيقة باللام وباستغراقها مشكل اذ قلنا المراد بتعريف
الحقيقة القصد اليها وتمييزها من حيث هي هي لزم ان يكون اسماء الاجناس
معارف لانها موضوعة لذلك ولانه قول لم يقل به احد ولئن التزمه ملتزم
لكذبنا في امثال رجع رجعى الرجعية او البطنة وذكر ذكرى الحسنة
او القبيحة لانه لم يقل رجوعا التربع وذكرا الحسن قصر المسافة في
التجنب عن حديث التنوين ما هي ولئن ذهبنا الى ان في نحو رجل
وفرس وشرا اعتبار الفردية فليس فيها القصد الى الحقيقة اذ من
حيث هي هي ليلزم مثل المصادر من نحو ضرب وقتل وقيام وقعود
ورجعى وذكرى فليس فيها ذلك بالاجماع ولزم ان يكون اللام في نحو الرجل
او نحو الضرب لتاكيد تعريف الحقيقة اذا لم يقصد العهد وانه قول لم يقل
به احد واذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة القصد اليها حال حضورها
او تقدير حضورها لم يمتز عن تعريف العهد الوارد بالتحقيق او بالتقدير
لان تعريف العهد ليس شيئا غير القصد الى الحاضر في الذهن حقيقة
او مجازا كقولك جاءني رجل فقال الرجل كذا وقولك انطلق رجل
الى موضع كذا والمنطلق ذو حسب قال الله تعالى وليس الذكر كالانثى

اي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها وإذا قلنا المراد
بتعريف الحقيقة سوى الاستغراق لزم في اللام كونها موضوعة لغير
التعريف إذا تأملت ولزم مع ذلك أن يكون الجمع بينها وبين لفظ المفرد
جمعاً للمتنافيين وإن صير في الجمع بينهما إلى نحو الجمع بين المفرد وبين
الواو والنون في نحو المسلمين لامتنع لوجوه كثيرة لا تخفى على متتبعي
أنواع الأدب لكنا إنما أوجب نحو الرجل الطوال والفرس الدهم
أو صحة نقل الأول على الاطراد وكل ذلك على ما ترى فاسد والأقرب بناء
على قول بعض أئمة أصول الفقه بأن اللام موضوعة لتعريف العهد
لا غير هو أن يقال المراد بتعريف الحقيقة أحد قسمي التعريف وهو
تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الخطابية إما لأن ذلك
الشيء محتاج إليه على طريق التحقيق فهو لذلك حاضر في الذهن فكأنه
معهود أو على طريق التهكم وستعرف معنى هذا في علم البيان وإما لأنه
عظيم الخطر معقود بها الهمم على أحد الطريقين فيبنى على ذلك أنه
قلما ينسى فهو لذلك بمنزلة المعهود الحاضر وإما لأنه لا يغيب عن الحس
على أحد الطريقين فيبنى على ذلك حضوره وينزل منزلة المعهود وإما

لأنه جار على الألسن كثير الدور في الكلام على أحد الطريقين فيقام
لذلك مقام المعهود وإما لأن أشياء في شأنه متلاحقة أو غير ذلك مما
يجري مجرى هذه الاعتبارات فيقام الحقيقة لذلك مقام المعهود
ويقصد إليها بلام التعريف ثم إن الحقيقة لكونها من حيث هي
لا متعددة لتحققها مع التعدد ولا متعددة لتحققها مع الوحدة ولما
كانت لا تنفك في الوجود عن أحدهما صالحة للتوحد والتكثر فيكون
الحكم استغراقاً أو غير استغراق إلى مقتضى المقام فإذا كان خطابياً
مثل المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم حمل المعرف باللام مفرداً
كان أو جمعاً على الاستغراق بعلة إيهام أن القصد إلى فرد دون
آخر مع تحقق الحقيقة فيهما يفضي إلى ترجيح أحد المتساويين وإذا
كان استدلالياً حمل على أقل ما يحتمل وهو الواحد في المفرد والعدد الزائد
على الاثنين بواحد في الجمع فلا يوجب في مثل حصل الدرهم إلا واحداً
وفي مثل حصل الدراهم إلا ثلاثة وستقف على هذا في نوع الاستدلال
إذا انتهينا إليه بإذن الله تعالى ومبنى كلامي هذا على أن الاثنين
ليسا بجمع فإن عند العالم الواقف على ما لديك الصناعة بمراتبها ولا أحتاج

للأمير جمعا غير مرتضى منه وههنا دقيقة وهي ان الاستغراق نوعان
عرفي ولا بد من رعاية ذلك فالعرفي نحو قولنا جمع الامير الصاغة اذا
جمع صاغة بلده او اطراف مملكته لا صاغة الدنيا وغير العرفي
نحو قولنا الله يغفر الذنوب اي كلها واستغراق المفرد يكون اشمل
من استغراق الجمع ويتبين ذلك بانه يصدق لا رجال في الدار
في نفي الجنس اذا كان فيها رجل او رجلان ولا يصدق لا رجل
في الدار ومن هذا يعرف لطف ما حكى الله تعالى عن زكريا عليه السلام
رب اني وهن العظم مني دون وهن العظام حيث توصل باختصار
اللفظ الى الاطناب في معناه واذا قد عرفت هذا فنقول متى قلنا
زيد المنطلق او المنطلق زيد في المقام الخطابي لزم ان لا يكون
غير زيد منطلقا ولذلك يمتنع ان يقال زيد المنطلق وعمرو بالواو
ولا يمتنع ان يقال زيد المنطلق لا عمرو بحرف لا ثم اذا كان الامر
في نفسه كذلك كما اذا قلت الله العالم الذات حمل على الانحصار حقيقة
والا كما في قولك حاتم الجواد وخالد الشجاع وقوله تعالى الم ذلك الكتاب
حمل على الانحصار مبالغة وتنزيلا لجود غير حاتم وشجاعة غير خالد وكون

غير القرآن كتابا بمنزلة العدم لجهات اعتبارية وأما الحالة
المقتضية لكونه جملة فهي اذا اريد تقوي الحكم بنفس التركيب كقولك
انا عرفت وانت عرفت وهو عرف او زيد عرف كما سيأتيك تقرير
هذا المعنى وقولك بكر يشكرك ان تعطه او بكر ان تعطه يشكرك لما
عرفت ان الجملة الشرطية ليست الا جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص
وكقولك خالد في الدار او اذا كان المسند سببيا وهو ان يكون مفهومه
مع الحكم عليه بالثبوت لما هو مبني عليه او بالانتفاء عنه مطلوب التعليق
بغير ما هو مبني عليه تعليق اثبات له بنوع ما او نفي عنه بنوع ما كقولك
زيد ابوه انطلق او منطلق والبر الكر منه بستين او يكون المسند
فعلا يستدعي الاسناد الى ما بعده بسبب ما قبله نحو عمرو ضرب اخوه
او شيئا متصلا بالفعل نحو زيد ضارب اخوه او مضروب او كريم من
نطلعك عليه وما ذكرت لك اذا حققت مضمونه اعثرك على وجه حكم
النحويين لا بد في الجملة الواقعة خبرا من ذكر يرجع الى المسند اليه
لفظا او تقديرا واعثرك على ان الجملة بعد ضمير الشأن في نحو هو
زيد منطلق او لانه زيد منطلق مستثناة عن هذا الحكم لكونها نفس



الخبر عنه واعتزك على وجه نيابة تعريف الجنس عن الضمير في
نعم الرجل على قول من يرى المخصوص مبتدأ ونعم الرجل خبره و
نيابة العموم عنه في مثل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا **واما** الحالة المقتضية لكون
الجملة فعلية فهي اذا كان المراد التجدد كقولك زيد انطلق او
ينطلق فالفعل موضوع لافادة التجدد ودخول الزمان للذي من
شانه التغير في مفهومه **واما** الحالة المقتضية لكونها اسمية
فهي اذا كان المراد خلاف التجدد والتغير كقولك زيد ابوه منطلق
فالاسم ان دل على التجدد لم يدل عليه الا بالعرض وما تسمع من تفاوت
الجملتين الفعلية والاسمية تجددا وثبوتا هو يطلعك على انه حين
ادعى المنافقون الايمان بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جاءت به
جملة فعلية على معنى احدثنا الدخول في الايمان واعرضنا عن الكفر
ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد دعواهم الكاذبة
قوله تعالى وما هم بمؤمنين حيث جيء به جملة اسمية ومع الباء في
على تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما حكيه

جل وعلا عنهم وهو واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم متفاوتا الى جملة فعلية وهي آمنا والى اسمية
ومع ان وهي انا معكم كيف اصاب شاكلة الرمي وعلى ان ابرهيم
حين اجاب الملائكة عليهم السلام عن قولهم له سلاما بالنصب بقوله
لهم سلام بالرفع كيف كان عاملا بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد
من قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها **واما** الحالة المقتضية
لكونها شرطية فستقف عليها في موضعها **واما** الحالة المقتضية
لكونها ظرفية فهي اذا كان المراد اختصار الفعلية كقولك زيد في
الدار بدل استقر او حصل في الدار على اقوى الاحتمالين على ما تقدم
ويظهر لك من هذا ان مرجع الجمل الاربع الى شيئين اسمية وفعلية
واما الحالة المقتضية لتاخير المسند فهي متى كان ذكر المسند اليه
مطلوبا لاستيجاب صدر الكلام له فليس هو هنالك فلا تغفل **واما**
الحالة المقتضية لتقديمه فهي ان يكون متضمنا للاستفهام نحو كيف
زيد واين عمرو ومتى الجواب والقائم الثاني موضع تقرير او ان يكون
المراد تخصيصه بالمسند اليه كقوله عز وعلا لكم دينكم ولي دين

كقولك لمن يقول زيد اما قائم واما قاعد فيردده بين القيام والقعود
من غير ان يخصصه باحدهما قائم هو وقولهم تميمي انا وارد على هذا
وسيأتيك في هذا المعنى في فصل القصر كلام او لان المراد التنبيه
على انه خبر لا نعت كقوله تحت راسي سرج وعلى الهودج
له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر
وقوله لها حلق ضيق لو ان ضيفه فؤادك لم يخطر ببالك ما جرى
وقوله لكل جديد لذة غير انني وجدت جديد الموت غير لذيذ
وقوله عند الملوك مضرة ومنافع وارى البرامك لا تضر وتنفع
وقوله اغر ابلج تأتم الهداة به كانه علم في راسه نار
وقوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وما شاكل ذلك
فان النعت لا يتقدم على المنعوت والذى يقال جاني والكبار رجل و
انما يصار الى هذا التنبيه لان الظرف بتأخره عن المنكر يكون بالحمل
على الوصف اولى منه بالحمل على الخبر لامرين متعاضدين في ذلك
استدعاء المنكر في مقام الابتداء ان يوصف ليتقوى بذلك فائدة
الحكم كما سبق في الفن الثاني وصلاحية الظرف ان يكون صفة

ولذلك لا يجب تقديم الظرف على المنكر اذا كان موصوفا قال
الله تعالى واجل مسمى عنده وان هذا التقديم ملتزم مع مسند اليه غير
مصدر اما مع المصدر فنحو سلام عليك وويل لك فلا يقدم فان
ظرف لاحق في التاخير عن مسند اليه ذلك قبل صيرورته مبتدا اذ ذلك
ولك سلاما عليك بالنصب منزلا منزلة اسلم عليك مفيدا للتجدد ولذلك
ظرف ليس له ذلك او ان يكون قلب السامع معقودا به كقولك
لمن سالك خصمك لمن يتوقع ذلك او لانه صالح للتفاؤل او للاهتمام عند القائل
كما اذا قلت عليه من الرحمن ما يستحقه او كقوله
سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام وقوله
وليس يعف في المودة شافع اذا لم يكن بين الضلوع شفيع او ان يكون
المراد بتقديمه تشويق الى ذكر المسند اليه كقوله
ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحق والقمر وقوله
وكالنار الحياة فمن رماد اواخرها واولها دخان ويحسن هذا الاعتبار
تطويل الكلام في المسند والا لم يحسن ذلك الحسن او لان يكون
المراد بالجملة افادة التجدد دون الثبوت فيجعل المسند فعلا

ويقدم المسند على ما يسند اليه في الدرجة الاولى وقولي في الدرجة
الاولى احتراز عن نحو انا عرفت وانت عرفت وزيد عرف فان الفعل
فيه يسند الى ما بعده من الضمير ابتداء ثم بوساطة عوده ذلك الضمير
الى ما قبله يسند اليه في الدرجة الثانية واذا سلكت هذه
الطريقة سلكت باعتبارين مختلفين احدهما ان يجري الكلام على
الظاهر وهو ان انا مبتدأ وعرفت خبره وكذلك انت عرفت و
هو عرف ولا يقدر تقديم وتأخير كما اذا قلنا زيد عارف او
زيد عرف اللهم الا في اللفظ وثانيهما ان يقدر اصل النظم
عرفت انا وعرفت انت وعرف هو ثم يقال قدم انا وانت وهو
فنظم الكلام بالاعتبار الاول لا يفيد الا تقوي الحكم وسبب تقويه
هو ان المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي ان يسند اليه شيء فاذا جاء
بعده ما يصلح ان يسند اليه صرفه المبتدأ الى نفسه فينعقد
بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضمير المبتدأ نحو زيد غلامك او كان
متضمنا له نحو انا عرفت وانت عرفت وهو عرف او زيد عرف
ثم اذا كان متضمنا لضميره صرف ذلك الضمير الى المبتدأ له

ثانيا فيكتسي الحكم قوة فاذا قلت هو يعطي الجزيل كان المراد تحقيق
اعطائه الجزيل عند السامع دون تخصيص اعطاء الجزيل
به وعليه قوله عز وعلا واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون ليس المراد ان شيئا سواهم لا يخلق انما المراد تحقيق
انهم يخلقون وقوله ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى
الصالحين وقوله وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير
فهم يوزعون وقوله واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به وكذلك اذا قلت انت لا تكذب كان اقوى للحكم
بنفي الكذب عن المخاطب من قولك لا تكذب من غير شبهة ومن
قولك لا تكذب انت فان انت هنا لتأكيد المحكوم عليه بنفي الكذب
عنه بانه هو لا غيره لا لتأكيد الحكم فتدبر وعليه قوله تعالى والذين
هم بربهم لا يشركون وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون
وقوله فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وقوله ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ويقرب من قبيل انا عرفت
وانت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوي الحكم زيد عارف وانما قلت

يترتب دون أن أقول هو نظيره لأنه لما لم يتفاوت في الحكاية
الخطاب والغيبة في أنا عارف ولست عارف وهو عارف أشبه
الخالي عن الضمير ولذلك لم يحكم على عارف بأنه جملة ولا عومل معاملتها
في البناء حيث أعرب في نحو رجل عارف ورجلا عارفا ورجل عارف
كما عرف في علم النحو واتبعه في حكم الإفراد نحو زيد عارف أبوه
بالاعتبار الثاني مفيد التخصيص قال الله تعالى ومن أهل المدينة
مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم أي المراد لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على
أسرارهم غيره لإبطانهم الكفر في سويداوات قلوبهم وسيأتيك بيانه
في فصل التقديم والتأخير ونظيره قولنا أنا عرفت في اعتبار الابتداء
لكن على سبيل القطع فإن زيد عرفت أو عرفته وفي اعتبار التقديم
زيدا عرفت الرابع يفيد تخصيص أنك عرفت زيدا والنصب يفيد أنك
خصصت زيدا بالعرفان وأما زيدا عرفته فأنت بالخيار إن شئت
قدرت المفسر قبل المنصوب على نحو عرفت زيدا عرفته وحملته على
باب التأكيد وإن شئت قدرته بعد على نحو زيدا عرفت عرفته
وحملته على باب التخصيص وأما نحو قوله وأما ثمود فهديناهم

فيمن قرأ بالنصب فليس إلا التخصيص لامتناع أما فهدينا ثمود
وأما نحو زيد عرف وزيد عرف فليسا من قبيل هو عرف في
احتمال الاعتبارين على السواء بل حق المعرف حمله على وجه تقوي
الحكم وحق المنكر حمله على وجه التخصيص وإنما افترق الحكم بين
الصور الثلث لأنا إذا قلنا عرف هو لم يكن هو فاعلا لما عرف في علم
النحو أن ضمير الفاعل لا ينفصل إلا إذا جرى الفعل على غير ما هو له
في موضع الإلباس وإذا تقدم عليه إلا صورة كنحو ما ضرب إلا هو
أو معنى كنحو إنما يدافع عن أنا إذ المعنى ما يدافع إلا أنا وإذا لم يكن
هو فاعلا احتمل التقديم على الفعل فإذا قلنا هو عرف كان له ذلك
الاحتمال مع احتمال الابتداء لكونه في موضعه وكونه مع ذلك على
شرطه في قوة الفائدة بالإخبار عنه وهو تعرفه وإذا قلنا عرف
زيد كان زيد مرفوعا بعرف لقلة نظائر وأسروا النجوى الذين
ظلموا وحينئذ لا يكون إلا المقدم على الفعل كما سبق في علم النحو
فلا يكون لقولنا زيد عرف غير احتمال الابتداء اللهم إلا إذا سلك
الوجه البعيد ولا يرتكب عند المعرف لكونه على شرط المبتدأ

وانما يرتكب عند المنكر لفوات الشرط اذا لم يمنع عن التخصيص مانع
كما اذا قلت رجل جاءني لصحة ان يراد الجائي رجل لا امرأة اتبعها
السامع دون قولهم شر اهر ذا ناب لامتناع ان يراد المهر لذي ناب
شر لا خير اللهم الا اذا حملت التخصيص على وجه آخر وهو الافراد
على تقدير رجل جاءني لا رجلان فانه محل يصار اليه كثيرا عند علماء
هذا النوع وشر اهر ذا ناب لا شران لكن بهذا الوجه يكون نائيا
عن مظان استعماله واذ صرح الائمة رحمهم الله بتخصيصه حيث
تأولوه بما اهر ذا ناب الا شر فالوجه تفظيع شأن الشر بتنكيره
كما سبق فهو محز ولما عرفت ان بناء الفعل على المبتدأ اقوى
للحكم زعم انهم اذا استعملوا لفظ المثل ولفظ الغير على طريق الكناية
نحو مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل وغيرك لا يجود بمعنى انت تجود
من غير ارادة التعريض بلفظي المثل والغير على انسانين يقصد اليهما
لا يكادون يتركون تقديمهما لكونه اعون للمعنى المراد بهما اذ ذاك
ويحقق هذا في علم البيان **فصل** واعلم ان للفعل ولما
يتعلق به اعتبارات مجموعها راجع الى الترك والاثبات ورابطها

التقديم والتأخير فلا بد من التكلم هناك ومن التكلم
على الخصوص في تقييده اعني الفعل بالقيود الشرطية فنقول
اما الترك فلا يتوجه الى فاعله كما عرف في علم النحو وانما يتوجه الى
نفس الفعل او الى غير الفاعل لكنه لا يتضح انضباطا ظاهرا الا
في المفعول به كما ستقف عليه **اما** الحالة المقتضية لترك الفعل
فهي ان تغني قرائن الاحوال عن ذكره ويكون المطلوب هو الاختصار
او اتباع الاستعمال الوارد على تركه كما اذا اردت ضرب المثل بقولهم
الا حظية فلا الية او بقولهم لو ذات سوار لطمتني او غير ذلك
مما هو مضروب في هذا الباب او على ترك نظائره كما اذا قلت
ان زيدا جاء او عمرو ذهب وتلك القرائن كثيرة واما الضبط لكل
منها ههنا فما تتعين به على ذكر ما يستند عن الضبط فاقول
والله الموفق للصواب **منها** ان يكون مفسرا كنحو ان ذو لوثة
ولو ذات سوار لطمتني وهلا الذي كذا حضر واذا السماء انشقت
ونحو ان يذهب او وهب به او ذهب اخوه وعمرو واياي فان هو
كما سبق له التعرض في علم النحو **ومنها** ان يكون هناك حرف اضافة

فان حروف الاضافة لوضعها على ان تفضي معاني الافعال الى الاسماء
لا تنفك عن الافعال الا ان دلالتها لا تخطر الفعل المطلق فاذا اريد
تقييده احتيج الى دلالة اخرى ثم هي تتفاوت فتارة تكون الشروع
فيه كما اذا قلت عند الشروع في القراءة بسم الله فانه يفيد ان
المراد بسم الله اقرأ او عند الشروع في القيام او القعود او اي
فعل كان فانه يفيد ذلك وتارة تكون الاقتران كقولك لمن
اعرس بالرفاء والبنين او لمن قوض لليل ان يختار الليل الاختيار
فانه يفيد بالرفاء اعرست والليل تقوض وتارة تكون عموم الاستعمال
كنحو في الدار او في البلد او في كذا فانه لا يراد الا معنى الحصول وتارة
تكون غير ذلك من مقتضيات الاحوال فقس ومنها ان تكون
الكلام جوابا للسؤال واقع نحو ان تسمع منك يكتب القرآن اي فتسأل
من يكتبه فتقول زيد فتكون الحال مغنية عن ذكر يكتب و
عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله وقوله تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها ليقولن الله او جوابا للسؤال مقدر مثل ان تقول لمن كتب

القرآن اي زيد وعليه بيت الكتاب
ليبك يزيد ضارع لخصومة وقراءة من قرأ يسبح له فيها بالغدو
والآصال رجال وكذلك يوحى اليك ربك ببناء الفعل للمفعول
في البيت وفي الآيتين وحمل البناء على السؤال المقدر ما سوغ المخصوص
في باب نعم وبئس على احد القولين وعسى ان تتعرض في فصل
الايجاز والاطناب لهذا الباب ولان هذا التركيب متى وقع موقعه
رفع شأن الكلام في باب البلاغة الى حيث يناطح السماك وموقعه
ان يصل من بليغ عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات الاحوال سائر
في اقتضاب الكلام ماهر في افانين السحر الى بليغ مثله مثل الدرر الثمينة
لا ترى درجتها تعلو ولا قيمتها تغلو ولا تشترى بثمنها ولا تجري في
على سننها ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشأنها والراغب فيها خبيرا
بمكانها وثمن الكلام ان يوفى من ابلغ الاصغاء واحسن الاستماع
وان يتلقى من القبول له والاهتزاز باكمل ما استحقه ولا يقع ذلك
ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام ومعتقدا بان المتكلم تعمدها
في تركيبه للكلام عن علم منه فان السامع اذا جهلها لم يميز بينه

وبين ما دونه وربما انكره وكذلك اذا اساء بالمتكلم اعتقاده ربما نسبه
في تركيبه ذلك الى الخطاء وانزل كلامه منزلة ما يليق به من الدرجة
النازلة ومما يشهد لك بهذا ما يروى عن علي رضي الله عنه انه كان
يشيع جنازة فقال له قائل من المتوفي بلفظ اسم الفاعل سائلا عن
المتوفى فلم يقل فلان بل قال الله تعالى ردا لكلامه عليه مخطئا اياه
منبها له بذلك على انه كان يجب ان يقول من المتوفى بلفظ اسم المفعول
ويقال ان هذا الواقع كان احد الاسباب التي دعته الى استخراج علم النحو
فامر ابا الاسود الدؤلي بذلك فاخذ فيه فهو اول ائمة علم النحو رضوان
الله عليهم اجمعين وما فعل ذلك كرم الله وجهه الا لانه عرف من
السائل انه ما اورد لفظ المتوفي على الوجه الذي يكسوه جزالة في
المعنى وفخامة في الايراد وهو وجه القراءة المنسوبة اليه والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا بلفظ بناء الفعل للفاعل من ارادة معنى والذين
يستوفون مدد اعمارهم واذا عرفت هذا فنقول في التركيب الذي
نحن فيه من مثل كتب القرآن لي زيد برفع زيد مع بناء الفعل للمفعول
جهات الحسن ومزايا نتلوها عليك لتكون ذريعة الى ذلك ما سواها

اذا شئت نابها بصيرتك منها ان الكلام متى نسج على هذا المنوال
ناب مناب الجمل الثلث احدها كتب القرآن لي والثانية الجملة
المدلول عليها بان يقال ومن كتبه والثالثة زيد مع الرافع المقدر
ومن كتبه زيد بخلافه اذا قيل كتب القرآن لي زيد بلفظ المبني
للفاعل ولا شبهة ان الكلام متى كان اجمع للفوائد كان ابلغ ومنها
ان الكلام متى سيق هذا المساق كان كل واحد من لفظي القرآن
فيه يعد فضلة والتقريب ظاهر ومنها ان الكلام متى سلك
هذا المسلك لم يكن اول الامر مطمعا في ذكر الكاتب فاذا اورد السامع مع
فائدة ذكره كانت حاله كمن تيسر له غنيمة من حيث لا يحتسب بخلافه
في النظم الآخر ومنها ان الكلام على ذلك النظم يكون كالمتناقض
من حيث الظاهر لان كون القرآن مفعولا فضلة فيه يكون مؤذنا بان
مساس الحاجة اليه دون مساس الحاجة الى الفاعل وكونه متقدما فيه
على الفاعل يكون مؤذنا بالاعتناء بشأنه وان مساس الحاجة اليه
فوق مساس الحاجة الى الآخر بخلافه في هذا النظم فانه يكون سليما
عن ذلك وفي هذا الوجه نظر يذكر في الحواشي ومنها ان الكلام

في التركيب الذي نحن فيه يفيد الاسناد اليه من وجه واحد
فيكون هذا التركيب ابلغ ومن قبيل ما نحن بصدده قوله تعالى
وجعلوا لله شركاء الجن فلله شركاء مفعولا جعلوا وانتصاب الجن
بفعل مضمر دل عليه السؤال المقدر ومن جعلوا شركاء واما
الحالة المقتضية لاثبات الفعل فاشتمال المقام على جهة من
جهات الاستدعاء له واللفظ به مما نبهت على امثالها غير مرة واما
الحالة المقتضية لترك مفعوله فهي القصد الى التعميم والامتناع عن
ان يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار وانه احد
انواع سحر الكلام حيث يتوصل بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى كقولهم في
باب المبالغة فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع ويبني ويهدم يعني
ويقدم في قوله عز وعلا والله يدعو الى دار السلام او القصد الى
نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم ذهابا في نحو فلان يعطي
الى معنى يفعل الاعطاء ويوجد هذه الحقيقة ايهاما للمبالغة بالطريق
المذكور في افادة اللام للاستغراق وعليه قوله عز وعلا فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون المعنى وانتم من اهل العلم والمعرفة او القصد

الى مجرد الاختصار لنيابة قرائن الاحوال عن ذكره كقوله عز وعلا
اهذا الذي بعث الله رسولا اذ ليس ان المراد اهذا الذي بعثه
الله رسولا لاستدعاء الموصول الراجع اليه من الصلة وقوله ارني انظر
اليك لاتضاح ان المراد ارني ذاتك وقوله ولما ورد ماء مدين
وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين
تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لانصباب الكلام
الى انهم يسقون مواشيهم وتذودان غنمهما ولا نسقي غنمنا حتى يصدر
الرعاء مواشيهم وقوله ولو شاء لهداكم لظهور ان المراد ولو شاء
هدايتكم لهداكم ولكن انتظم قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون في
هذا السلك على تقدير وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون
ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله
كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واكثر فواصل القرآن
من نحو تعلمون تعقلون تفقهون وارد على ما سمعت من الاحتمالين وقوله
اذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والساسما وقوله
فان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت مخافة ملوي من القد محصد

وقوله لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده

او الرعاية على الفاصلة كنحو والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك

وما قلى او استهجان ذكره كقول عائشة رضي الله عنها ما رأيت

منه ولا رأى مني تعني العورة او القصد الى اعتبار غير ذلك من

الاعتبارات المناسبة للترك واما الحالة المقتضية لاثباته بذكره

فعراء المقام عما ذكر او القصد الى زيادة تقريره وبسط الكلام

او الرعاية على الفاصلة كقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا

تليها وما شاكل ذلك من الجهات المعتبرة في باب الاثبات واما

الحالة المقتضية لاضمار فاعله فهي كون المقام حكاية او خطابا

كقولك عرفت وعرفت او كون الفاعل مسبوقا بالذكر كقولك جاءني رجل

وطلب مني كذا او في حكم المسبوق به كنحو قوله في مطلع القصيدة

زارت عليها للظلام رواق ومن النجوم قلائد ونطاق

وقوله في الافتتاح قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد ابلغت اسماعي

واما الحالة المقتضية لكونه مظهرا فهي كون المقام على خلاف

ما ذكر او كونه مستدعيا زيادة التعيين والتمييز كقولك جاءني رجل

فقال ذلك الرجل كذا او مستدعيا للالتفات كقول الخلفاء امير

المؤمنين كذا مكان انا نرسم كذا واما اعتبار التقديم والتاخير مع

الفعل فعلى ثلاثة انواع احدها ان يقع بين الفعل وبين ما هو فاعل

معنى كنحو انا عرفت وانت عرفت وهو عرف دون زيد عرف وثانيها

ان يقع بينه وبين غيره ذلك كنحو زيدا عرفت وبدرهما اعطيت وعمرا

منطلقا علمت وثالثها ان يقع بين ما يتصل به كنحو عرف زيدا عمرا

وعرف عمرا زيد وعلمت زيدا منطلقا وعلمت منطلقا زيدا وكسوت

عمرا جبة وجبة عمرا ولكل من ذلك حالة تقتضيه فالحالة

المقتضية للنوع الاول هي ان يكون هناك وجود فعل وعالم به

لكنه مخطئ في فاعله او في تفصيله وانت تقصد ان ترده الى الصواب

كما تقول انا سعيت في حاجتك انا كفيت مهمك تريد دعوى الانفراد

بذلك وتقرير استبداده وترد بذلك على من زعم ان ذلك كان

من غيرك او ان غيرك فعل فيه ما فعلت ولذلك اذا اردت التاكيد

قلت للزاعم في الوجه الاول انا كفيت مهمك لا عمرو او لا غيري

وفي الوجه الثاني انا كفيت مهمك وحدي وتوأمهم في المثل

إن تعلمني بخبر أنا حريص شاهد صدق على ما ذكر عند من له ذوق
وليس إذا قلت سعيت في حاجتك أو سعيت أنا في حاجتك بحال أن
يكون أن عند السامع وجود سعي في حاجته قد وقع خطأ منه
في موجبه أو تفصيله فتقصد إزالة الخطأ بل إذا قلته لشد أو
منبئًا إياه وجود السعي في حاجته منك غير مشوب بجواز لو
سهو أو نسيان صح وهذا ما حكيته عن قوم شعيب وما أنت علينا بعزيز
لا أنت لكونهم من أهل ديننا ولذلك قال عليه السلام في جوابهم أرهطي
أعز عليكم من الله أي من نبي الله ولو أنهم كانوا قالوا وما عززت علينا
لم يصح هذا الجواب ولا طابق ولذلك يمتنع أن يقال في النفي
عند التقديم ما أنا سعيت في حاجتك ولا أحد سواي لاستلزام
أن يكون سعى في حاجته غيرك لا أنت ولأن لا يكون سعى في حاجته
غيرك ولا أنت ولا يمتنع أن يقال ما سعيت في حاجتك ولا أحد غيرك
وكذلك إذا كنت نقلت ما سعيت أنا في حاجتك ولا أحد غيري
ولذلك أيضا يستهجن أن يقال في النفي عند التقديم ما أنا رأيت
أحدًا من الناس لاستلزامه أن يكون قد اعتقد فيك معتقد أنك رأيت

كل أحد في الدنيا فيثبت أن يكون رآه ولم يستهجن أن يقال ما رأيت
أحدًا من الناس أو ما رأيت أنا أحدًا من الناس ويحترز عن أن يقال
عند التقديم ما أنا ضربت إلا زيدًا لأن نقض النفي بإلا يقتضي أن تكون
ضربت زيدًا وتقديمك ضميرك وإيلاءه حرف النفي يقتضي نفي أن تكون
ضربته والمختار أن يقال ما ضربت إلا زيدًا أو ما ضربت أنا إلا زيدًا
والحالة المقتضية للنوع الثاني هي أن يكون هناك من اعتقد
أنك عرفت إنسانًا وأصاب لكن أخطأ فاعتقد ذلك الإنسان غير زيد
وأنت تقصد رده إلى الصواب فتقول زيدًا عرفته وإذا قصدت التأكيد
والتقرير قلت زيدًا عرفت لا غيره ولذلك يمتنع أن يقال ما زيدًا ضربت
ولا أحدًا من الناس لأنه يفهم أن يقال ما ضربت زيدًا ولا أحدًا غيره
والنهي لا [illegible] مقصور على الحالة المذكورة أما إذا ظن بك القائل ظنًّا فاسدًا
أنك تعتقد أنه ضرب عمرًا أي أنك تعتقد كون زيد مضروبًا ثم قال
لك مدعيًا في الصورة الأولى زيدًا ضربت وفي الثانية أنا ضربت زيدًا
فيصح منك أن تقول ما زيدًا ضربت ولا أحدًا من الناس أو ما أنت ضربت
زيدًا ولا أحد غيرك فتأمل فالفرق واضح وكذلك امتنعوا أن يقال ما زيدًا

ضربت ولكن اكرمته فتعقب الفعل المنفي باثبات فعل هو ضده لان
مبنى الكلام ليس على ان الخطاء وقع في الضرب فترده الى الصواب
في الاكرام وانما مبناه على ان الخطاء وقع في المضروب حين اعتقد
زيدا فرده الى الصواب ان تقول ولكن عمرا ولكنك اذا قلت بزيد
مررت افاد ان سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد فافادت
عند الخطاء مختصا مرورك بزيد دون غيره والتخصيص لازم للتقديم
ولذلك تسمع ائمة علم المعاني في معنى اياك نعبد واياك نستعين يقولون
نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة مثل لا نستعين
احدا سواك وفي معنى ان كنتم اياه تعبدون يقولون ان كنتم تخصونه
بالعبادة وفي معنى قوله وبالآخرة هم يوقنون يذهب الى انه تعريض
بان الآخرة التي عليها اهل الكتاب فيما يقولون انه لا يدخل الجنة
فيها الا من كان هودا او نصارى وانها لا تمسهم النار فيها الا اياما معدودات
وان اهل الجنة فيها لا يتلذذون في الجنة الا بالنسيم والارواح العبقة
والسماع اللذيذ ليست بالآخرة وايقانهم بمثلها ليس من الايقان بالتي
هي الآخرة عند الله في شيء ويستعرف التعريض في علم البيان وفي قوله

وفي قوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يقولون اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت ثانيا لان الغرض في الاول
اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم وفي قوله لالى الله تحشرون يقولون اليه لا الى غيره
وترى بهم في قوله وارسلناك للناس رسولا يحملون تعريف الناس على
الاستغراق ويقولون المعنى لجميع الناس رسولا وهم العرب والعجم لا
للعرب وحدهم دون ان يحملوه على تعريف العهد او تعريف الجنس
لئلا يلزم من الاول اختصاصه ببعض الانس اذ قوبل في مقابلة كلهم
ومن الثاني اختصاصه بالانس دون الجن ولافادة التقديم عندهم
التخصيص ترى ائمتهم يفرعون على التقديم ما يفرعون على نفس التخصيص
فكما اذا قيل ما ضربت اكبر اخويك يذهبون الى انه ينبغي ان يكون ضاربا
للاصغر بدليل الخطاب يذهبون ايضا اذا قيل ما زيدا ضربت الى انه
ينبغي ان يكون ضاربا لانسان سواه ولذلك يمنعون ان يقال ما زيدا
ضربت ولا احدا من الناس بل لا يمنعون ان يقال ما ضربت زيدا
ولا احدا من الناس وتسمعهم في قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها

يبزون يقولون قدم الظرف تعريضا بخمور الدنيا وان المعنى هي
على الخصوص لا تغتال العقول اغتيال خمور الدنيا ويقولون في قوله
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه يمتنع تقديم الظرف على الاسم لا لانه اذا
قدم افاد تخصيص نفي الريب بالقرآن ويرجح دليل خطاب
على ان في سائر كتب الله ريبا وعلى هذا متى قلت اذا خلوت قرأت القرآن
افاد تقديم الظرف اختصاص قراءتك وترجع الى معنى لا اقرأ الا اذا
خلوت فافهم وانما لزم التقديم اسند عليه الحكم ثبوتا ونفيا حتى
قامت الجملة في نحو انا ضربت زيدا مقام ضربت زيدا ولم يضربه غيري
وفي نحو ما انا ضربت مقام ما ضربت زيدا وضربت غيره وفي نحو اذا
خلوت قرأت القرآن مقام اقرأ القرآن اذا خلوت ولا اقرأ اذا لم اخل
لما عرفت ان حالة التقديم هو ان ترى سامعك يعتقد وقوع فعل
وهو مصيب في ذلك لكنه مخطئ في الفاعل او المفعول او غير ذلك
من متعلقات الفعل وانت تقصد رده الى الصواب فاذا نفيت ما كان
يعتقده من الفاعل او المفعول استدعى المقام غير ذلك فيجمع
لذلك بينك للنفي مع الاثبات لمن سواه واذا اثبت غير من كان

اعتقده استدعى المقام نفي من اعتقده لكونه خطأ فتجمع اثباتك للمثبت
مع النفي للمنفي ومفيد التقديم في جميع ذلك وراء ما سمعت نوع اهتمام
بشأن المقدم وعلى المؤمن في نحو بسم الله اقرأ او اكتب وكاني بك
تقول فما بال اقرأ باسم ربك متقدم الفعل على المفعول وان كلام الله
احق ما يجب رعايته فالوجه عندي ان يحمل اقرأ على معنى افعل
القراءة واوجدها على نحو ما تقدم في قولهم فلان يعطي ويمنع في
احد الوجهين غير معدى الى مفعول به وان يكون باسم ربك مفعول
اقرأ الذي بعده والحالة المقتضية للنوع الثالث هي كون
العناية بما يقدم اتم وايراده في الذكر اهم والعناية التامة بتقديم
ما يقدم والاهتمام بشأنه نوعان احدهما ان يكون اصل الكلام
في ذلك هو التقديم ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو الى العدول
عنه كالمبتدأ المعرف فان اصله التقديم على الخبر نحو زيد عالم
وكذي الحال المعرف فاصله التقديم على الحال نحو جاء زيد راكبا
وكالعامل فاصله التقدم على معموله نحو عرف زيد عمرا او كان
زيد عارفا وان زيدا عارف وهو من زيد وغلام عمرو وكالفاعل فاصله

التقدم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز نحو ضرب زيد
الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضربا شديدا تأديبا له ممتلئا من
الغضب وامتلأ الإناء ماء وكالذي يكون في حكم المبتدأ أو من معمولي
باب علمت نحو علمت زيدا منطلقا أو في حكم فاعل من مفعولي باب أعطيت
وكسوت نحو أعطيت زيدا درهما وكسوت عمرا جبة فزيد عاط
وعمرو مكتس فحقهما التقدم على غيرهما وكالمفعول المتعدى إليه
بغير وساطة فأصله التقدم على المتعدى إليه بوساطة نحو ضرب
الجاني بالسوط وكالتوابع فأصلها أن تذكر مع المتبوع فلا يتقدم عليها
غيرها نحو جاءني زيد الطويل راكبا وعرفت أنا زيدا وكذلك عرفت أنا
وفلان زيدا وغير ذلك مما عرف له في علم النحو موضع من الكلام بحق
الأصالة بالإطلاق وثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاهتمام بشأنه
لكونه في نفسه نصب عينك وأن التفات الخاطر إليه في التزايد كما
تجدك إذا أذاقك نباغ الهجر وحرمك روح في حرمته فقيل
لك ما الذي تتمنى تقول وجه الحبيب أتمنى فتقدم أو كما تجدك إذا قال لك
أحد عرفت شركاء الله أو لعارض يورث ذلك كما إذا أخذت في

وتقول تمت القراءة لأحوال من لست معه في الحديث شغلت الخاطر إلى
معنى منتظر من مسائل الحديث الملك به فيبرز ذلك المعنى عندك
في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضي ساعة فساعة فكما تجد له مجالا
في الذكر صالحا لا تتوقف أن تذكره مثل أن تقول لصاحبك أعجبني
المسألة الفلانية من كتابك وتأخذ في كيت وذيت وله كتاب آخر
فيه مسائل فتحدس أن كتابه الآخر واقع في ذهنه وهو كالمنتظر مثل
تورده في الذكر فتقول وأعجبني من كتابك الآخر المسألة الفلانية
فيتقدم المجرور على المرفوع أو كما إذا وعدت بالإنشاء تستبعد وقوعه
فإنك حال التفات خاطرك إلى وقوعه من جهة تبعد ومن جهة أخرى
أدخل في تبعيده تجد تفاوتا في إنكارك إياه ضعفا وقوة بالنسبة
والامتناع إمكانه بدون القصد إليه فتتبع تفاوته ذاك تفاوتا
في القصد إليه والاعتناء بذكره فأنت في الأول إذا أنكرت أي حب
البلاغة أن تقول شيء حاله في البعد من الوقوع مثله أنى يكون
لقد وعدت أنا وأبي وجدي هذا إن هو إلا من خرافات
المموهين أصحاب التلبيس فتذكر المنكر بعد المرفوع في موضعه

من الكلام وان تقول في الثاني شي حاله في البعد عن الوقوع الى
هذه الغاية على من يروج لقد علمت سعد انا وابي ونجلي فتقدم
المنكر على المرفوع او كما اذا اعرفت في التاخير انما مثل الذي في قولك
رأيت الجماعة من محبيك التي رأت ثم دنت اذا اردت من محبيك افادة
ان الجماعة المرئية جماعة من محبيك من غير شبهة وهو مراد كل واحد
اخرت افادت اشتباه لاحتمال ان يكون من محبيك صلة دنت او
مثل الذي في قولك الحمد لله الذي بعث بالحق عيسى والذي هو دون
موسى اذا اخرت المجرور بطل التبجح ولهذا العارض من التنقية فات
جلاء وخفاء لطيفا والطف والخواطر في مضمارها تتباين فمن ضلع
لا يشق غباره ومن ظالع لا يؤمن عثاره وليس السبق هناك بمجرد الكد
بل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولله در امر التنزيل واحاطته
لطائف الاعتبارات في ايراد المعنى على انحاء مختلفة بحسب مقتضيات
الاحوال لا ترى شيئا منها مراعى في كلام البلغاء من وجه لطيف الا
عثرت عليه مراعى فيه من الطف وجوه وانا القى اليك من القرآن
عدة امثلة مما نحن فيه لتستضئ بها فيما عسى يظلم عليك من نظائرها



اذا اجبت ان تحذها مسارح نظرك منها ان قال عز من قائل
في سورة القصص في قصة موسى وجاء رجل من اقصى المدينة
فذكر المجرور بعد الفاعل وهو موضعه وقال في يس في قصة رسل
عيسى وجاء من اقصى المدينة رجل فقدم لما كان اهم يبين ذلك
انه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة اصحاب
القرية الرسل وانهم اصروا على تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستشرين
على باطلهم فكان مظنة ان يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية
قائلا ما انكدها تربة وما اسوءها منبتا ويبقى مجيلا في فكره اكانت تلك
المدرة بحافاتها كذلك ام كان هناك قطر دان او قاص منبت
خير منتظرا لمساق الحديث هل يلم بذكره فكان لهذا العارض
مهما فلما جاء موضع لصالح ذكرى بخلاف قصة موسى ومنها ان
قال في سورة المؤمنين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا فذكر بعد المرفوع
وما يتبعه المنصوب وهو موضعه وقال في سورة النمل
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا فقدم لكونه فيها اهم يدلك على
ذلك ان الذي قبل هذه الآية اذا كنا ترابا وآباؤنا والذي قبل

لاولى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما فالجهة المنظور فيها هناك هي
كون انفسهم وكون آبائهم ترابا وعظاما والجهة المنظور فيها ههنا
هي كون انفسهم وكون آبائهم ترابا لا جزء هناك من بنائهم على صورة
نفسه ولا شبهة انها ادخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة
الاعتناء بالقصد الى ذكره فصيّره هذا العارض اهم ومنها انه قال
في موضع من سورة المؤمنين فقال الملأ الذين كفروا من قومه فذكر المجرور
بعد صفة الملأ وهو موضعه كما تعرف وفي موضع آخر منها فقال
الملأ من قومه الذين كفروا فقدم المجرور لعارض صيّره بالتقديم
اولى وهو انه لو اخر عن الوصف وانت تعلم ان تمام الوصف بتمام
ما يدخل في صلة الموصول وتمامه واترفناهم في الحيوة الدنيا لاحتمل
ان يكون من صلة الدنيا واشتبه الامر في القائلين انهم من قومه ام لا
ومنها انه قال في سورة طه آمنّا برب هرون وموسى وفي سورة الشعراء
رب موسى وهرون للمحافظة على الفاصلة ولنقتصر من الامثلة على
ما ذكر فما كان الغرض الا مجرد التنبيه دون التتبع لنظائرها في القرآن
وتفصيل القول فيها خاتمين الكلام بان جميع ما وقعت اذناك من

التفاصيل في هذه الانواع الثلاث من فصل التقديم والتأخير هو
مقتضى الظاهر فيها وقد عرفت فيما سبق ان اخراج الكلام لا
على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيرا بتنزيل نوع مكان نوع
باعتبار من الاعتبارات فليكن على ذكر منك ولما الحالات
المقتضية لتقييد الفعل بالشرط المختلفة كان ولما واذا واذا ما
ومتى ومتى ما واين واينما وحيثما ومن وما ومهما وانّى واي وكلو
فالذي يكشف عنها القناع هو الكلام على ما بين هذه الكلم من التفاصيل
اما ان فهي للشرط في الاستقبال والاصل فيها الخلو عن الجزم
بوقوع الشرط كما يقول القائل ان تكرمني اكرمك وهو لا يعلم ايكرمه
ام لا فاذا استعملت في مقام الجزم لم تخل عن نكتة ومنها اتيان التجاهل
لاستدعاء المقام اياه واما ان المخاطب ليس بجازم كما تقول لمن يكذبك
فيما انت تخبر ان صدقت فقل لي ماذا تعمل واما تنزيل المخاطب
منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم كما قد يقول الاب لابن لا يراعي
حقه افعل ما شئت اني ان لم اكن لك ابا كيف تراعي حقي ولامتناع
الجزم بتحقق المعلق بما في تحققه شبهة فلما يترك المضارع في بليغ الكلام

الى الماضي المؤذن بالتحقق نظرا الى لفظه لغير نكتة مثل ما ترى
في قوله جلت كلمته ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ترك يردوا الى لفظ الماضي لكن
لم يكن نكتة وداديهم لكفرهم من الشبهة ما كان نحملها كونهم ان يثقفوهم
اعداء لهم وباسطي الايدي والسنة اليهم للقتل والشتم واذا للشرط
في الاستقبال قال الله تعالى ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم
يشركون على نحو وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون
بادخال اذا في الجزاء والاصل فيها القطع بوقوع الشرط كما اذا قلت
اذا طلعت الشمس فاني افعل كذا قطعا اما تحقيقا كما في المثال المضروب
او باعتبار خطابي وهو النكتة في تغليب لفظ الماضي معه على المستقبل
في الاستعمال لكون الماضي اقرب الى القطع من المستقبل في الجملة
نظرا الى اللفظ قال الله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه بلفظ اذا في جانب الحسنة
حيث اريدت الحسنة المطلقة لا نوع منها كما في قوله تعالى وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وفي قوله تعالى ولئن اصابكم فضل

من الله ليقولن لكون حصول الحسنة المطلقة مقطوعا به كثرة وقوع
واتساعا ولذلك عرفت ذهابا الى كونها معهودة او تعريف جنس
والاول اقضى لحق البلاغة وبلفظ ان في جانب السيئة مع تنكير
السيئة اذ لا تقع الا في الندرة بالنسبة الى الحسنة المطلقة ولا يقع
الا شيء منها ولذلك قيل قد عددتم ايام البلاء فهل عددتم ايام الرخاء
ومنه واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون بلفظ اذا في جانب الرحمة وكان تنكيرها لقصد
النوع للنظر الى لفظ الاذاقة فهو المطابق للبلاغة واما قوله وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وان كنتم في ريب من البعث بلفظ
ان مع المرتابين فاما لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على
ما يقلعها عن اصلها وتصوير ان المقام لا يصلح الا لمجرد الفرض للارتياب
كما قد تفرض المحالات متى تعلقت بفرضها اغراض كقوله تعالى
ولو سمعوا ما استجابوا لكم بالضمير في سمعوا للاصنام ومثالي ان سالت
يا ظالم تضربني ومثله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين فيمن
قرأ ان بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الاسراف مصورا

أن الإسراف من العاذل في مثل هذا المقام واجب الانتفاء حقيق أن لا يكون
ثبوته إلا على مجرد الفرض ومنه ما قد يقول العامل عند
التقاضي بالعمالة إذا امتد التسويف واتخذ يترجم عن الحرمان إن كنت
لم أعمل فقولوا أقطع الطمع بينهم لتوهم أن يخرجوه منزلة من لا يعتقد
أنه عمل فيقول مجهلا إن اعتقدتم أني لم أعمل فقولوا إن لكم وآية التغليب
غير المرتابين ممن خوطبوا على مرتابيهم وباب التغليب باب واسع يجري في
كل فن قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أدخل شعيب في لتعودن في ملتنا
بحكم التغليب وإلا فما كان شعيب في ملتهم كافرا مثلهم فإن الأنبياء معصومون
أن يقع منهم صغيرة فيها تنفير فما بال الكفر وكذا قوله إن عدنا في
ملتكم وقال الله تعالى إلا امرأته كانت من الغابرين وفي موضع
آخر وكانت من القانتين عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب وقال
الله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس عد إبليس
من الملائكة بحكم التغليب عد الأنثى من الذكور ومن هذا الباب قوله تعالى
بل أنتم قوم تجهلون بتاء الخطاب غلب جانب أنتم على جانب قوم وكذا

وما ربك بغافل عما تعملون فيمن قرأ بتاء الخطاب لما أنت يا محمد
وجميع المكلفين وغيرهم وكذا يذرؤكم في قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم
أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه خطابا شاملا للعقلاء والأنعام
مغلبا فيه المخاطبون على الغيب والعقلاء على ما لا يعقل ومنه قولهم
أبوان للأب والأم وقمران للشمس والقمر وخافقان للمغرب والمشرق
وأما قوله وإذا مس الناس ضر بلفظ إذا مع الضر فللنظر إلى لفظ المس
وإلى تنكير الضر المفيد في المقام التوبيخي القصد إلى اليسير من الضر وإلى
الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضر ليدل للتنبيه على أن مساس قدر
يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقه أن يكون في حكم المقطوع به وأما
قوله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض بعد قوله وإذا أنعمنا على الإنسان
أعرض ونأى بجانبه أي أعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم
فالذي تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير في مسه للمعرض المتكبر وكون
لفظ إذا للتنبيه على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به
وعند النحويين أن إذ في إذما مسلوب الدلالة على معناه الأصلي
وهو المضي منقول بإدخال ما إلى الدلالة على الاستقبال ولا فرق بين

إذ وإذا ما في باب الشرط من حيث المعنى إلا في الإبهام في الاستقبال
ومتى لتعميم الأوقات في الاستقبال ومتى ما أعم وأين لتعميم الأمكنة
والأحياز وأينما أعم قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت وحيثما
نظير أينما قال الله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ومن
لتعميم أولي العلم قال الله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض
مراغما كثيرا وسعة وما لتعميم الأشياء قال الله تعالى وما تفعلوا من خير
فإن الله به عليم ومهما أعم قال الله تعالى مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها
فما نحن لك بمؤمنين وقد يجيء إذ أقدر يراد بما ما ظاهر وأي لتعميم ما أضيف
من ذوي العلم وغيرهم وأنى لتعميم الأحوال الراجعة إلى الشرط كأنى
تقرأ أقرأ أي على أي حال توجد القراءة من جهرها أو همسها أو
غير ذلك أوجد مثلها والمطلوب بهذه المعممات ترك تفصيل إلى إجمال
مع الاحتراز عن تطويل إما غير واف بالحصر أو ممل للإدراك في قولك
من يأتني أكرمه كيف تستغني عن التفصيل والتطويل في قولك إن يأتني زيد
أكرمه وإن يأتني عمرو أكرمه وإن يأتني خالد أكرمه إلى عدد يتعذر استيعابه
مع قيام الإملال قال الله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله

ويتقه فأولئك هم الفائزون أي أيما مكلف أطاع الله في الفرائض و
رسوله في سننه وخشي الله على ما مضى من ذنوبه واتقاه فيما يستقبل
فقد جاز الفوز بهذا الفضل واعلم أن الجزاء والشرط في غير أي لما كان
تعليق حصول أمر بحصول ما ليس بحاصل يستلزم ذلك في جملتيهما امتناع
الثبوت فامتنع أن تكونا اسميتين أو إحداهما وكذا امتناع المضي أن
يكون الفعلان ماضيين أو أحدهما وما يظهر من نحو إن أكرمتني أكرمتك
وإن أكرمتني أكرمتك وإن تكرمني أكرمتك ونحو إن تكرمني فأنت مكرم ونحو
إن أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس فتماما أوجبت لكونه مضارعا معه كون
التأكيد في نحو فإما يأتينكم مني هدى وإما تثقفنهم في الحرب لصيانة
في بليغ الكلام إما لنكتة ما مثل إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل
إما لقوة الأسباب المتآخذة في وقوعه كقولك إن اشترينا كذا حال انعقاد
الأسباب في ذلك وإما لأن ما هو للوقوع كالواقع نحو قولك إن مت
وعليه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف وكما إنا فتحنا لك
لنزولها قبل فتح مكة وفي أقوال المفسرين رحمهم الله ها هنا كثرة وإما
للتعريض كما في نحو لئن اتبعت أهواءهم لئن أشركت فإن الكلم من بعد ما جاء

البينات ونظيره في كونه تعريضا قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني
واليه ترجعون المراد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم والمنبه
عليه قوله واليه ترجعون ولولا التعريض لكان المناسب واليه
ارجع وكذا أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين المراد
أتتخذون من دونه آلهة ان يردكم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم
شيئا ولا ينقذونكم انكم اذا لفي ضلال مبين ولذلك قيل اني آمنت
بربكم دون بربي واتبعه فاسمعون ولتعرف حسن موقع هذا
التعريض انه اذا نظرت الى مقامه وهو تطلب اسماع الحق على وجه
لا يورث طالبي دم المسمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل
والتصريح لهم بالنسبة الى ارتكاب الباطل ومن هذا الاسلوب
قوله تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون والا فحق النسق
من حيث الظاهر قل لا تسألون عما عملنا ولا نسأل عما تجرمون وكذا
ما قبله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومن هذا النوع من الكلام
يسمى المنصف واما للتفاؤل واما لاظهار الرغبة في وقوعه كما

ان ظفرت بحسن العاقبة فذاك وعليه قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء ان اردن تحصنا وما شاكل ذلك من لطائف الاعتبارات وقولهم
رحمه الله في الدعاء من هذا القبيل ومن هذا تنبيه لنكتة تضمنها تفاوت
الشرطين في واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه ماضيا في جاءتهم الحسنة مستقبلا في تصبهم سيئة وابراز
المقدر في معرض الملفوظ به لانصباب الكلام الى معناه كما في قولك ان
اكرمتني الآن فقد اكرمتك امس مرادا به ان تعتد باكرامك اياي الآن
فاعتد باكرامي اياك امس واما لو فكلمة لو لحين كانت لتعليق ما امتنع
غيره على سبيل القطع كما تقول لو جئتني لاكرمتك معلقا لامتناع اكرامك
بما امتنع من مجيء مخاطبك امتنعت جملتاها عن الثبوت فلزم ان يكونا فعليتين
بالفعل ماضيا واستلزم في مثل قوله عز اسمه ولو ترى اذ وقفوا على النار
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم تنزيل المستقبل لتحققه نظاله في سلك المقطوع به لصدوره
عمن لا خلاف في اخباره منزلة الماضي المعلوم في قولك لو جئت على تجويز
يرد منزلته ودني في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا في احد قولي اصحابنا

البصريين رحمهم الله واستلزم في مثل قولك لو تحسن الي لشكرت القصد
بتحسن الى تصوير ان احسانه مستمر الامتناع فيما مضى وقتا فوقتا على
نحو قصد الاستمرار حالا فحالا في يستهزئ في قوله عز اسمه الله يستهزئ
بهم بعد قوله انا معكم انما نحن مستهزئون ويكسبون في قوله فويل لهم
مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقوله لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم وارد على هذا اي يمتنع عنتكم باستمرار امتناعه عن طاعتكم ولك
ان ترد الغرض من لفظ ترى ويود وتحسن الى استحضار صورة المجرمين
ناكسي الرؤوس قائلين لما يقولون وصورة الظالمين موقوفين عند ربهم
متقاولين بتلك المقالات واستحضار صورة ودادة الكافرين لو اسلموا و
استحضار صورة منع الاحسان كما في الله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها اذ قال فتثير
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية من اثارة
السحاب مسخرا بين السماء والارض متكونا في المرآى تارة عن قزع متبدد
كانها قطع قطن مندوف ثم تتضام متقلبة بين اطوار حتى يعدن
ركاما وانه طريق للبلغاء لا يعدلون عنه اذا اقتضى المقام سلوكه

او ما ترى تأبط شرا في قوله
باني قد لقيت الغول تهوي * بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران
كيف سلك فاضربها بلا دهش قصدا ان يصور لقومه الحالة التي تشجع
فيها بضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها ويتطلب منهم
مشاهدتها تعجيبا من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة و
قوله سبحانه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون دون كن فكان من هذا القبيل واستلزم في مثل لو انهم للو
حمله على تقدير لو تكون لفائدة التأكيد ثم حذف الفعل لاول احتمال
لولا له ضمير عليه المبدل بعد ذهاب الفعل منفصلا واشتمال مزيد اللطافة
لا يتغافل فيهما المراد مما لا ارتاضة من علماء المعاني والمبنى علم المعاني على التتبع
لتراكيب الكلام والظفر اجزا اكاثرين وتطلب العثور على ما لكل منها من
لطائف النكت مفصلة ليتم الاحاطة به الا لعلام الغيوب لم يدخل
كنه بلاغة القرآن الا لمن احاط علمه الشامل واعلم ان مقصود علمات
فصول هذا الفن لا يتضح الا باستيرار ناد خاطرة وقادة وتكشف

أسرار جواهرها إلا البصيرة ذي طبع نقاد ولا تتضح لمن تمتها إلا في يد
راكض في طلبها إلى أن تأتى مدة باستفراغ طوق مشفوق لكاد
لاستشفافها بثقوب فهم ومعونة ذوق يولع من لطائف البلاغة بما
يؤثرها القلوب بصفايا حباتها وينثر عليها أفلاذ مصافي الخطباء
خبايا محبا قبلها متوسل بذلك لأن يتأنق في وجه الإعجاز في التنزيل
مستقلا مما أجمله عجز المتحدين به عندك إلى تفصيل طامع من
رب العزة والكبرياء في المثوبة الحسنى والفوز عنده يوم المشهد
بالذخر السني **الفن الرابع** مركوز في ذهنك أن لا يجد
لرده مقالا ولا لارتكاب محل مجالا أن ليس يمتنع بين مفهومي
جملتين اتحاد بحكم التآخي وارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم
للتآخي ولا أن يباين أحدهما للآخر مباينة الأجانب لانقطاع
الوشائج بينهما من كل جانب ولا أن يكونا بين بين لا صرم رحم
ما هنالك فيتوسط حالهما بين الأولى والثانية لذلك ويدار الفصل
والوصل وهو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات وكذا
طي الجمل عن البين ولا طيها وإنها المحك للبلاغة ومنتقد البصيرة

ومضمار النظار ومتفاضل الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسبار
غور الخاطر ومنجم صوابه وخطائه ومعجم جلائه وصدائه
هي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح
المعلى وأن لك في إبداع وشيها اليد الطولى وهذا فصل له فضل
احتياج إلى تقرير وافٍ وتحرير شافٍ **اعلم** أن تمييز
موضع العطف عن غير موضعه في الجمل كنحو أن تذكر معطوفا بعضها
على بعض تارة ومتروكا العطف بينها أخرى هو الأصل في هذا الفن
وإنه نوعان نوع يقرب تعاطيه ونوع يبعد ذلك فيه فالقريب
هو أن تقصد العطف بينها بغير الواو أو بالواو بينها لكن بشرط أن
يكون للمعطوف عليها محل من الإعراب والبعيد هو أن تقصد
العطف بينها بالواو وليس للمعطوف عليها محل إعرابي والسبب في
أن قرب القريب وبعد البعيد هو أن العطف في باب البلاغة
يعتمد معرفة أصول ثلاثة أحدها الموضع الصالح له من حيث
الوضع وثانيها فائدته وثالثها وجه كونه مقبولا أو مردودا والثالث
إذا اتفقت معاني الفاء وثم وحتى ولا وبل ولكن وأو وأم وإما

وانى على قولى حصلت لك الثلاثة الدالة كل منها على معنى محصل
مستدع من الجمل شيئا مخصوصا مشتملا على فائدة وكونه معمولا
هناك وكذلك اذا امعنت ان للاعراب صنفان لا غير صنف
ليس بتبع وصنف تبع وامعنت ان الصنف الثانى منحصر فى تلك انواع
الخمسة البدل والوصف والبيان والتاكيد واتباع الثانى للاول
فى الاعراب بتوسط حرف وعلمت كون المتبوع فى البدل فى حكم
المنحى والمضرب عنه بما تسمع ائمة النحو رضى الله عنهم يقولون البدل
فى حكم تنحية المبدل منه ويتصون بتصريح بل فى قسمة الغلط وعلمت
فى الوصف والبيان والتاكيد ان التابع فيها هو المتبوع فى العالم فى
زيد العالم عندك ليس غير زيد وعمرو فى اخوك عمرو عندك ليس
غير اخوك ونفسه فى جاء خالد نفسه ليس غير خالد ثم
تحققت ان الواو تستدعى معناه ان لا يكون معطوفه هو المعطوف
عليه لامتناع ان يقال جاء زيد وزيد وان يكون زيد الثانى
هو زيد الاول حصل لك ان الصنف الاول ليس موضعا للعطف
باى حرف كان من حروف العطف لفوات شرط العطف فيه وهو

تقدم متبوع ولم يذهب عليك ان نحو جاءنى زيد وعرفت عمرا و
وانا ابن خالد ومر لكتاب وما جرى هذا المجرى غير صحيح وان نحو قوله
عليك ورحمة الله السلام يلزم ان يكون عديم النظير وان لا
يسوغ عند ائمة التقديم والتاخير واما نحو قوله عز سلطانه
واياى فارهبون فانما ساغ لكون المعطوف عليه فى حكم الملفوظ
به لكونه مفسرا ان تقديره واياى ارهبوا فارهبون على ما سنبين الغرض
لهذا التفصيل فى علم النحو ولما نحو قوله او كلما عاهدوا فساغ
لتقدم حرف الاستفهام المستدعى فعلا مدلولا على معناه بقرائن
سياق الكلام وهو اكفروا بآيات الله وكلما عاهدوا وحصل لك
ايضا ان الانواع الاربعة من الصنف الثانى ليس واحد منها موضعا
للعطف بالواو اما لفوات شرط العطف حكما كما فى البدل لنزول
ذلك سلب زيد ثوبه اذا عطفت فيه منزلة سلب ثوبه حكما
واما لفوات شرط معناه كما فى الوصف والبيان والتاكيد لتمام موضع
النوع الخامس واما قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم فالوجه عندى ان ولها كتاب معلوم حال لقرية لكونها

في حكم الموصوف فنزلت منزلته وما اهلكنا قرية من القرى و صف
وحمله على الوصف سهو لغطاء كالا يتنبه صاحبه لو تنبه
لكن بعد اتعاب وسيزداد ما ذكرت وضوحا في آخر هذا الفصل
في الكلام في الحال ثم اذا اتقنت ايضا ان كل واحد من وجوه
الاعراب دال على معنى كما تشهد لذلك قوانين علم النحو حصل
لك فائدة الواو وهي مشاركة المعطوف المعطوف عليه في
ذلك المعنى فيكون عندك من الاصول الثلاثة اصلان معرفة موضعه
ومعرفة فائدته واذا عرفت ان شرط كون العطف بالواو مقبولا
هو ان يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة مثل
ما ترى في نحو الشمس والقمر والسماء والارض والجن والانس كل
ذلك محدث ويستفصل الكلام في هذه الجهة بخلافه في نحو
الشمس ومرارة الارنب وسورة الاخلاص والرجل البشري من
الضفدع ودين المجوس والف باذنجانة كلها محدثة حصلت لك
الاصول الثلاثة ولن لا نعرض من الغرض فيها كما ترك واما
توسيط الواو بين جمل لا محل للمعطوف عليها من الاعراب

فانما يبعد تعاطيه لكون الاصول الثلاثة في شأنه غير ممهدة
لك وهو السر في ان دق مسلكه وبلغ من الغموض الى حيث قصر
بعض ائمة علم المعاني البلاغة على معرفة الفصل من الوصل
وما قصرها عليه الا ان الامر كذلك وانما حاول بذلك التنبيه
على مزيد غموض هذا الفن وان احدا لا يتجاوز هذه العقبة
من البلاغة الا اذا كان خلف سائر عقباتها خلفه **واعلم** انك
اذا تاملت ما لخصت لك في القرب التعاطي قرب عندك هذا
الثاني بحيث لا يخفى عليك باذن الله تعالى باذن تنبيه فاقول
ان الجملة متى نزلت في كلام المتكلم منزلة الجملة العارية عن
المعطوف عليها كما اذا اريد بها القطع عما قبلها او اريد بها البدل
عن سابقة عليها لم تكن موضعا لدخول الواو وكذا متى نزلت
من الاولى منزلة نفسها لكمال اتصالها بها مثل ما اذا كانت موضحة
لها ومبينة او مؤكدة لها ومقررة لم تكن موضعا لدخول الواو
وكذا متى لم يكن بينها وبين الاولى جهة جامعة لكمال انقطاعها
عنها لم تكن ايضا موضعا لدخول الواو وانما تكون موضعا لدخوله

اذا توسطت بين كمال الاتصال وبين كمال الانقطاع ولكل
من هذه الانواع حالة تقتضيه فاذا طابقت موردها تلك الاحوال
وطبق المفصل هناك رقى الكلام من البلاغة عند اربابها الى
درجة يناطح فيها السماك فلابد من تفصيل الكلام في تلك الحالات
فنقول اما الحالة المقتضية للقطع فهي نوعان احدهما
ان يكون للكلام السابق حكم وانت لا تريد ان تشركه الثاني
في ذلك فتقطع ثم ان هذا القطع يأتي اما على وجه الاحتياط
وذلك اذا كان يوجد قبل الكلام السابق كلام غير مشتمل
على مانع من العطف عليه لكن المقام مقام احتياط فتقطع لذلك
واما على وجه الوجوب وذلك اذا كان لا يوجد وثانيهما
ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فتنزل ذلك
منزلة الواقع ويطلب بهذا الثاني وقوعه جوابا له فيقطع عن
الكلام السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع
لا يصار اليه الا لجهات لطيفة اما لتنبيه السامع على موقعه
او لاغنائه ان يسأل او لئلا يسمع منه شيء او لئلا ينقطع كلامك

بكلامه او للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال
وترك العاطف او غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ويسمى النوع
الاول قطعا والثاني استينافا واما الحالة المقتضية للابدال
فهي ان يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد وايراده
كغير الوافي والمقام مقام اعتناء بشانه اما لكونه مطلوبا في نفسه
او لكونه غريبا او فظيعا او عجيبا او لطيفا او غير ذلك مما له
جهة استدعاء للاعتناء بشانه فيعيده المتكلم بنظم اوفى منه على
نية استيناف القصد الى المراد ليظهر بمجموع القصدين اليه
في الاول والثاني اعني المبدل منه والبدل مزيد الاعتناء بالشان
واما الحالة المقتضية للايضاح والتبيين فهي ان يكون
بالكلام السابق نوع خفاء والمقام مقام ازالة له واما
الحالة المقتضية لكمال الانقطاع ما بين الجملتين فهي ان تختلفا
خبرا وطلبا مع تفصيل يعرف في الحالة المقتضية للتوسط
او ان تتفقا خبرا فان لا يكون بينهما ما يجمعهما عند المفكرة
جمعا من جهة العقل او الوهم او الخيال والجامع العقلي هو

ان يكون بينهما اتحاد في تصور مثل الاتحاد في المخبر عنه او الخبر
او في قيد من قيودهما او تماثل هناك فان العقل بتجريده المثلين
عن التشخص في الخارج يرفع التعدد عن البين او تضايف كالذي
بين العلة والمعلول والسبب والمسبب او السفل والعلو او الاقل
والاكثر فالعقل يابى ان لا يجتمعا في الذهن وان العقل سلطان
مطاع، والوهمي وهو ان يكون بين تصوريهما شبه تماثل
نحو ان يكون المخبر عنه في احدهما لون بياض وفي الثانية
لون صفرة فان الوهم يحتال في ان يبرزهما في معرض المثلين
وكم للوهم من حيل تروج، ولا فعليك بقوله
ثلثة تشرق الدنيا ببهجتها، شمس الضحى وابو اسحق والقمر،
وقل لي ما الذي سوى حسن الجمع بين الشمس وابي اسحق والقمر
هذا التحسين او بقوله
اذا لم يكن للمرء في الخلق مطمع، فذو التاج والسقاء والذر واحد،
وقد عرفت حال المثلين في شأن الجمع او تضاد كالسواد والبياض
والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة

والملاسة والخشونة، وكالتحرك والسكون، والقيام والقعود
والذهاب والمجيء، والاقرار والانكار والايمان والكفر، و
كالمتصفات بذلك من نحو الاسود والابيض، والمؤمن والكافر
او شبه تضاد كالذي بين نحو السماء والارض والسهل و
الجبل، والاول والثاني، فان الوهم ينزل المتضادين
والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجتهد في الجمع بينهما
في الذهن ولذلك تجد الضد اقرب خطورا بالبال مع الضد
والخيالي وهو ان يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال
سابق لاسباب مؤدية الى ذلك فان جميع ما يثبت في الخيال
مما يصل اليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى اليه ويتكرر
لديه ولذلك لما لم تكن الاسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر
البشر اختلف الحال في ثبوت الصور في الخيالات ترتبا ووضوحا
فكم صور تتعانق في خيال وهي في آخر ليست تتراءى وكم
صور لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم ولئن
اردت ان تستوضح ما يلوح بذلك فحدق اليه من جانب اخبارك

تلقى كاتبا بتعديد قرطاس ومحبرة وقلم ونجارا بتعديد منشار
وقدوم وعتلة وآخر وآخر بما يلابسون وإنما كان من لصق
العرف فالرسم فتلفقه بذكر مسجد ومحراب وقنديل وحمام
واداوى وسطل وغير ذلك مما يجمعه العرف والرسم فإنهم جميعا
لصادقون فيهم معدودا بك على وفق الثابت في حيالهم لا يستبعدون
البعد ولا يتقفون له موقف نكير وإذا غيرته إلى نحو محبرة ومنشار
وقلم وقدوم ونحو مسجد وسطل وقنديل وحمام جار لا يستبعد
ويستنكر ومثل تشبيهات أولئك الذين فقادوا لا يبعد للبدر
الطالع عليهم فيما يحكى تتلو عليك سورة غير ما تلونا أو تجلو لك
صورة غير ما جلونا يحكى أن صاحب سلاح ملك وصواغا وصاحب
بقر ومعلم صبية اتفق أن انتظمهم سلك طريق وقد كان حمل
كلا منهم مركب الجد فيما أورثهم انشعاب المحجة بالإظلام سوى
الإغراء أن يلطموا بأيدي الرواقص خد وهاد ما استطاع
الظلام أن لا يطووا المسافة وقد نشر جناحه وأن يلقوا
عصاهم وقد مد لهم رواقه فقابلهم يعبوب افتر عن مزيد تخبطهم

وخوف ضلالهم فبينا هم في وحشة الظلماء وقد بلغ السيل
الزبى ومقاساة محنتي التخبط وخوف الضلال وقد جاوز
الحزام الطبيين آنسهم البدر الطالع بوجهه الكريم و
رضاب لهم أنواره كل مظلم بهيم فلم يتمالكوا أن أقبل عليه كل منهم
ينظم ثناءه ويدبج سناءه وسناءه ويختم بالكرم نتائج حاره
وإذا شبهه شبهه بأفضل ما في خزانته صور فما شبهه السلاحي
إلا بالترس المذهب يرفع عند الملك ولا يشبهه الصائغ إلا
بالسبيكة من الإبريز بغت عن وجهها البوتقة ولا يشبهه
البقار إلا بالجبن الأبيض يخرج من قالبه طريا ولا يشبهه المعلم
إلا برغيف أحمر يصل إليه من بيت هي مروءة أولاد التفاوت
في إيراد الوصف للكلام فيما حكينا من أصحاب الأذكياء من
ذوي الحرف المختلفة كوصف الجوهري للكلام أحسن الكلام
ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه
في سمط ألفاظه فحملته نحور الرواة ووصف الصيرفي
خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية وفر

ميدان الفصاحة فلا ينطق فيه الا آنف ولا يسمع فيه الا بهرج
ووصف الصابغ خير الكلام ما احميته بكير الفكر وسبكته
بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز
مركبا في معنى وجيز ووصف الحداد احسن الكلام ما نصبت
عليه منفاخ الروية واشعلت فيه نار البصيرة ثم اخرجته
من فحم الافحام ورققته بمطيس الافهام ووصف الخمار
ابلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وضمنته دنان الحكمة
وصفاه راووق الفهم فتمشت في المفاصل عذوبته و
في الافكار رقته وفي العقل حدته ووصف البزاز احسن
الكلام ما صدق رقم الفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند
نشر ولم يستبهم عند طي ووصف الكحال كما ان الرمد قذى
العين كذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة
واجل رمص الغفلة ببرود اليقظة او سلوك الطريق في
وصف البليغ حين سلكه الجمال قال البليغ من اخذ بخطام كلامه
فاناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له

مجالا فلم يند عن الاذهان ولم يشذ عن الاذان اولاخبار
الوراق عن حاله ما الخبر عيشي اضيق من محبرة وجسمي ادق من
مسطرة وجاهي ارق من الزجاج وحظي اخفى من شق القلم و
بدني اضعف من قصبة وطعامي امر من العفص وشرابي اشد
سوادا من الحبر وسوء الحال الزم لي من الصمغ ولصاحب علم
المعاني فضل احتياج في هذا الفن الى التنبه لانواع هذا
الجامع والتيقظ لها لا سيما النوع الخيالي فان جمعه على مجرى
الالف والعادة بحسب ما تنعقد الاسباب في استيداع
الصور خزانة الخيال وان الاسباب لكما ترى الى اي حد تتباين
في شأن الجمع بين صور وصور فمن الاسباب ما يجمع بين صور معبد وقنديل
وقرآن ومن الاسباب ما يجمع بين دسكرة وابريق وقران فعلى
اذا لم يوف حقه من التيقظ وانه من اهل المدر انى يستحلي كلام
رب العزة مع اهل الوبر حيث يبصرهم الدلائل ناسقا ذلك
التنسيق افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف
رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت لبعد

البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد
خلقه عن دفعها وكذلك الباقي لكن اذا وفاه حقه بتيقظ
لما عليه في حاجاتهم جاء الاستجلاء وذلك اذا نظر ان اهل الوبر
اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم
مصروفة لا محالة الى اكثرها نفعا وهي الابل ثم اذا كان انتفاعهم
بها لا يتحصل الا بان ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر
واهم مسارح النظر عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين الى
مأوى يأويهم والى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن الا
الجبال لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
فما ظنك بالتفات خاطرهم اليها ثم اذا تعذر طول مكثهم في منزل
وامكن لاصحاب مواش بذلك كان عقد الهمة عندهم بالتنقل
من ارض الى سواها من عزم الامور فعند نظره هذا ان كان
البدوي اذا اخذ يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد صورة
الابل حاضرة هناك او لا يجد صورة السماء لها مقارنة او
يعوزه صورة الجبال بعدها او لا ينقص اليه صورة الارض

تليها بعد متى لا وانما الحضري حيث لم يتأخذ عنده تلك الامور
وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه اذا تلا الآية قبل
ان يقف على ما ذكرت ظن النسق لجهله معيبا للعيب فيه
واما الحالة المقتضية للتوسط بين كمال الاتصال
وكمال الانقطاع فهي ان تختلفا خبرا وطلبا ان يكون المقام
مشتملا على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب او
الطلب معنى الخبر ومشتركا بينهما في جهات جامعة كما تلبث
عليك على نحو قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا
تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى
والمساكين وقولوا اذ لا يخفى ان قوله لا تعبدون مضمن معنى
لا تعبدوا وقوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم و
ازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون فان
المقام مشتمل على تضمين ان اصحاب الجنة معنى الطلب بيان
ذلك ان الذي قبله من قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا كلام

وقت الحشر من غير شبهة لوروده معطوفا بالفاء على قوله
إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون
وعام لجميع الخلق لعموم قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا وإن الخطاب
الوارد بعده على سبيل الالتفات في قوله ولا تجزون إلا ما كنتم
تعملون خطاب عام لأهل المحشر وإن قوله إن أصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون إلى قوله أيها المجرمون متعلق بهذا
الخطاب لكونه تفصيلا لما أجمله ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون
وإن التقدير إن أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر ثم جارٍ على
التفسير إن قوله هذا إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
يقال لهم حين يساقون إلى الجنة بتنزيل ما هو للكون منزلة
الكائن فانظر بعد تحرير معنى الآية وهو إن أصحاب الجنة
منكم يا أهل المحشر مؤول حالهم إلى أسعد حال كيف اشتمل
المقام على معنى فليمتازوا عنكم إلى الجنة وأما كونه مشتركا
بين المعطوف والمعطوف عليه في الذي نحن بصدده في جهات
تجمعها فغير خاف ونحو قوله تعالى فلما جاءها نودي أن بورك

من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى
إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فإن المقام مشتمل
على تضمين الطلب معنى الخبر وذلك أن قوله تعالى وألق
معطوف على قوله أن بورك والمعنى فلما جاءها قيل بورك
من في النار وقيل ألق عصاك لما عرفت في علم النحو أن أن
هذه لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول وإذا قيل كتبت إليه
أن ارجع وناديته أن قم كان بمنزلة قلت له ارجع وقال بل
ثم برأها قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد
قوله أعدت للكافرين فيعد معطوفا على فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة وعندي أنه معطوف على قل مرادا
قبل يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لكون إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه غير
عزيز في القرآن من ذلك وأنزلنا عليكم المن والسلوى
كلوا أي وقلنا أو قائلين كلوا ومن ذلك وإذ استسقى
موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة

عنا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا اي قلنا لهم او قائلا
لهم يا موسى كلوا واشربوا ومن ذلك واذ اخذنا ميثاقكم و
رفعنا فوقكم الطور خذوا اي قلنا او قائلين خذوا ومن
ذلك واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا اي
وقلنا اتخذوا ومن ذلك واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا وعليه قراءة عبد الله ومن
ذلك ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني على قول
اصحابنا رحمهم الله ومن ذلك ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا اي و
يقولون ذوقوا ومن ذلك براءة من الله ورسوله الى
الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا
وامثال ذلك اكثر من ان احصيها ههنا وكذلك عطف قوله
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة على قل مرادا
قبل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة وكذا
عطف وبشر المؤمنين في سورة الصف عندي على قل

مرادا قبل يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم و
ذهب صاحب الكشاف الى انه معطوف على تؤمنون قبله
لكونه في معنى آمنوا فتأمل جميع ذلك ولكن الحاكم ذوقك او
ان تتفق الجملتان خبرا والمقام على حال اشتراكهما في جامع
ثم كلما كانت الشركة في اكثر واظهر كان الوصل بالقبول اجدر
ولنختم الكلام في تفصيل الحالات المقتضية للقطع وللاستئناف
وللابدال وللايضاح وللتقريب وللانقطاع والتوسط بين
بين هذا القدر ولنذكر لك امثلة لتجرب بطبعك عسى ان
يعترضك مداحض اذا اخذت تسلك تلك الطرقات من
امثلة القطع للاحتياط قوله وتظن سلمى انني ابغي بها
بدلا اراها في الضلال تهيم لم يعطف اراها كيلا يحسب السامع
العطف على ابغي دون تظن ويعد اراها في الضلال تهيم
من مظنونات سلمى في حق الشاعر وليس هو بمراد لانما المراد
انه حكم الشاعر عليها بذلك وليس يستبعد لانصباب قوله
وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا الى ايراد فما قولك في ظنها

وذلك ان يكون قد قطع اما ما ليقع جوابا لهذا السؤال على سبيل
الاستيناف واياك ان ترى الفصل لاجل الوزن فما هو هناك
وقوله زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف
لم يعطف لهم الف خيفة ان يظن العطف على ان اخوتكم قريش
فيفسد معنى البيت ولكن ان تقول جاء على طريقة الاستيناف
قوله لهم الف وليس لكم الاف وذلك انه حين ابتدأ فقال زعمتم
عليهم بمجرى الحال وكان مما يحرك ان يسألوا لم تنكر فصل فقال لهم
الف عما قبله ليقع جوابا للسؤال الذي هو مقتضى الحال ومن
امثلة القطع للوجوب قوله عز من قائل واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ
بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم للمانع من العطف بيان ذلك
انه لو عطف لكان المعطوف عليه اما جملة قالوا او اما جملة
انا معكم انما نحن مستهزؤن لكن لو عطف على انما نحن مستهزؤن
لشاركه في حكمه وهو كونه من قولهم وليس هو بمراد ولو عطف
على قالوا لشاركه في اختصاصه بالظرف المقدم وهو

واذا خلوا الى شياطينهم لما عرفت في فصل التقديم والتاخير
وليس هو بمراد فان استهزاء الله بهم وهو ان خذلهم وخلاهم و
ما سولت لهم انفسهم مستدرجا اياهم من حيث لا يشعرون
متصل في شانهم لا ينقطع بكل حال خلوا الى شياطينهم او
لم يخلوا اليهم وكذلك قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون قطع
الا انهم لئلا يستلزم عطفه على انما نحن مصلحون كونه مشاركا له في
انه من قولهم او عطفه على قالوا كونه مختصا بالظرف لاختصاص
قالوا به لتقدمه عليه وهو اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض فانهم
مفسدون في جميع الاحيان سواء قيل لهم فيها لا تفسدوا او لم يقل
وكذلك قوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن
كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء قطع الا انهم لمثل ما تقدم
في الاية السابقة وكذلك ان نجعل ترك العطف في الله يستهزئ
بهم على الاستيناف من حيث ان حكاية حال المنافقين في
الذي قبله لما كانت تحرك السامعين ان يسالوا ما مصير امرهم

وعقبى حالهم وكيف معاملة الله اياهم لم يكن من البلاغة ان
يعرى الكلام عن الجواب فلزم المصير الى الاستيناف ايضا
ليطابق مقتضى الحال وذلك لان ادعاءهم الصلاح لانفسهم على
ما ادعوه مع توغلهم في الافساد مما يشوق السامع الى ان يعرف ما حكم
الله عليهم فكان وروده بدون الواو هو المطابق كما ترى
وكذا في الا انهم هم السفهاء ومن امثلة الاستيناف قوله
زعم العواذل انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي لم يعطف
صدقوا على زعم العواذل للاستيناف وقد اصاب المحز وذلك
انه حين ابدى الشكاية عن جماعات العذال بقوله زعم
العواذل انني في غمرة وكان مما يحرك السامع عادة ليسأل
هل صدقوا في ذلك ام كذبوا صار هذا السؤال مقتضى الحال
فبنى عليه تاركا للعطف على ما عليه ايراد الجواب عن السؤال
وكذلك قوله زعم العواذل ان ناقتي جذبت بجنوب خبت عريت واجمت
كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت
فصل كذب العواذل فلم يعطفه ليتوجه بالسؤال لاقتضاء الحال

عند شكواه عن النساء العاذلات بقوله زعم العواذل انه كان
كيت وكيت وهو هل كذب العواذل في ذاك ام صدقن وكذلك
قوله بكى على قتلى العداة فانهم طالت اقامتهم ببطن برام
كانوا على الاعداء نار محرق ولقومهم حرما من الاحرام
قطع كانوا للاستيناف لانه حين امرها بالبكاء كانه توهمها
قالت ولم ابكيهم او كيف ابكيهم صفهم لي كيف كانوا فقال مجيبا
كانوا على الاعداء وكذلك قوله عرفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال
عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال فصل عفاه كل
حنان للاستيناف لانه حين قال عفا من بعد احوال كان مظنة
ان يقال ما ذا عفاه وكذلك قوله
وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا
حين قال في محل مغفو ما عفت الرياح كان موضع سؤال
وهو فما ذا عفاه اذن وكذلك قوله
وقد غرضت من الدنيا فهل زمني معط حياتي لغر بعد ما غرضا
جربت دهري واهليه فما تركت لي التجارب في ود امرئ غرضا



لم يفصل جرت بالعطف على غرض بناء على سؤال ينساق إليه
معنى البيت الأول وسؤال يقول هذا وتحكم والذي لم تنضاك أن
تطوي عن الحبوة إلى هذه الغاية كشحا وكذلك قوله عز من قائل
أولئك على هدى من ربهم جاء مفصولا عما قبله بطريق الاستيناف
كأنه قيل ما للمتقين الجامعين بين الإيمان بالكتب المنزلة في ضمن الإيقان
بالآخرة اختصوا بهدى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره مقولا
في حقهم هدى للمتقين الذين والذين منكرا هدى فأجيب بأن
أولئك الموصوفين غير مستبعد ولا مستبدع أن يفوزوا دون
من عداهم بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وإن كان مقتضيا تمام الكلام
مع المتقين وتقدير السؤال عنده وفيستأنف الذين يؤمنون بالغيب
إلى ساقة الكلام وأنه أدخل في البلاغة لكون الاستيناف على هذا
الوجه منطويا على بيان الموجب لاختصاصهم بالاختصاص على
نحو ما تقول أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل منك لما فعلت
ولك أن تخرج الآية عما نحن بصدده بأن تجعل الموصول الأول
من توابع المتقين إما مجرورا بالوصف أو منصوبا بالاختصاص

وتجعل الموصول الثاني مبتدأ وأولئك خبره مرادا بها التعريض
بمن لم يؤمنوا من أهل الكتاب وستعرف التعريض جاعلا الجملة
برأسها من مستتبعات هدى للمتقين والفصل من هذا الوجه
للاستيناف الذين يؤمنون بالغيب لجهات فتأملها ولذلك
قوله عز من قائل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل
على كل أفاك أثيم فصل تنزل على كل أفاك ليقع جوابا للسؤال
الذي ينتظر من قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وهو أي
والله نبئنا على أي مخلوق تنزل ومن الآيات الواردة
على الاستيناف قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال
لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق و
المغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها
غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال
فأت به إن كنت من الصادقين فإن الفصل في جميع ذلك بناء

على السؤال الذي يستصحبه تصوّر مقام المقال لمن نجى
ماذا قال موسى ماذا قال فرعون وكذلك قوله قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا
أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين الفصل بناء على ماذا قال
وماذا قالوا وكذلك قوله هل أتاك حديث ضيف إبرهيم
المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون
فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف قدر مع قوله فقالوا سلاما ماذا
قال إبرهيم وقت السلام ومع قوله فقربه إليهم ماذا قال
وقت التقريب ومع قوله فأوجس منهم خيفة ماذا قالوا حين
ما أقامه ذلك ونظائر هذا الأسلوب في القرآن كثير ومن

أمثلة البدل قوله

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما

فصل لا تقيمن عن ارحل لقصد البدل لأن المقصود من كلامه
هذا كمال إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سره العلن

وقوله لا تقيمن عندنا أوفى بتأديته هذا المقصود من قوله
ارحل لدلالة ذلك عليه بالتضمن مع التجرد عن التأكيد و
دلالة هذا عليه بالمطابقة مع التأكيد وكذلك قوله تعالى
بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أإنا لمبعوثون فصل قالوا أإذا متنا عن مثل ما قال الأولون
من الإجمال المحرك للسامع أن يسأل ماذا قالوا وكذلك قوله
أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون
الفصل للبدل ويحتمل الاستئناف وكذلك قوله اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون لم يعطف
اتبعوا للبدل ومن أمثلته لا يصلح للتبيين قوله
تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين
يخادعون الله لم يعطف يخادعون على ما قبله لكونه موضحا
له ومبينا من حيث إنهم حين كانوا يوهمون بألسنتهم أنهم
آمنوا وما كانوا مؤمنين مثلوا بهم فكأنهم في حكم المخادعين
وقوله تعالى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل

ادلك على تحرى الخلاف ذلك لما لم يعطف قال على منوال لكونه
تفسيرا او تبيينا ومن امثلة التقرير والتاكيد قوله تعالى
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين لم يعطف لا ريب
فيه على ذلك الكتاب حيث كان مزاله في الآية وزان نفسه
او وزان بينا في قولك هو الحق بتأييد لك على ذلك التحيين
بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصيا من الكمال
والوفور في شانه تلك المبالغة حيث جعل المبتدا لفظة ذلك
وادخل على الخبر حرف التعريف فتهادة لا اصول كما سبقت
كان عند السامع قبل ان يتامل مظنة ان نظمه في سلك
ما قد يرمى به على سبيل الجزاف من غير تحقق واتقان فاتبعه لا ريب
فيه نفيا لذلك وقد اصيب به المحز لاتباع نفسه الخليفة
ازالة لما عسى يتوهم السامع انك في قولك جاني الخليفة متجوز
او ساه وتقريره كونه حالا مرمركون طاهر وكذلك فصل هدى
للمتقين بتقديره كما الحق هو هدى وان معناه نفسه هداية محضة
بالغة درجة لا يكتنه كنهها وانه في التاكيد لتقرير المعنى

الغير كامل في الهداية كما ترى واما بيان ان ما قبله مسوق
لما ذكر فما ترى من النظم الشاهد له لا اخلاله قصب السبق
في شانه وهو ذلك الكتاب ثم من تعقيبه بما ينادى على صدق
الشاهد ذلك النداء البليغ وهو لا ريب فيه وانك لتعلم ان
شان الكتب السماوية الهداية لا غير وبحسبها يتفاوت شانها
في درجات الكمال وكذلك قوله ان الذين كفروا سواء عليهم
انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فصل قوله لا يؤمنون لما كان مقررا
لما افاد قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم من ترك الجازم
الى الايمان وكذلك فصل قوله ختم الله على قلوبهم لما كان بمثابة
لا يؤمنون من جهة اخرى وهي ان عدم التفاوت بين الانذار
وعدم الانذار لما لم يصح الا في حق من ليس له قلب يخلص اليه
حق وسمع يدرك به حجة وبصر يثبت به عبرة وقع قوله ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة مقررا كما ترى
وكذلك قوله انا معكم انما نحن مستهزءون لما كان المراد

بأنا معكم معنى إنا معكم قلنا لو كان معناه إنا نوهم أصحاب محمد بالإيمان
وقع قوله إنا نحن مستهزئون مقررا له فيفصل ولك أن تحمله على الاستئناف
لانصباب إنا معكم وهو قول المنافقين لشياطينهم إلى أن يقول لهم
شياطينهم فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد وكذا
قوله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم فصل إن هذا لكونه مؤكدا
للأول في نفي البشرية ولك أن تقول إن الذي عليه العرف متى قيل
في حق إنسان ما هذا بشرا ما هو بآدمي في حال التعظيم له والتعجب
مما يشاهد منه من حسن الخلق والخلق هو أن يفهم منه أنه ملك
فوقع قوله إن هذا إلا ملك كريم تأكيدا للملكية فيفصل وكذلك قوله
كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا الثاني مقرر للأول ومن
أمثلة الانقطاع للاختلاف خبرا وطلبا قوله
وقال رائدهم أرسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجري بمقدار
وقوله ملكته حبلي ولكنه ألقاه من زهده على غاربي
وقال إني إذا ما كنت كاذب انتقم الله من الكاذب
لأنه أراد الدعاء بقوله انتقم وكذلك قولهم مات فلان رحمه الله

وكذلك قولهم لا تدن من الأسد يأكلك وهل تصلح لي كذا أدفع
إليك الأجرة بالرفع فيهما وغير ذلك مما هو في هذا السلك منخرط
ومن أمثلته لغير الاختلاف ما أذكره تكون في حديث
ويقع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينه وبين ما أنت
فيه بوجه أو بينهما جامع غير ملتفت إليه لبعد مقامك عنه
ويدعوك إلى ذكره داع فتورده في الذكر مفصولا مثال ما إذا
كنت في حديث مثل كان معي فلان فقرأ ثم خطر ببالك أن صاحب
حديثك جوهري وأن لك جوهرة لا تعرف قيمتها فتعقب كلامك بأن
تقول لي جوهرة لا أعرف قيمتها هل لك أن تبيعها فتفصل ومثال
الثاني وجدت أهل مجلسك في ذكر خواتمهم يقول واحد
منهم خاتمي كذا يصفه بحسن صياغته وملاحة نقشه ونفاسة
فصه وجودة تركيبه وارتفاع قيمته ويقول آخر وإن خاتمي
هذا سبكت له صياغته كريه النقش فاسد التركيب رديء في غاية
الرداءة ويقول آخر وإن خاتمي بديع الشكل خفيف الوزن
لطيف النقش ثمين الفص إلا أنه واسع لا يمسك أصبعي وكنت

كما قلت ان خاتمى ضيق تذكرت ضيق خفك وعناءك منه فلا تتعلل
بخفى ضيق لتبتنى مقاملك عن الجمع بين ذكر الخاتم وذكر الخف
فتختار القطع فالاخفى ضيق فعلوا ماذا الغلط ان تكون فى حديث
قد تم وتقول حديث آخر بعيد التعلق به تريد ان تذكره فتورده
فى الذكر مفصولا مثل ان تقول كتاب سيبويه والله كتاب لا نظير
له فى فنه ولا غنى لامرء فى انواع العلوم عنه لا سيما فى الاسلامية
فانه فيها اساس واى اساس ان الذين رضوا بالجهل لا يريدون
ما العلوم وما اساس العلوم فتفصل ان الذين رضوا بالجهل
عما قبله لكون ما قبله حديثا من كتاب سيبويه وانه حقيق بان
يخدم فكون ما عقبته به حديثا من الجهال فسوء حالهم
لهم جهلهم وقوله عز اسمه ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون من هذا القبيل قطع ان الذين
كفروا عما قبله لكون ما قبله حديثا من القرآن وان من شانه
كيت وكيت وكون ان الذين كفروا حديثا من الكفار
ومن تصميمهم فى كفرهم ما لفصل ثم للانقطاع لان الوق

كما عرفت معناه الجمع فالعطف بالواو فى مثله يبرز فى معرض
التوخى للجمع بين الضب والنون ولذلك متى قال قائل
زيد منطلق ودرجات الحمل ثلاثون وكم الخليفة فى غاية
الطول وما احوجنى الى الاستفراغ واهل الروم نصارى
وفى عين الذباب جحوظ وكان جالينوس ماهرا فى الطب
وختم القرآن فى التراويح سنة وان القرد لشبيه بالآدمى
نعطفا اخرج من زمرة العقلاء فيحلى عليه بكمال السخافة
او عد مسخرة من المساخر واستطرف نسقه هذا الى غاية ربما
تستودع دفاتر المضاحك وسفينة نوادر الهذيان بخلاف
اذا ترك العطف ورمى بالجمل رمى الحصى والجوز من غير طلب
ائتلاف بينها فالخطب اذ ذاك يهون هونا ما ومن هنا عابوا
ابا تمام فى قوله لا والذى هو عالم ان النوى صبر وان ابا الحسين كريم
حيث تعاطى الجمع بين مرارة النوى وكرم ابى الحسين ومن
امثلة التى نحن فيها ما نتلوه من قوله تعالى يعلم ما يلج فى الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وقوله لتن

الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم واعلم أن الوصل من محسناته
أن تكون الجملتان متناسبتين لكونهما اسميتين أو فعليتين وما شاكل
ذلك فإذا كان المراد من الإخبار مجرد نسبة الخبر إلى المخبر عنه
من غير التعرض لقيد زائد كالتجدد والثبوت وغير ذلك لزم
أن يراعى ذلك فتقول قام زيد وقعد عمرو وزيد قائم وعمرو
قاعد وكذا زيد قام وعمرو قعد وأن لا تقول قام زيد وعمرو قاعد
وكذا قام زيد وعمرو قعد وزيد لقيته وعمرو مررت به وزيد
أكرمت أباه وعمرو ضربت غلامه كما بين في علم النحو أمثال
ذلك أما إذا أريد التجدد في إحداهما والثبوت في الأخرى
كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو وجب
أن تقول قام زيد وعمرو قاعد بعد وعليه قوله تعالى سواء
عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون المعنى سواء عليكم أحدثتم
الدعوة لهم أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لأنهم كانوا إذا
حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله تعالى وإذا مس
الناس ضر الآية وكانت حالهم المستمرة أن يكونوا عن دعوتهم

صامتين وكذلك قوله تعالى أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين
المعنى أجددت وأحدثت عندنا تعاطي الحق فيما نسمعه منك أم
اللعب أي أحوال الصبا بعد على استمرارها عليك استبعادا منهم أن
يكون عبادة الأصنام من الضلال وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين
حيث استدرجهم إلى أن قلدوا الآباء في عبادة التماثيل وتعفير جباههم
لها اعتقادا منهم في ذلك أنهم على شيء اللهم إنا نعوذ بك من كيد الشيطان
وإذ قد تحققنا الكلام في الفصل والوصل إلى هذا الحد فبالحري أن نلحق
به الكلام في الحال التي تكون جملة لمجيئها تارة مع الواو وأخرى
لا معها فنقول وبالله التوفيق الكلام في ذلك يستدعي تمهيد
قاعدة وهي أن الحال نوعان حال بالإطلاق وحال تسمى مؤكدة و
لكل واحد من النوعين أصل في الكلام ولهما معا نهج في الاستعمال
واحد فأصل النوع الثاني هو أن يكون وصفا ثابتا نحو هو الحق
بينا وزيد أبوك شفيقا وذاك حاتم سخيا جوادا وهذا خالد بطلا
شجاعا وفي التنزيل إنا أنزلناه قرآنا عربيا وأصل النوع الأول
هو أن يكون وصفا غير ثابت مثل الصفات كاسم الفاعل

واسم المفعول نحو جاءني زيد راكبا وسلم علي قاعدا وضربت اللص
مكتوفا وقلته معتبدا ويمتنع ان يقال جاءني زيد طويلا او قصيرا
او اسود او ابيض اللهم الا بتأويل كما تسمع ايمة النحو يتأولون عليك
جميع ما ذكرت ونحوها في الاستعمال لانها غاير بين عن حرف النفي
كما يقال هو الحق بينا دون لا خفيا وجاء زيد راكبا دون لا ماشيا
او ماشيا دون راكبا وحق الموضعين ان لا يدخلها الواو ونظرا
الى اعرابها الذي ليس بتبع لان سبيل الواو وان كنا نسميها واو
الحال اصلها العطف ونظرا الى ان حكم الحال مع ذي الحال
ابدا نظير حكم الخبر مع المخبر عنه الا تراك اذا الغيت هو في قولك
هو الحق بينا بقي الحق بين وجاء في قولك جاء زيد راكبا بقي
زيد راكب وضربت في قولك ضربت اللص مكتوفا بقي اللص مكتوف
وكذا الباب فيجي الحال وذا الحال خبرا ومخبرا عنه والخبر ليس
موضعا لدخول الواو على ما سبق تقريره هذا الباب والتحقيق
فيه هو ان الاعراب لا ينتظم الكلمات كقولك ضرب زيد اللص
مكتوفا الا بعد ان يكون هناك تعلق ينتظم معانيها فاذا وجدت

الاعراب في موضع قد تناول شيئا بعد من الواو كان ذلك دليلا
على تعلق هناك معنوي فذلك التعلق يكون مغنيا عن تكلف تعلق
آخر واذا عرفت هذا ظهر لك ان الاصل في الجملة اذا وقعت
موقع الحال ان لا يدخلها الواو لكن النظر اليها من حيث كونها جملة
مفيدة مستقلة بفائدة غير متصلة بالاولى اتحادها اذا كانت
مؤكدة مثلها في قولك هو الحق لا شبهة فيه وفي قوله عز من قائل
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وغير منقطعة عنها لجهات جامعة
بينهما كما ترى في نحو جاء زيد يقاد الجنائب بين يديه ولقيت عمرا
وسيفه على كتفه يبسط العذر في ان يدخلها واو للجمع بينها
وبين الاولى مثله في نحو قام زيد وقعد عمرو واذا تمهد هذا
فنقول الضابط فيما نحن بصدده هو ان الجملة متى كانت واردة
على اصل الحال وذلك ان تكون فعلية لا اسمية لان الاسمية
كما تعلم دالة على الثبوت وعلى نهجها ايضا بان تكون مثبتة فالوجه
ترك الواو جريا على موجب الحال نحو جاءني زيد يسرع او يتكلم
او يعدو فرسه ولذلك لا تكاد تسمع نحو جاءني ويسرع او متى

لم تكن واردة على اصل الحال وذلك ان تكون اسمية فالحال غير
المؤكدة فالوجه الواو نحو جاء زيد وعمرو امامه ورايت زيدا
وسيفه قاعد وما جاء بخلاف هذا الصور معدودة الحقت بالنوادر
نحو كلمته فوه الى فيّ ورجع عوده على بدئه فبت اصاح
نصف النهار الماء غامره وما انشده ابو علي في الاغفال
ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق
ومتى كانت واردة على اصل الحال لكن لا على نهجها فالوجه
جواز الامرين نحو قولك جعلت امشي ما ادري اين اضع رجلي
ونحو جعلت امشي وما ادري اين اضع رجلي وقوله
مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر اسباب جرين على قدر
وقوله اكسبته الورق البيض ابا ولقد كان ولا يدعى لاب
وقوله اقادوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد
لان ترك الواو ارجح مع الفعل الماضي منفيا ومثبتا والوارد
لا على نهج الحال لا محالة اما منفيا فلحرف النفي واما مثبتا فلحرف
قد ظاهرا او مقدرا ليقربه من زمانك حتى يصلح للحال منتظم

في سلك المصادر عن المعنى لك ان تقول اخذت اجتهد كما
تعيني احد ولك ان تقول اخذت اجتهد وما كان يعيني احد
وكذا اتاني قد جهده السير بدون الواو او وقد جهده السير
بالواو لان ترك الواو في النفي وفي الاثبات ارجح واما
الظرف فلما احتمل لان يكون جملة فعلية وان لا يكون بحسب
التقديرين وتردد لذلك بين ان يكون واردا على اصل الحال
وغير وارد جاز الامران فيه فيقال رايته على كتفه سيف بدون
الواو تارة ورايته وعلى كتفه سيف بالواو اخرى هذا
ثم من عرف السبب في تقديم الحال اذا اريد ايقاعها
عن النكرة مع الواو في مثل جاءني رجل وعلى كتفه سيف و
لمزيد جوازه في قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم على ما قدمت وتنبه لوجوب الواو في نحو جاءني رجل
وعلى كتفه سيف عند ارادة الحال ولوجوب تركه فيه عند
ارادة الوصف لامتناع عطف الصفة على موصوفها البتة
فتامل واما ليس فلما قام مع خبره مقام الفعل المنفي جاء كثيرا



أتاني وليس معه غيره قال إذ الجري في كبد الرئاسة خلى القلب فقد
لأن ذكر الأول أرجح ووقوعه في الكلام أدور أما
الحالات المقتضية للطي إجمالاً عن الكلام إيجازاً أو إطنابا
فمن أحاط علماً بما قد سبق استغنى بذلك عن بسط الكلام
ههنا فلنقتصر على بيان معنى الإيجاز والإطناب وعلى إيراد
أمثلة في الجانبين أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين
لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل
جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني
فيما بينهم ولا بد من الاعتراف بذلك مقيساً عليه ولنسمه متعارف
الأوساط وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم فالإيجاز
هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط
والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو
الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل هذا وقد تليت عليك
فيما سبق طرق الاختصار والتطويل فلئن فهمتها ليعرفن الوجازة
متفاوتة بين موجز وأوجز بمراتب لا تكاد تنحصر والإطناب

كذلك وعرفت من ذلك معنى قول القائل في وصف البلغاء
يرمون بالخطب الطوال تارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء
وذكرت لك أيضاً الاختصار والتطويل مقامات فإن شئت بها
المثال بيانها فما صادف من ذلك مع تعمقه ما ترادفهم وسمي
الإيجاز إذ ذاك عيا وتقصيرا والإطناب إكثارا وتطويلا والعلم
في الإيجاز قوله علت كلمته في القصاص حيوة ولإصابته المحز بفضله
على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وذلك قولهم القتل أنفى
للقتل ومن الإيجاز قوله تعالى هدى للمتقين ذهاباً إلى
أن المعنى هدى للضالين الصائرين إلى التقوى بعد الضلال لما
أن الهدى إلى الهداية إنما يكون للضال لا للمهتدي ووجه حسنه
قصد المجاز المستفيض نوعه وهو وصف الشيء بما يؤول إليه
والتوصل به إلى تصدير أولى الزهراوين بذكر أولياء الله وقوله
تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم أظهر من أن يخفى حاله في الوجازة
نظراً إلى ما ناب عنه وكذا قوله ولا ينبئك مثل خبير وانظر
إلى الفاء التي تسمى فاء فصيحة في قوله فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم

ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم كيف فادت فامتثلتم
فتاب عليكم وفي قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
معناه فضرب فانفجرت وتامل قوله فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى اي فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي
الله الموتى ويقرب صاحب الكشاف رحمه الله امثل قوله سبحانه
ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله يظهر الى الواو في
وقالا ولقد آتينا داود وسليمن علما فعملا به وعلماه وعرفا حق
النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله ويحتمل عندي انه اخبر
تعالى عما صنع بهما واخبر عما قالا كانه قال نحن فعلنا ايتاء العلم
وهما فعلا الحمد تفويضا استفادة ترتب الحمد على ايتاء العلم
الى فهم السامع مثله في ثم بعثك بمل فهم فانه بعثوك
والتنزيل من البلاغة لطيف المسلك ومن امثلة الاختصار
قوله وكلوا مما غنمتم حلالا طيبا بطي ابحت لكم الغنائم
لدلالة فاء التسبيب في فكلوا وقوله فلم تقتلوهم انتم فعدوا
عن بدر فتخاذ لدلالة الفا في فلم وكذا قوله فانما هي زجرة

واحدة فاذا هم ينظرون اذا المعنى اذا كان ذلك فما هي الا زجرة
واحدة وكذا قوله فالله هو الولي تقديره ان ارادوا وليا
بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وكذا قوله يا عبادي
الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اصله فان لم
يتأت ان تخلصوا العبادة لي في ارض فاياي في غيرها فاعبدون
فاعبدون اي فاخلصوها في غيرها فحذف الشرط وعوض عنه
تقديم المفعول مع افادة الاختصاص بالتقديم وقوله كلا فاذهبا
بآياتنا اي ارتدع عن خوف قتلهم فاذهبا اي فاذهب انت واخوك
بدلالة كلا على المطوي وقوله اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل
مريم اصله اذ يلقون اقلامهم ينظرون ليعلموا ايهم يكفل مريم
لدلالة ايهم على ذلك بوساطة علم النحو وقوله ليحق الحق
ويبطل الباطل اي فعل ما فعل ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل
وكذا قوله ليدخل الله في رحمته اي لاجل الادخال في الرحمة
كان الكف ومنع التعذيب وقوله انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن

بينهما وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا اذ لم يتعسر
الحمل بمنع الامانة والعقد واريد للتفسير الثاني وهو تحمل
التكليف كان اصل الكلام تحملها الانسان ثم خان
تنبيها عليه بقوله انه كان ظلوما جهولا الذي ترجح
ما عليه من الظلم والجهل في الغالب وقوله افمن زين
له سوء عمله فرآه حسنا تتمته ذهبت نفسك عليهم حسرة
فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
او تتمته كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وقول العرب جاء بعد اللتيا
والتي بترك صلة الموصول ايثارا للايجاز تنبيها على
ان المشار اليها باللتيا والتي وهي المحنة والشدائد
بلغت من شدتها وفظاعة شأنها مبلغا تبهت الواصف
معها حتى لا يحير ببنت شفة ومن الايجاز قوله عز
قائلا قل اتنبئون الله بما لا يعلم اى بما لا ثبوت له و
لا علم الله متعلق به نفيا للملزوم وهو المنبأ بنفي

لا وجد وهو وجوب كونه معلوما للعالم الذات لو كان
له ثبوت بای اعتبار كان وقوله ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم اصله لن يتوبوا
فلن يكون قبول توبة فاوثر الايجاز دعما الى انتفاء الملزوم
بانتفاء اللازم وهو قبول التوبة الواجب في حكمته تعالى
وتقدس وقوله بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
اى شركاء لا ثبوت لها اصلا ولا انزل الله باشراكها حجة
اى تلك ذا انزال الحجة كلاهما منتف على اسلوب قوله
على لاحب لا يهتدى بمناره اى لا منار ولا اهتداء به
وقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار
نفيا للاصل والفرع ومنه وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم اذ المراد لا ذاك ولا علمك به اى
كلاهما غير ثابت وكذا ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
اى لا شفاعة ولا طاعة ومن الايجاز قوله وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اصل الكلام

بناء الخطاب

بصالح لان الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به اي بأن اطاعوا
واخطؤوا الطاعة بكبيرة واخرى عصوا وتداركوا المعصية
بالتوبة وقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
اصله قل لهم قولي لك ان تنتهوا يغفر لكم وكذا قوله قل
للذين كفروا ستغلبون فيمن قرأ بياء الغيبة ومن امثلة
الاطناب قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ترك الايجاز وهو ان
في ترجح وقوع اي ممكن كان على لا وقوعه لآيات للعقلاء لكونه
كلاما لا مع الانس فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن
بل مع القرون كلهم قرنا فقرنا الى انقراض الدنيا وان فيهم
تعرف وتتقدم من مرتكبي التقصير في باب النظر والعلم بالصانع
من طوائف الغواة فقل لي اي مقام للكلام ادعى لترك الايجاز

الى الاطناب من هذا وقوله قولوا آمنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم آثر الاطناب فيه على الايجاز وهو آمنا
بالله وبجميع كتبه لما كان في مسمع من اهل الكتاب وفيهم
من لا يؤمن بالتورية وبالقرآن وهم النصارى القائلون
ليست اليهود على شيء وفيهم من لا يؤمن بالانجيل وبالقرآن
وهم اليهود وكل منهم يدعي الايمان بجميع ما انزل الله متفرقا
لاهل الكتاب وليبتهج المؤمنون بما نالوا من كرامة الامة
وقوع الايجاز عن طباق المقام بمراحل وقوله واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون لم يؤثر ايجاز وهو اتقوا يوم لا خلاص
عن العقاب فيه لكل من جاء مذنبا اذ كان كلاما مع
الامة لتنقش صورة ذلك اليوم في ضمائرهم وفي الامة
الجاهل والعالم والمعترف والجاحد والمسترشد والمعاند

والفهم والبليد لئلا يختص المطلوب منهم منهم احد دون
احد وان لا يكون بحيث يناسب فوق سامع دون سامع او
يخاص الى ضمير بعض دون بعض وقوله الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به لو ارتد
اختصاره لما انخرط في الذكر يؤمنون به اذ ليس احد من مصدقي
حملة العرش يرتاب في ايمانهم ووجه حسن ذكره اظهار
شرف الايمان وفضله والترغيب فيه وقوله اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لو اوثر الاختصار
فترك قوله والله يعلم انك لرسوله فصل في البين من حيث
لان مساق الآية لتكذيب المنافقين في دعوى الاخلاص
في الشهادة لك ولكن لايهام رجوع التكذيب الى نفس الشهادة
لو لم يكن هذا الفصل الى الاختصار وما يحكيه عن موسى
هي عصاي اتوكؤ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب
اخرى جوابا عن قوله وما تلك بيمينك وكذا ما يحكيه بعد

... لكن عصاي ... اصنافا ...
... [illegible] ...
اصناما فنظل لها عاكفين في الجواب عن قول ابرهيم
ما تعبدون من باب الاطناب وهو في موقعه وقول
الخضر لموسى عليهما السلم في الكرة الثانية الم اقل لك
بزيادة لك لاقتضاء المقام مزيد تقرير لما قد كان تقدم له
من انك لن تستطيع معي صبرا وكذا قوله موسى رب اشرح
لي صدري بزيادة لي لاكتساء الكلام معها من تأكيد الطلب
لانشراح الصدر ما لا يكون بدونه لانك اذا قلت اشرح
لي افاد ان ثمة ما عندك تطلب شرحه فكنت مجملا فاذا
قلت صدري فسرت مفصلا وان كان الطلب في حال
الذي هو مقام مزيد احتياج الى انشراح الصدر لما يؤذن
به الرسالة من تلقي المكاره وضروب الشدائد وقوله تعالى
الم نشرح لك صدرك وارد على هذا ليتوخى مزيد التقرير
وقول البلغاء في الجواب مثل لا واصلحك الله بزيادة الواو
خلافا لما عليه كلام الاوساط من الاطناب في موقعه وكذ
ان تعد باب نعم وبئس موضوعا على الاطناب اذ لو اريد

من الاختصار الكلي نعم زيد وبئس عمرو وان تجعل الكلمة في
ذلك تتوخى تقريب المدح والذم لاقتضائهما مزيد التقريب
لكونهما للمدح العام والذم العام الشائعين في كل خصلة
محمودة ومذمومة المستبعد تحققهما وهو كون المحمود محمودا
في خصال الحمد وكون المذموم مذموما في خلافها وتجعل وجه
التقريب الجمع بين طرفي الاجمال والتفصيل الا تراك اذا
قلت نعم الرجل مريدا باللام الجنس دون العهد كيف توجه
المدح اليه اولا على سبيل الاجمال لكونه من افراد ذلك
الجنس او اذا قلت نعم رجلا فاضمرته من غير ذكر له سابق
وفسرته باسم جنسه ثم اذا قلت زيد كيف توجهه اليه
ثانيا على سبيل التفصيل وان هذا الباب متضمن للطائف
فيه من الاطناب الواقع في موقعه ما ترى وفيه تقدير السؤال
وبناء المخصوص عليه تقديره بعد نعم الرجل او نعم رجلا من هو
ويبنى عليه زيد اي هو زيد وقد عرفت فيما سبق لطف هذا
النوع وفيه الاختصار من جهة وهو ترك المبتدا في الجواب

ولا يخفى حسن موقعه ولو لم يكن فيه شيء سوى انه يبرز
الكلام في معرض الاعتدال نظرا الى اطنابه من وجه
والى اختصاره من آخر وايهامه الجمع بين المتنافيين مثله
في جمعه بين الاجمال والتفصيل فمتى لتحرك الكلام الذي
يقرع سمعك على امثال ذلك لكفى وقد اطلعناك على كيفية
التعرض لجهات الحسن فتفتش عنها ترى الباب مشحونا
بجهات وكنت المرجوع اليه في اختيار المختار من اقوال
النحويين في الباب كقول من يرى المخصوص مبتدا اثره والفعل
مع الذي يليه خبرا مقدما وقول من يرى المخصوص خبر المبتدا
محذوف على ما بأت وقول من لا يرى اللام في الفاعل
الا للجنس وقول من لا يأبى كونها للتعريف العهد واعلم
ان باب التمييز كله سواء كان عن مفرد او عن جملة باب
منزل عن اصله لتوخي الاجمال والتفصيل الا تراك تجد
الامثلة الواردة من نحو عندي منوان سمنا وعشرون درهما
وملء الاناء عسلا وطاب زيد نفسا وطاب عمرو فرحا

والتلاء لأنباء ماء منادية على أن الأصل عندي يمن منزلي
ودوام عشرتي وعسل ملأى لأنائي وطابت نفس بد
وطير الفرح عمرا وملاذ الماء الانائي ولمصادفة الإجمال في
التفصيل المرتفع فيما يحكيه جل وعلا عن زكريا عليه السلام
من قوله واشتعل الرأس شيبا في مقام المبالغة وحسن اللطف
لتوابع انقراض الشباب ترى ما ترى من مزيد الحسن وفي
هذه الجملة وفيما قبلها من رب إني وهن العظم مني لطائف
وآية كلمة في القرآن فضلا عن جملة فضلا عن كلام لا تحتوي
على لطائف ولأمر ما تلي على من كانوا النهاية في فصاحة
البشر وبلاغة أهل الوبر منهم والمدر وإن كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما أحاروا ببنت شفة ولا نبسوا
هنالك عن صوت ولا صفة على أنهم كانوا الحراص على التسابق
في رهان المفاخر والمتهالكين على ركوب الشطط في امتهان
المناحر تأبى لهم العصبية أن لا يرد غض مفاخرهم كهلا
أو أن لا يعد صيت مطرانهم جهاما والكلام في تلك اللطائف

مفتقر إلى أخذ أصل معنى الكلام ومرتبته الأولى ثم النظر
في التفاوت بين ذلك وبين ما عليه نظم القرآن وفي كم درجة
يتصل أحد الطرفين بالآخر فنقول لا شبهة أن أصل معنى
الكلام ومرتبته الأولى يا ربي قد شخت فإن الشيخوخة مشتملة
على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما ثم تركت هذه
المرتبة لتوخي مزيد التقرير إلى تفصيلها في ضعف بدني وشاب
رأسي ثم تركت هذه المرتبة الثانية لاشتمالها على التصريح
إلى ثالثة أبلغ وهي الكناية في وهنت عظام بدني لما ستعرف
أن الكناية أبلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ
في التقرير بنيت الكناية على المبتدأ فحصل أنا وهنت عظام
بدني ثم لقصد خامسة أبلغ أدخلت إن على المبتدأ فحصل
إني وهنت عظام بدني ثم لطلب تقرير أن الواهن هي عظام
بدنه قصدت مرتبة سادسة وهي سلوك طريقي الإجمال و
التفصيل فحصل إني وهنت العظام من بدني وللذي بين
في تقرير معنى الإجمال والتفصيل في رب اشرح لي صدري لمثبته

عليه ههنا ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة
سابعة وهي ترك توسيط البدن فحصل اني وهنت العظام
مني ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبة
ثامنة وهي ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن
المجموع بالبعض دون كل فرد فرد فحصل ما ترى وهو الذي
في الآية اني وهن العظم مني وهكذا تركت الحقيقة في شأن الشيب
الى ابلغ وهي الاستعارة فسيأتيك ان الاستعارة ابلغ من الحقيقة
فحصل اشتعل شيب رأسي ثم تركت الى ابلغ وهي اشتعل رأسي شيبا
وكونها ابلغ من جهات احدها اسناد الاشتعال الى الرأس
لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسي و
اشتعل رأسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا
والفرق نير وثانيتها الاجمال والتفصيل في طريق التمييز
وثالثتها تنكير شيبا لافادة المبالغة ثم ترك لفظ اشتعل
رأسي شيبا لتوخي مزيد التقرير الى اشتعل الرأس مني شيبا
على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لقرينة عطف

واشتعل الرأس على وهن العظم مني لمزيد التقرير وهي
لايهام حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ واعلم
ان الذي فتق اكمام هذه الجهات عن ازاهير القبول في القلوب
هو ان مقدمة هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار
بان حذفت كلمة النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه
وهي ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة
فحسب وهي المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له
قدم صدق في نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس للبناء فكما
ان البناء الحاذق لا يرمي الاساس الا بقدر ما يقدر من البناء
عليه كذلك البليغ يصنع بمبادي كلامه فمتى رأيته اختصر
المبدأ فقدر ذلك باختصار ما يورد ثم ان الاختصار لكونه
من الامور النسبية يرجع في بيان دعواه الى ما سبق تارة والى
كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اخرى والذي نحن بصدده
من القبيل الثاني اذ هو كلام في معنى انقراض الشباب
والمام المشيب وهل معنى احق بان يمتري القائل فيه اطلاق

المجهود، ونستغرق في الثناء عند كل حد معهود من انقراض
أيام ما أصدق من يقول فيها

وقد تعوضت من كل بمشبهه، فما وجدت لأيام الصبى عوضا

ومن الملام المشيب المعيب للمرء الطلوع لأمر المغيب
نعيب الغانيات على شيبي، ومن لي أن أمتع بالمعيب

اللهم زدنا اطلاعا على لطائف قرآنك الكريم، وغوصا على لآلي
فرقانك العظيم، ووفقنا لابتغاء مرضاتك في طلوع المشيب
المر، واختم بالخير في مغيبه لأمر، فإنه لا يكون إلا ما تشاء
بيدك الأمر كله، وليكن هذا آخر الكلام في الفن الرابع
ولنعد إلى الفصل الموعود وهو الكلام في معنى القصر

فصل

اعلم أن القصر كما يجري
بين المبتدأ والخبر فيقصر المبتدأ تارة على الخبر والخبر
على المبتدأ أخرى يجري بين الفعل والفاعل وبين الفاعل
والمفعول وبين المفعولين وبين الحال وذي الحال وبين
كل طرفين وأنت إذا أتقنته في موضع ملكت الحكم في الباقي

ويكفيك مجرد التنبيه هناك، وحاصل معنى القصر راجع
إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك
زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعرا ومنجما، وقولك زيد قائم
لا قاعد لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويسمى
هذا قصر إفراد بمعنى أنه يزيل شركة الثاني، أو بوصف مكان
آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجما لا شاعرا ما زيد منجم بل شاعر أو زيد
شاعر لا منجم، ويسمى هذا قصر قلب بمعنى أن المتكلم يقلب فيه
حكم السامع، أو إلى تخصيص الوصف بموصوف قصر إفراد
كقولك ما شاعر إلا زيد لمن يعتقد زيدا شاعرا لكن يدعي شاعرا
آخر، أو قولك ما قائم إلا زيد لمن يعتقد قائمين أو أكثر في
جهة من الجهات معينة، أو قصر قلب كقولك ما شاعر إلا
زيد لمن يعتقد أن شاعرا في قبيلة معينة أو طرف معين
لكنه يقول ما زيد هناك بشاعر، وللقصر طرق أربعة
أحدها طريق العطف كما تقول في قصر الموصوف
على الصفة إفرادا أو قلبا بحسب مقام السامع زيد شاعر

لا منجم او ما زيد منجم بل شاعر وفي قصر الصفة على
الموصوف بالاعتبارين ما عمرو شاعر بل زيد او زيد
شاعر لا عمرو او لا غير بتقدير لا غير زيد الا انك تترك
الاضافة لدلالة الحال وتبني غير على الضم على كونها
كالغايات او ليس غير او ليس الا بتقدير ليس شاعر غير المذكور
او الا المذكور فيجعل النفي عاما لئلا يتناول كل شاعر
يعتقد فيه ما عدا زيدا والفرق بين قصر الموصوف على
الصفة وقصر الصفة على الموصوف واضح فان الموصوف
في الاول لا يمتنع ان يشاركه غيره في الوصف ويمتنع
في الثاني وان الوصف في الثاني يمتنع ان يكون لغير
الموصوف ولا يمتنع في الاول وثانيها النفي
والاستثناء كما تقول في قصر الموصوف على الصفة
افرادا وقلبا ليس زيد الا شاعرا او ما زيد الا شاعر
او ان زيد الا شاعر او ما زيد الا قائم او ما زيد الا يقوم
ومن الوارد في التنزيل على قصر افراد قوله تعالى وما محمد

الا رسول فمعناه محمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى
البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم
ان لا يبقى لهم منزلة المبعدين لهلاكه فهو من اخراج
الكلام لا على مقتضى الظاهر وقوله تعالى ان حسابهم
الا على ربي فمعناه حسابهم مقصور على الاتصاف بعلى
ربي لا يتجاوزه الى ان يتصف بعلى وقوله تعالى
وما انا بطارد المؤمنين وقوله تعالى وما انزل الرحمن
من شيء ان انتم الا تكذبون فالمراد لستم في دعواكم للرسالة
عندنا بين الصدق وبين الكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا ادعى
بل انتم عندنا مقصورون على الكذب لا تتجاوزونه الى
حق كما تدعونه وما علمه من الرحمن منزل في شان الكلم
ومن الوارد على قصر القلب قوله تعالى حكاية عن عيسى
عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله لانه
قاله في مقام اشتمل على معنى انك يا عيسى لم تقل للناس
ما امرتك لاني امرتك ان تدعو الناس الى ان يعبدوني

ثم إنك دعوتهم إلى أن يتخذوا من دوني بل ادعى إلى الاقبله
ما قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله وفي قصر الصفة على الموصوف
إفرادا ما شاعر إلا زيد وما جاء إلا زيد لمن يرى أن زيدا
ليس بشاعر وأن زيدا ليس بجاء وتحقيق وجه القصر في
الأول هو أنك بعد علمك أن نفي الذوات ممتنع نفيها
وإنما تنفي صفاتها وتحقيق ذلك يطلب من علوم أخر متى
قلت ما زيد توجه النفي إلى الوصف وحين لا نزاع في
طوله ولا قصره ولا سواده ولا بياضه وما شاكل ذلك
وإنما النزاع في كونه شاعرا أو منجما تناوله النفي
فإذا قلت ما زيد إلا شاعر جاء القصر وتحقيق وجه القصر
في الثاني هو أنك متى أدخلت النفي على الوصف المسلم ثبوته
وهو وصف الشعر وقلت ما شاعر أو من شاعر ولا شاعر
توجه بحكم العقل إلى ثبوته للمدعى له إن عاما كقولك في
الدنيا شعراء أو في قبيلة كذا شعراء وإن خاصا كقولك

زيد وعمرو شاعران فيتناول النفي ثبوته له لكن في
قلت ما إلا زيد أفاد القصر **ومنها إنما** استعمال إنما
كما تقول في قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد
إنما زيد جاء إنما زيد يجيء لمن يردده بين المجيء والذهاب
من غير ترجيح لأحدهما أو قصر قلب لمن يقول زيد ذاهب
لا جاء وفي تخصيص الصفة بالموصوف إفرادا إنما يجيء
زيد لمن يردد المجيء بين زيد وعمرو أو يراه منهما وقلبا لمن
يقول لا يجيء زيد ويضيف إليه الذهاب لكن السبب
في إفادته إنما معنى القصر هو تضمينه معنى ما وإلا لذلك
تمسك المفسرين لقوله تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم
بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم إلا الميتة والدم
وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم
على الميتة والدم بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولا
صلته حرم عليكم وإنما اسما لأن ويكون المعنى أن المحرم
عليكم الميتة والدم وقد سبق أن قولنا المنطلق زيد

وزيد المنطلق كلاهما يقتضي الحصر والانطلاق على
زيد وترى ائمة النحو يقولون انما لاثبات ما يذكر
بعدها ونفيا لما سواه ويذكرون لذلك وجها لطيفا
يسند الى علي بن عيسى الربعي وانه كان من اكابر ائمة النحو
ببغداد وهو ان كلمة ان لما كانت لتاكيد اثبات المسند
للمسند اليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية على
ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف تاكيدها
فناسب ان يضمن معنى القصر لان قصر الصفة على الموصوف
وبالعكس ليس الا تاكيدا للحكم على تاكيد الا ترى انك متى قلت لمخاطب
يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو زيد جاء لا عمرو كيف
يكون قولك زيد جاء اثباتا للمجيء لزيد صريحا وقولك لا عمرو اثباتا
ثانيا للمجيء لزيد ضمنا ولما نبه على انه متضمن معنى ما والا
صحح انفصال الضمير معه كقولك انما يضرب انا كما تقول
ما يضرب الا انا قال الفرزدق
انا الذائد الحامي الذمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي

كما قال عنترة قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا انا
ورابعها التقديم كما تقول في قصر الموصوف
على الصفة تميمي انا قصر افراد لمن يردده بين قيس وتميم
او قصر قلب لمن ينفيه عن تميم ويلحقه بقيس وكذا قائم
هو لا قاعد هو بالاعتبارين بحسب المقام وفي قصر الصفة
على الموصوف افرادا انا كفيت مهمك بمعنى لا غيري لمن
يعتقد كافيا في مهمه غيرك وكذا زيدا ضربت او زيد ضربت
بالاعتبارين على ما تضمن ذلك فصل التقديم وهذه
الطرق تتفق من وجه وهو ان المخاطب معها يلزم ان يكون
حاكما حكما مشوبا بصواب وخطاء وانت تطلب بها تحقيق
صوابه ونفي خطائه يحقق في قصر القلب كون الموصوف
على احد الوصفين او كون الوصف لاحد الموصوفين وهو
صوابه وتنفي تعيين حكمه وهو خطاؤه ويحقق في قصر
الافراد حكمه في البعض وهو صوابه وتنفيه عن البعض
وهو خطاؤه وتختلف من وجوه فالطرق الاول

ثم الاصل فيها التعرض للمثبت والمنفي بالنص كما ترى في
قولك زيد شاعر لا منجم في قصر الموصوف على الصفة
وزيد شاعر لا عمرو في قصر الصفة على الموصوف ولا يترك
النص الا لغرض حيث يورث تطويلا ويكون المقام اختصارا
كما اذا قال المخاطب زيد يعلم الاشتقاق والصرف والنحو
والعروض وعلم القافية وعلم المعاني وعلم البيان
فتقول زيد يعلم الاشتقاق لا غير او وليس غيرا وليس الا
او كما اذا قال زيد يعلم النحو لا غير والطرق الآخر
ثم الاصل فيها النص بالمثبت دون المنفي كما ترى في قولك
ما انا الا تميمي وانما انا تميمي وتميمي انا في قصر الموصوف
على الصفة وفي قصر الصفة على الموصوف ما جاء الا زيد و
انما يجيء زيد وهو يجيء والطريق الاول لا يجامع الثاني
فلا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد ولا ما يقوم الا زيد لا عمرو
والسبب في ذلك ان لا العاطفة من شرط منفيها
ان لا يكون منفيا قبلها بغيرها من كلمات النفي نحو جاء زيد لا عمرو

ونحو زيد قائم لا قاعد او متحرك لا ساكن او موجود
لا معدوم ويمتنع تحقق شرطها هنا في منفيها او قلت
ما يقوم الا زيد لا عمرو وما زيد الا قائم لا قاعد والنكتة
سبق في تحقيق وجه القصر في النفي والاستثناء يكشف
لك الغطاء ويجامع الطريقين الاخيرين فيقال انما انا تميمي
لا قيسي وتميمي انا لا قيسي وانما يأتيني زيد لا عمرو
وهو يأتيني لا عمرو ووجه صحة مجامعة لا العاطفة انما
مع امتناع مجامعتها ما والا غير وجه صحة ان يقال
امتنع عن المجيء زيد لا عمرو مع امتناع ان يقال ما جاء
زيد لا عمرو وهو كون معنى النفي في انما وفي قولك امتنع
عن المجيء ضمنيا لا صريحا لكن اذا جامعت لا العاطفة
انما جامعتها بشرط وهو ان لا يكون الوصف بعد انما مما
له في نفسه اختصاص بالموصوف المذكور كقوله
عز اسمه انما يستجيب الذين يسمعون فان كل عاقل يعلم انه
لا يكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل وقوله انما انت

منذر من يخشاها فلا يخفى على احد ممن به مسكة ان الانذار
انما يكون انذارا ويكون له تاثير اذا كان مع من يؤمن بالله
وبالبعث والقيامة واهوالها ويخشى عقابها وقولهم انما
يعجل من يخشى الفوت فمركوز في العقول ان من لم يخش
الفوت لم يعجل واذا كان له اختصاص لم يصح فيه استعمال
لا العاطفة فلا تقول انما يعجل من يخشى الفوت لا من يامنه
وطريق النفي والاستثناء يسلك مع مخاطب تعتقد فيه انه
مخطي وتراه يصر كما اذا رأيت شبحا من بعيد لم تقل
ما ذاك الا زيد لصاحبك الا وهو يتوهمه غير زيد ويصر
على انكار ان يكون اياه وما قال الكفار للرسل ان انتم الا بشر
مثلنا الا والرسل عندهم في معرض المنتفي عن البشرية
والمنسلخ عن حكمها بناء على جهلهم ان الرسول يمتنع
ان يكون بشرا او اقامتهم في موضع آخر كيف يجد ما حل عندهم
هناك يرشح بما يتلوث به صاحبك من تقرير جهلهم سيما
وهو ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم

الا تكذبون وما اعجب شان المشركين ما رضوا للنبي ان
يكون بشرا ورضوا للالهة ان يكون حجرا واما قول الرسل لهم
ان نحن الا بشر مثلكم فمن باب المجاراة وارخاء العنان مع
الخصم ليعثر حيث يريد تبكيته كما قد يقول نعم انى مثلك
كذا وكذا والحق في يدك ساكنا ولكن كيف يتدرج
في دعواي ما ابيك وعلى هذا ما من موضع يأتي فيه النفي
والاستثناء الا والمخاطب عند المتكلم مرتكب للخطاء
مصر اما تحقيقا اذا اخرج الكلام على مقتضى
الظاهر واما تقديرا اذا اخرج لا على مقتضى الظاهر
كقوله عز وجل وما انت بمسمع من في القبور ان انت
الا نذير لما كان النبي عليه السلم شديد الحرص على هداية
الخلق وما كان متمناه شيئا سوى ان يرجعوا عن الكفر
فيملكوا زمام السعادة عاجلا واجلا ومتى رآهم لم يؤمنوا
تداخله من الوجد والكآبة ما كاد يبخع له حتى قيل له
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا ويتساقط

حسرات على توليهم وإعراضهم عن الحق وما كانت شفقته
عليهم تدعو بلغي جبلتهم على عادتهم ليهيموا في أودية الضلال
بل كانت تدعو أن يرجع إلى ربه بالإيمان لهم عوده على
بدئه عسى أن يسمعوا ويعوا داعيا في ذلك كل صعب وذلول
أبرز لذلك في معرض من ظن أنه يملك غرس الإيمان
في قلوبهم مع إصرارهم على الكفر فقيل لست هناك
إن أنت إلا نذير وقوله عز وعلا قل لا أملك لنفسي نفعا
ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون
مصيبت في هذا القالب وطريق أنه يسلك مع مخاطب في
مقام لا يصر على خطائه أو يجب عليه أن لا يصر على خطائه
لا تقول إنما يجيء أو إنما يجيء زيد إلا والسامع متلق
كلامك بالقبول وكذا لا تقول إنما الله إله واحد
إلا ويجب على السامع أن يتلقاه بالقبول والأصل في إنما
أن يستعمل في حكم لا يعوزك تحقيقه إما لأنه في نفس

الأمر جلي أو لأنك تدعيه جليا فمن الأول قوله تعالى
إنما أنت منذر من يخشاها وقوله إنما يستجيب الذين
يسمعون وقولهم إنما يعجل من يخشى الفوت وقولك إنما
الذي يرقد على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة
الرحم ومن حسن التحفي إنما هو أخوك ولصاحب الترك
إنما الله إله واحد ومن الثاني قول الشاعر
إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء ادعى أن
كون مصعب كما ذكر جلي وإنه عادة للشعراء يدعون
الجلاء في كل ما يمدحون به ممدوحيهم ألا ترى إلى قوله
ويعذلني أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالتي علمت سعد
وإلى قوله لا أدعي لأبي العلاء فضيلة حتى يسلمها إليه عداه
وإلى قوله فيا من لديه كل امرئ له نظير وإن جاز الفضائل هل له
وما حكي عن اليهود في قوله عز وعلا وإذا قيل لهم لا تفسدوا
في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ادعوا على مجرى
عادتهم في الكذب أن كونهم مصلحين أمر ظاهر مكشوف

لا تشترط به ولذلك أكد الأمر حقاً علينا في تكذيبهم حيث قال
ألا إنهم هم المفسدون فجاء بالجملة اسمية معرّفة
الخبر باللام وموسطة الفصل ومؤكدة بإنّ ومصدّرة
بحرف التنبيه وإذ قد ذكرنا القصر فيما بين المسند
والمسند إليه بالطرق التي سمعت فقد حان أن نذكره
فيما بين غيرهما كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذي الحال
والحال ونحن نذكره في ذلك بطريق النفي والاستثناء
وطريق إنما دون ما سواهما فلهما هناك على اعتبارات
تراعى فلا بد من التنبيه عليها واعلم أنك
إذا أردت قصر الفاعل على المفعول قلت ما ضرب
زيد إلا عمراً على معنى لم يضرب غير عمرو وإذا أردت
قصر المفعول على الفاعل قلت ما ضرب عمراً إلا زيد على
معنى لم يضربه غير زيد والفرق بين المعنيين واضح
وهو أن عمراً في الأول لا يمتنع أن يكون مضروب غير زيد
ويمتنع في الثاني وأن زيداً في الثاني لا يمتنع أن يكون

ضارباً غير عمرو ويمتنع في الأول ولك أن تقول
في الأول ما ضرب إلا عمراً زيد وفي الثاني ما ضرب إلا
زيد عمراً فتقدم وتؤخر إلا أن هذا التقديم والتأخير
لما استلزم قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف
قل دوره في الاستعمال لأن الصفة المقصورة على عمرو
في قولنا ما ضرب زيد إلا عمراً هي ضرب زيد لا الضرب مطلقاً
والصفة المقصورة على زيد في قولنا ما ضرب عمراً إلا زيد
هي الضرب لعمرو وإذا أردت قصر أحد المفعولين
على الآخر في نحو كسوت زيداً جبة قلت في قصر زيد
على الجبة ما كسوت زيداً إلا جبة أو ما كسوت إلا جبة
زيداً وفي قصر الجبة على زيد ما كسوت جبة إلا زيداً
أو ما كسوت إلا زيداً جبة وفي نحو ظننت زيداً منطلقاً
تقول في قصر زيد على الانطلاق ما ظننت زيداً إلا
منطلقاً أو ما ظننت إلا منطلقاً زيداً وفي قصر الانطلاق
على زيد ما ظننت منطلقاً إلا زيداً أو ما ظننت إلا زيداً

منطلقًا وإذا أردت قصر ذي الحال على الحال قلت ما جاء
زيد إلا راكبًا أو ما جاء إلا راكبًا زيد وفي قصر الحال على
ذي الحال ما جاء راكبًا إلا زيد أو ما جاء إلا زيد راكبًا
والأصل في جميع ذلك سواء أن الكلام الناقص يستلزم
ثلاثة أشياء أحدها المستثنى منه لكون إلا للإخراج
محتاجًا منه وثانيها العموم في المستثنى منه لعدم
المخصص وامتناع ترجيح أحد المتساويين ولذلك
ترانا في علم النحو نقول في تأنيث الضمير في كانت في قراءة
أبي جعفر المدني إن كانت إلا صيحة بالرفع وفي ترى
المبني للمفعول في قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم برفع مساكنهم وفي بقيت في بيت ذي الرمة
وما بقيت إلا الضلوع الجراشع للنظر إلى ظاهر اللفظ
والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء
وثالثها مناسبة المستثنى منه للمستثنى في
جنسه ووصفه وأعني بصفته كونه فاعلًا أو مفعولًا

أو ذا الحال أو حالًا أو ما ترى كيف يقدر المستثنى منه
في ما جاءني إلا زيد مناسبًا له في الجنس والوصف الذي
ذكرت نحو ما جاءني أحد إلا زيد وفي ما رأيت إلا زيدًا نحو
ما رأيت أحدًا إلا زيدًا وفي ما جاء زيد إلا راكبًا نحو ما جاء زيد
كائنًا على حال من الأحوال إلا راكبًا ومن هذه المستلزمات
تجب جميع تلك الأحكام بيان ذلك أنك إذا قلت ما ضرب
زيد إلا عمرًا لزم أن يقدر قبل إلا مستثنى منه ليصح
الإخراج منه ولزم أن يقدر عامًّا لعدم المخصص
ولزم أن يقدر مناسبًا للمستثنى الذي هو عمرو في
جنسه ووصفه وحينئذ يمتنع أن يكون صحة الكلام
إلا هكذا ما ضرب زيد أحدًا إلا عمرًا واستلزام هذا الكلام
قصر الفاعل على عمرو المفعول ضروري وكذلك إذا قلت
ما ضرب إلا عمرًا زيد وأما إذا قلت ما ضرب عمرًا إلا زيد لزم تقدير
مستثنى منه من جنس المستثنى وبوصف العموم وبوصف
المستثنى وحينئذ يكون صحة الكلام هكذا ما ضرب

عمرًا أحدٌ إلا أن يفيد لزوم ضرورة قصر المفعول على
زيدٍ الفاعل وإذا قلت ما كسوتُ زيدًا إلا جبةً كان
التقدير ما كسوتُ زيدًا ملبسًا إلا جبةً فيكون زيدٌ مقصورًا
على الجبة لا يتعداها إلى ملبس آخر وإذا قلت ما كسوت
جبةً إلا زيدًا كان التقدير ما كسوت جبةً أحدًا إلا زيدًا
فيكون الجبةُ مقصورةً على زيد لا تتعداه إلى من عداه و
إذا قلت ما جاء راكبًا إلا زيدٌ كان التقدير ما جاء راكبًا
أحدٌ إلا زيدٌ وإذا قلت ما جاء زيدٌ إلا راكبًا كان التقدير ما جاء
زيدٌ كائنًا على حالٍ من الأحوال إلا راكبًا وإذا قلت
ما اخترتُ رفيقًا إلا منكم كان التقدير ما اخترت رفيقًا
من جماعةٍ من الجماعات إلا منكم وإذا قلت ما اخترت
منكم إلا رفيقًا كان التقدير ما اخترت منكم أحدًا متصفًا
بأي وصفٍ كان إلا رفيقًا وكذا إذا قلت ما اخترت
إلا رفيقًا منكم بدل أن تقول ما اخترت إلا منكم رفيقًا
لم يغر عن فهم ومذاق طبعك على الفرق بينهما قال الشاعر

لو خُيِّر المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسًا وبين ما إذا
قلت ما اختار إلا فارسًا منكم وإذا عرفت هذا في النفي
فاعرفه بعينه في إنما لا تصنع شيئًا غير ما أذكره لك وهو
في الحكم غير هذا في نزول القيد الأخير من الكلام الواقع
بعد إنما منزلة المستثنى فقد نحو إنما يضرب زيد
تقديره ما يضرب إلا زيد ونحو إنما يضرب زيد عمرًا تقديره
ما يضرب زيد إلا عمرًا ونحو إنما يضرب زيد عمرًا يوم الجمعة تقديره ما يضرب
ونحو إنما يضرب زيد عمرًا يوم الجمعة في السوق تقديره
ما يضرب زيد عمرًا يوم الجمعة إلا في السوق وكذا إذا
قلت إنما زيد يضرب فتقديره ما زيد إلا يضرب
ولا يجوز معه من التقديم والتأخير ما جوز مع ما وإلا
ولا نقتبه في ذلك عليه فذاك أصل في باب القصر وهذا
كالفرع عليه والتقديم والتأخير هناك غير ملبس وهنا
مؤد إلى الالتباس وكذلك قدرنا إنما هذا لك تقديره ما هذا
إلا لك وإنما لك هذا تقديره ما لك إلا هذا حتى إذا

أردت الجمع بين إنما وطريق العطف فقل إنما هذا لك
لا لغيرك وإنما لك هذا لا لذاك وإنما يأخذ زيد لا عمرو
وإنما زيد يأخذ لا يعطي ومن هذا تعثر على الفرق
بين إنما يخشى الله من عباده العلماء وبين إنما يخشى العلماء من عباده
الله بتقديم المرفوع على المنصوب فالأول يقتضي انحصار
خشية الله على العلماء والثاني يقتضي انحصار خشية العلماء
على الله واعلم أن حكم غير حكم إلا في إفادة القصر
وامتناع مجامعة لا العاطفة تقول ما جاءني غير زيد
إما إفرادا لمن يقول جاء زيد مع جاء آخر وإما قلبا لمن
يقول ما جاء زيد وإنما جاء مكانه إنسان آخر ولا تقول
ما جاءني غير زيد لا عمرو واعلم أني مهدت لك في هذا
العلم قواعد متى بنيت عليها أعجب كل شاهد بناؤها ومبانٍ
اعترف لك بكمال الحذق في صناعة البلاغة أمامها
ونهجت لك مناهج متى سلكتها أخذت بك عن المجهل
المتعسف إلى سواء السبيل وصرفتك عن ناجن

المطروق إلى التميز الذي هو شفاء الغليل ونصبت لك
أعلاما متى انتحيتها اعترتك على ضوال منشودة
حدثت لك منها ما ليست عند أحد بمحشودة ومثلت لك
أمثلة متى حذوت عليها أمنت العثار في مظان الزلل
ولابد أن تتصرف فيما أشير إليه عنايتك بذل الخطاب ثم
إذا كنت ممن ملك الذوق إلى الطبع وتصفحت كلام رب العزة
أطلعتك على ما يورد كناياك موارد العزة وكشفت لنور
بصيرتك عن وجه إعجازه القناع وفصلت لك ما أجملته
إشارة أولئك المصاقع على معارضته القراع فإن ملاك الأمر
في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم فمن لم يرزقهما
فعليه بعلوم أخر وإلا لم يحظ بطائل ما تقدم وما تأخر
إذا لم تكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر
هذا وإن الخبر كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وهو
المراد به الطلب فسنذكر ذلك في آخر القانون الثالث
بإذن الله تعالى القانون الثاني من علم المعاني

وهو قانون الطلب قد سبق أن حقيقة الطلب حقيقة
معلومة مستغنية عن التحديد فلا نتكلم هناك وإنما نتكلم
في مقدمة يستدعيها المقام من بيان ما لا بد للطلب منه
ومن تنوعه والتنبيه على أبوابه في الكلام وكيفية توليدها
لما سوى أصلها وهي أن لا ارتياب في أن الطلب من غير تصور
إجمالا أو تفصيلا لا يصح وأنه يستدعي مطلوبا لا محالة
ويستدعي فيما هو مطلوب أن لا يكون حاصلا وقت الطلب
ولنسم هذا المعنى عندك مستفرعا عليه ثم إن الطلب إذا
تأملت نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول
وقولنا لا يستدعي أن يمكن أعم من قولنا يستدعي أن لا يمكن
ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول والمطلوب
بالنظر إلى أن لا واسطة بين الثبوت والانتفاء يستلزم انحصاره
في قسمين حصول ثبوت متصور وحصول انتفاء متصور وبالنظر
إلى كون الحصول ذهنيا وخارجيا يستلزم انقسامه إلى
أربعة أقسام حصولين في الذهن وحصولين في الخارج

ثم إذا لم نرد الحصول في الذهن على التصور والتصديق
لم نتجاوز أقسام المطلوب ستة حصول ثبوت تصور
أو تصديق في الذهن وحصول انتفاء تصور أو تصديق
فيه وحصول ثبوت تصور أو انتفائه في الخارج
وطلب حصول التصور في الذهن لا يخرج إلى تفصيل
مجمل أو تفصيل مفصل بالنسبة ووجه ذلك أن
الإنسان إذا صح منه الطلب بأن أدرك إما بالإجمال
كشيء ما أو بالتفصيل بالنسبة إلى شيء ما ثم طلب حصول
ذلك في الذهن وامتنع طلب الحاصل توجه
إلى غير حاصل فهو تفصيل المجمل أو تفصيل المفصل
بالنسبة أما النوع الأول من الطلب فهو
التمني ألا ترى كيف تقول ليت زيدا جاءني
فتطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم
العقل بامتناعه أو كيف تقول ليت الشباب
يعود فتطلب عود الشباب مع جزمك بأنه لا يعود

او كيف تقول ليت زيدا يأتيني او ليتك تحدثني فتطلب
اتيان زيد او حديث صاحبك في حال لا تتوقعهما ولا
لك طماعية في وقوعهما اذ لو توقعت او طمعت لاستعملت
لعل او عسى واما الاستفهام والامر والنهي و
النداء فمن النوع الثاني والاستفهام لطلب حصول
في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن اما ان يكون حكما
بشيء على شيء او لا يكون والاول هو التصديق و
يمتنع انفكاكه من تصور الطرفين والثاني هو التصور
ولا يمتنع انفكاكه من التصديق ثم المحكوم به اما ان
يكون نفس الثبوت والانتفاء كما تقول الانطلاق
ثابت او متحقق او موجود كيف ثبت او ما الانطلاق
ثابتا فتحكم على الانطلاق بالثبوت او الانتفاء بالاطلاق
او ثبوت كذا او انتفاء كذا بالتقييد كما تقول
الانطلاق قريب او ليس بقريب فتحكم على الانطلاق
بثبوت القرب له او بانتفائه عنه لا مزيد للتصديق

على هذين النوعين والنوع الاول لا يحتاج الطالب
لا في التصديق ولا المسند اليه لكون المسند فيه وهو نفس
الثبوت والانتفاء مستغنيا عن الطلب والثاني يحتاجه
في التصديق وطرفيه واما الامر والنهي والنداء فلطلب
الحصول في الخارج اما حصول انتفاء متصور كقولك في النهي
للمتحرك لا تتحرك فانك تطلب بهذا الكلام انتفاء الحركة
في الخارج واما حصول ثبوت كقولك في الامر قم وفي النداء
يا زيد فانك تطلب بهذين الكلامين حصول قيام صاحبك
واقباله عليك في الخارج والفرق بين الطلب في الاستفهام
والطلب في الامر والنهي والنداء واضح فانك في الاستفهام
تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق
وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب ان يحصل له في
الخارج مطابق فنقش الذهن في الاول تابع وفي
الثاني متبوع وتوفية هذه المعاني حقها تستدعي
مجالا غير ما لنا هذا فلنكتف بالاشارة اليها

ومجرد التنبيه عليها وإذ قد عثرت على ما تلي لك
فبالحري أن نبين كيف يتفرع عن هذه الأبواب الخمسة
التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء ما يتفرع
على سبيل الجملة إذ لا بد منه ثم الفصول الآتية في علم
البيان لتلاوتها عليك ما تركنا من التفصيل هنالك
ضمناء فنقول متى امتنع إجراء هذه الأبواب على
الأصل تولد منها ما ناسب المقام كما إذا قلت لمن همك
همه ليتك تحدثني امتنع إجراء التمني والحال ما ذكر
على أصله فطلب الحديث من صاحبك غير مطموع
في حصوله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى السؤال
أو كما إذا قلت هل لي من شفيع في مكان لا يسع إمكان
التصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على
أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال التمني وكذا إذا
قلت لو يأتيني زيد فيحدثني بالنصب طالبا لحصول
الوقوع فيما يفيده لو من تقدير غير الواقع ولد التمني

أو سبب تولد لعل معنى التمني في قولهم لعلي سأحج فأزورك
بالنصب بعد المرجو عن الحصول أو كما إذا قلت
لمن تراه لا ينزل ألا تنزل فتصيب خيرا امتنع أن يكون
المطلوب بالاستفهام التصديق بحال النزول لصاحبك
لكونه حاصلا وتوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو
ألا تحب النزول مع محبتنا إياه وولد معنى العرض
أو كما إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب أتفعل هذا
امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله
وتوجه إلى ما لا تعلم مما لا بد منه من نحو أتستحسن و
ولد الإنكار والزجر أو كما إذا قلت لمن يهجو أباه
مع حكمك بأن هجو الأب ليس شيئا غير هجو النفس
هل تهجو إلا نفسك أو غير نفسك امتنع منك إجراء
الاستفهام على ظاهره لاستدعائه أن يكون الهجو
احتمل عندك توجهها إلى غيره وتولد منه بمعونة القرينة
الإنكار والتوبيخ أو كما إذا قلت لمن يسيء الأدب

ألم أؤدب فلانا إشعار أن تطلب العلم بتأديبك
فلانا وهو حاصل وتولد منه الوعيد والزجر أو
كما إذا قلت لمن بعثته إلى مهم وأنت تراه عندك ألما ذهبت
بعد امتنع الذهاب عن توجه الاستفهام إليه لكونه
معلوم الحال واستدعى شيئا مجهول الحال ألا ما بالإبطاء
الذهاب مثل لما يتيسر لك الذهاب وتولد منه
الاستبطاء والتحضيض أو كما إذا قلت لمن يتملق عندك
وأنت تعرفه لا أعرفك امتنعت معرفتك به عن الاستفهام
وتوجه إلى مثل أتظنني لا أعرفك وتولد الإنكار
والتعجب والتعجيب أو كما إذا قلت لمن جاءك أجئتني
امتنع المجيء عن الاستفهام وولد بمعونة القرينة التقرير أو
كما إذا قلت لمن يدعي أمرا ليس في وسعه أفعله امتنع
أن يكون المطلوب بالاستفهام حصول ذلك الأمر في الخارج
لحكمك عليه بامتناعه وتوجه إلى مطلوب ممكن الحصول
مثل بيان عجزه وتولد التعجيز والتحدي أو كما إذا قلت

لعبد شتم مولاه وإنك أدبته حق التأديب أفأعده
على ذلك البلوغ لعادة الشتم مولاك امتنع أن يكون المراد
بالأمر بالشتم والحال ما ذكر وتوجه بمعونة قرينة الحال
إلى نحو اعرف لازم الشتم وتولد منه التهديد أو
كما إذا قلت لعبد لا يمتثل أمرك لا تمتثل أمري امتنع
طلب ترك الامتثال لكونه حاصلا وتوجه إلى غير حاصل
مثل لا تكترث لأمري ولا تبال به وتولد التهديد أو
كما إذا قلت لمن أقبل عليك يتظلم يا مظلوم امتنع توجيه
النداء إلى طلب الإقبال لحصوله وتوجه إلى غير حاصل
مثل زيادة الشكوى بمعونة قرينة الحال وتولد منه الإغراء
ولنقتصر فمن لم يستضئ بمصباح لم يستضئ بإصباح
ناقلين الكلام إلى التصفح لأبواب الطلب الباب
الأول في التمني اعلم أن الكلمة الموضوعة
للتمني هي ليت وحدها وأما لو وهل في إفادتهما معنى
التمني فالوجه ما سبق وكأن الحروف المسماة بحروف

التنديم والتحضيض معنى هلا وألا ولولا ولوما مأخوذة منهما مركبة
مع لا وما المزيدتين مطلوبا بالتزام التركيب التنبيه على
إلزام هل وألا معنى التمني فإذا قيل هلا أكرمت زيدا
أو ألا متقلبة الهاء همزة أو لولا أو لوما فكأن المعنى ليتك
أكرمت زيدا متولدا منه معنى التنديم وإذا قيل هلا
تكرم زيدا أو لولا فكأن المعنى ليتك تكرمه متولدا منه
معنى السؤال والتحضيض

الباب الثاني

في الاستفهام للاستفهام كلمات موضوعة وهي الهمزة
وأم وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى
ومتى وأيان بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة أعني
كسر همزتها تقوي أن يكون أصلها أي أوان وهذه
الكلمات ثلاثة أنواع أحدها يختص طلب حصول
التصور وثانيها يختص طلب حصول التصديق وثالثها
لا يختص وقد نبهت فيما سبق أن طلب التصور مرجعه
إلى تفصيل المجمل أو إلى تفصيل المفصل بالنسبة وإذا

طلب التصديق وجدته راجعا إلى تفصيل المجمل أيضا
وهو طلب تعين الثبوت أو الانتفاء في مقام التردد ف
الهمزة من النوع الأخير تقول في طلب التصديق
بها أحصل الانطلاق أو أزيد منطلق وفي طلب
التصور بها في طرف المسند إليه أدبس في الإناء
أم عسل وفي طرف المسند أفي الخابية دبسك أم
في الزق فإنك في الأول تطلب تفصيل المسند إليه
وهو المظروف وفي الثاني تطلب تفصيل المسند
وهو الظرف وهل من النوع الثاني لا تطلب بها
إلا التصديق كقولك هل حصل الانطلاق وهل
زيد منطلق ولاختصاصها بالتصديق امتنع أن يقال
هل عندك عمرو أم بشر باتصال أم دون أم عندك بشر
بانقطاعها وقبح هل رجل عرف وهل زيدا عرفت
دون هل زيد عرفه ولم يقبح أرجل عرف وأزيدا
عرفت لما سبق أن التقديم يستدعي حصول التصديق



بنفس الفعل فبينه وبين هل تدافع واذا استحضرت ما سبق
من التفاصيل في صدد التعليم عساك ان تهتدي لما طويت
ذكره لنا ولا بد لهل من ان تخصص الفعل المضارع
بالاستقبال فلا يصح ان يقال هل تضرب زيدا وهو اخوك
على نحو اتضرب زيدا وهو اخوك في ان يكون الضرب
واقعا في الحال ولكون هل لطلب الحكم بالثبوت او الانتفاء
وقد نبهت فيما قبل على ان الاثبات والنفي لا يتوجهان
الى الذوات وانما يتوجهان الى الصفات ولاستدعائه
التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك وانت تعلم ان احتمال
الاستقبال انما يكون لصفات الذوات لا لانفس الذوات
من حيث هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال
استلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون
كونه زمانيا اظهر كالافعال ولذلك كان قوله عز وعلا فهل
انتم شاكرون ادخل في الانباء عن طلب الشكر
من قولنا فهل تشكرون او فهل انتم تشكرون او أفأنتم

شاكرون

شاكرون وان كان ينبئ عن عدم التجدد لكنه دون
فهل انتم شاكرون لما ثبت ان هل ادعى للفعل من الهمزة
لا يحسن هل زيد منطلق الا من البليغ كما لا يحسن
نظيره قولك ليتك زيد ضاربه لخصوصه من كل احد
على ما سبق في موضعه والخطب مع الهمزة في نحو ازيد منطلق
اهون واما ما ومن واي وكم وكيف واين
وانى ومتى وايان فمن النوع الاول من طلب حصول
التصور على تفصيل بينهن لا بد من ايقافك عليه ليصح
منك تطبيقها في الكلام على ما يتوجب فنقول اما
ما فللسؤال عن الجنس تقول ما عندك بمعنى اي اجناس
الاشياء عندك وجوابه انسان او فرس او كتاب او طعام
وكذلك تقول ما الكلمة وما الاسم وما الفعل
وما الحرف وما الكلام وفي التنزيل فما خطبكم بمعنى
اي اجناس الخطوب خطبكم وقوله ما تعبدون من بعدي
اي اي من في الوجود تؤثرونه في العبادة او عن الوصف

فتقول ما زيد وما عمرو وجوابه الكريم او الفاضل
وما شاكل ذلك ولكونها للسؤال عن الجنس وللسؤال
عن الوصف وقع بين فرعون وبين موسى ما وقع لان
فرعون حين كان جاهلا بالله معتقدا ان لا موجود مستقلا
بنفسه سوى اجناس الاجسام اعتقادا ككل جاهل لا نظر
له ثم سمع موسى قال انا رسول رب العالمين سأل بها عن
الجنس سؤال مثله فقال وما رب العالمين كانه قال اي
اجناس الاجسام هو وحين كان موسى عالما بالله اجاب
عن الوصف تنبيها على النظر المؤدي الى العلم بحقيقته
الممتاز عن حقائق الممكنات فلما لم يتطابق السؤال
والجواب عند فرعون الجاهل عجّب من حوله الجهلة
فقال لهم الا تستمعون ثم استهزأ بموسى وجننه
فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وحين
لم يرهم موسى يفطنون لما نبههم عليه في الكرتين
من فساد مسألتهم الحمقاء واستماع جوابه الكليم غلظ

في الثالثة فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون ويحتمل ان يكون فرعون قد سأل بما عن الوصف
لكون رب العالمين عنده مشتركا بين نفسه وبين من دعا
اليه موسى في قوله انا رسول رب العالمين لجهله
وفرط عتوه وتسويل نفسه الشيطانية لذلك الضلال
الشنيع من ادعاء الربوبية وارتكاب ان يقول انا
ربكم الاعلى ونفخ الشيطان في خشومه بتسليم اولئك
البهائم لدعواها واذعانهم لذلك وتلقيبهم اياه برب
العالمين وشهرته فيما بينهم بذلك الى درجة دعت
السحرة اذ عرفوا الحق وخروا سجدا لله وقالوا آمنا برب
العالمين الى ان يعقبوه بقولهم رب موسى وهرون
نفيا لاتهامهم ان يعنوا فرعون ولئن يكون ذلك التمويه
من فرعون على طاغيته ان يجري موسى في جوابه على نهج
حاضر به لو كانوا المسؤلين في وجهه بدلا فيجعله
المخلص لجهله بحال موسى وعدم اطلاعه على علو شأنه

اذ كان ذلك المقام اول اجتماعه بموسى بدليل ما جرى
فيه من قوله اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت
من الصادقين فحين سمع المخلص لم يكنه تعجب وعجب
واستهزاء وجنن وتفيهق بما تفيهق من لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين وامّا من فللسؤال
عن الجنس من ذوي العلم تقول من جبرئيل بمعنى أبشر
هو ام ملك ام جني وكذا من ابليس ومن فلان ومنه
قوله تعالى حكاية عن فرعون فمن ربكما يا موسى اراد
من مالككما ومدبر امركما أملك هو ام جني ام بشر منكرا
لان يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه
ذاهبا في سؤاله هذا الى معنى ألكما رب سواي
فاجاب موسى بقوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى كانه قال نعم لنا رب سواك وهو الصانع
الذي اذا سلكت الطريق الذي بين بايجاده لما اوجد
وتقديره اياه على ما قدر واتبعت فيه الخريت الماهر

وهو العقل الهادي عن الضلال لزمك الاعتراف
بكونه ربا وان لا رب سواه وان الهلاك لمثلي ومنك
من الخلق اجمع حق لا منفعة له وامّا اي فللسؤال
عما يميز احد المتشاركين في امر يعمهما يقول لقائل عندي
ثياب فتقول اي الثياب هي فتطلب منه وصفا
يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية قال الله تعالى
حكاية عن سليمان ايكم يأتيني بعرشها اي أإنسي ام جني
وقال حكاية عن الكفار اي الفريقين خير مقاما اي
انحن ام اصحاب محمد وامّا كم فللسؤال عن
العدد اذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رأيت كأنك
قلت أعشرون ام ثلاثون ام كذا ام كذا وتقول كم
درهمك وكم مالك اي كم دانقا وكم دينارا وكم ثوبك
اي كم شبرا او كم ذراعا وكم زيد ماكث اي كم يوما او
كم شهرا وكم رأيتك اي كم مرة وكم سرت اي كم فرسخا
او كم يوما قال عز وجل قال قائل منهم كم لبثتم اي كم يوما

أو كم ساعة وقال كم لبثتم في الأرض عدد سنين وقال
سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية ومنه قول الفرزدق
كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري
فيمن روى بنصبها للمميز وأما كيف فللسؤال عن الحال
إذا قيل كيف زيد فجوابه صحيح أو سقيم أو مشغول
أو فارغ أو شبعان أو جوعان ينتظم الأحوال كلها وأما
أين فللسؤال عن المكان إذا قيل أين زيد فجوابه
في الدار أو في المسجد أو في السوق ينتظم الأماكن كلها
وأما أنى فتستعمل تارة بمعنى كيف قال الله تعالى
فأتوا حرثكم أنى شئتم أي كيف شئتم وأخرى بمعنى من أين
قال الله تعالى أنى لك هذا أي من أين لك وأما
متى وأيان فهما للسؤال عن الزمان إذا قيل متى جئت
أو أيان جئت قيل يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا
أو سنة كذا وعن علي بن عيسى الربعي رحمه الله
إمام أئمة بغداد في علم النحو أن أيان تستعمل في

مواضع التفخيم كقوله عز وعلا يسأل أيان يوم القيامة
يسألون أيان يوم الدين واعلم أن هذه الكلمات
كثيرًا ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعاني بمعونة قرائن
الأحوال مثل ما هذا ومن هذا لمجرد الاستخفاف والتحقير
وأي للتعجب قال الله تعالى حكاية عن سليمان ما لي
لا أرى الهدهد وأي رجل هو للتعجب وأيما رجل
وكم دعوتك للاستبطاء وكم تدعوني للإنكار وكم
أحلم للتهديد وكيف تؤذي أباك للإنكار والتعجب
والتوبيخ وعليه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
أمواتا فأحياكم لمعنى التعجب ووجه تحقيق ذلك
هو أن الكفار في حين صدور الكفر منهم لا بد
أن يكونوا على أحد الحالين إما عالمين بالله وإما جاهلين
به فلا ثالث ثمة فإذا قيل لهم كيف تكفرون بالله وقد
علمت أن كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص
بالعلم بالصانع وبالجهل به انساق إلى ذلك فأفاد

أفي حال العلم بالله تكفرون أم في حال الجهل به ثم إذ
قيد كيف تكفرون بالله بقوله وكنتم أمواتا فأحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم وصار المعنى كيف تكفرون بالله
والحال العلم بهذه القصة وهي أن كنتم أمواتا فصرتم
أحياء وسيكون كذا وكذا صار الكفر أبعد شيء عن العاقل
فصار وجوده منه مظنة التعجب ووجه بعده هو
أن هذه الحالة تأبى أن لا يكون للعاقل علم بأن له صانعا
قادرا عالما حيا سميعا بصيرا موجودا غنيا في جميع ذلك
عن سواه قديما غير جسم ولا عرض حكيما خالقا منعما
مكلفا مرسلا للرسل باعثا مثيبا معاقبا وعلمه
بأن له هذا الصانع يأبى أن يكفر وصدور الفعل
عن القادر مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب
وإنكار وتوبيخ فصح أن يكون قوله كيف تكفرون
إلى آخر الآية تعجبا وتعجيبا وإنكارا وتوبيخا وكذلك
يقال أين مغيثك للتوبيخ والتقريع والإنكار حال التذلل

المخاطب قال الله تعالى أين شركائي الذين كنتم تزعمون
توبيخا للمخاطبين وتقريعا لهم لكونه سؤالا في وقت الحاجة
إلى الإغاثة عمن كان يدعى له أنه يغيث وقال فأين
تذهبون للتنبيه على الضلال ويقال أنى تعممت
على خاتن للتعجب والتعجيب والإنكار قال الله تعالى
فأنى تؤفكون إنكارا وتوبيخا وقال أنى لهم الذكرى
وقد جاءهم رسول مبين استبعادا لذكراهم ويقال
متى قلت هذا للجحد والإنكار ومتى تطلشاني للاستبطاء
وقد عرفت الطريق فراجع نفسك وإذا سلكتها فالكلام
عن كمال التيقظ لما لقنت فلا يخفى بعد ما عرفت
أن التقديم يستدعي العلم بحال نفس الفعل وقوعا
أو غير وقوع أزيدا ضربت سائلا عن حال وقوع الضرب
ولا أنت ضربت زيدا بنية التقديم ولكن أن تثبت
أم قيل أزيدا ضربت أم غيره وأأنت ضربت
زيدا أم غيرك وإن أردت بالاستفهام التقرير

فاجره على مثال الإثبات فقل حال تقرير الفعل أضربت
زيدا أو أضربت زيدا وقل حال تقرير أنه الضارب دون
عمرو أأنت ضربت زيدا كما قال الله تعالى أأنت فعلت
هذا بآلهتنا يا إبراهيم وأن زيدا مضروبه أزيدا
ضربت وإن أردت به الإنكار فانسجه على منوال
النفي فقل في إنكار نفس الضرب أضربت زيدا
أو قل أزيدا ضربت أم عمرا فإنك إذا أنكرت من تردد
الضرب منهما تولد منه إنكار الضرب على وجه برهاني
ومنه قوله تعالى آلذكرين حرم أم الأنثيين وفي إنكار
أنه الضارب أأنت ضربت زيدا وفي إنكار أن
زيدا مضروبه أزيدا ضربت كما قال الله تعالى
قل أغير الله أتخذ وليا وقال أغير الله تدعون
ومنه أيضا قوله أبشرا منا واحدا نتبعه فتذكر
ولا تغفل عن التفاوت بين الإنكار للتوبيخ على
معنى لم كان أو لم يكون كقولك أعصيت ربك

أو أتعصي ربك وبين الإنكار للتكذيب على معنى لم يكن
أو لا يكون كقوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين وقوله
أصطفى البنات على البنين وقوله أنلزمكموها وإياك
أن يزل عن خاطرك التفصيل الذي سبق نحو أنا
ضربت وأنت ضربت وهو ضرب من احتمال الابتداء
واحتمال التقديم وتفاوت المعنى في الوجهين فلا
تحمل نحو قوله تعالى آلله أذن لكم على التقديم فليس
المراد أن الإذن ينكر من الله دون غيره ولكن احمله
على الابتداء مرادا منه تقوية حكم الإنكار وانظم
في هذا السلك قوله تعالى أفأنت تكره الناس
وقوله أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي وقوله
أهم يقسمون رحمة ربك وما جرى مجراه وإذ
قد عرفت أن هذه الكلمات للاستفهام ف
عرفت أن الاستفهام طلب وليس يخفى أن الطلب
إنما يكون لما يهمك ويعنيك شأنه لا لما وجوده

وعلمه عندك بمنزلة وقد سبق أن كون الشيء
مهما جهة مستدعية لتقديمه في الكلام فلا يخفى
لزوم كلمات الاستفهام صدرا للكلام ووجوب
التقديم في نحو كيف زيد وأين عمرو ومتى الجواب
وما شاكل ذلك

الباب الثالث في الأمر

للأمر حرف واحد وهو اللام الجازم في قولك
ليفعل وصيغ مخصوصة سبق الكلام في ضبطها
في علم الصرف وعدة أسماء ذكرت في علم النحو والأمر
في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو
لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء
وأما أن هذه الصور والتي هي من قبيلها هل
هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء أم
لا فالأظهر أنها موضوعة لذلك وهي حقيقة
فيه لتبادر الفهم عند استماع نحو قم وليقم زيد
إلى جانب الأمر وتوقف ما سواه من الدعاء والالتماس

والندب والتهديد على اعتبار القرائن وإطباق
أئمة اللغة على إضافتهم نحو قم وليقم إلى الأمر بقولهم صيغة
الأمر ومثال الأمر ولام الأمر دون أن يقولوا صيغة
الإباحة ولام الإباحة مثلا يمد ذلك وتحقيق معنى
الحقيقة والمجاز موضعه علم البيان فنذكره هناك إن
شاء الله تعالى ولا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل
الاستعلاء يورث إيجاب الإتيان به على المطلوب
منه ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من
المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات
مختلفة وإلا لم يستتبعه فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال
بالشرط المذكور أفادت الوجوب وإلا لم تفد غير
الطلب ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال
ما ناسب المقام إن استعملت على سبيل التضرع
كقولنا اللهم اغفر وارحم ولدت الدعاء وإن
استعملت على سبيل التلطف كقول كل أحد لمن يساويه

في المرتبة افعل بدون الاستعلاء ولذلك السؤال
او الالتماس كيف عبرت عنه وان استعملت في مقام
الاذن كقولك جالس الحسن او ابن سيرين لمن يستاذن
في ذلك بلسانه او لسان حاله ولتلك الاباحة
وان استعملت في مقام تسخط المامور به ولذلك
للتهديد على ما تقدم الكلام في امثال ذلك

الباب الرابع في النهي

للنهي حرف واحد فهو لا الجازم في لا تفعل والنهي محدود به
حد الامر في ان اصل استعمال لا تفعل ان يكون
على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فان صادف
ذلك افاد الوجوب والا افاد طلب الترك فحسب
ثم ان استعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل
الى الله لا تكلني الى نفسي سمي دعاء وان استعمل في
حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي
التماسا وان استعمل في حق المستاذن سمي اباحة

وان استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدا والامر
والنهي حقهما الفور والتراخي يوقف على قرائن
الاحوال لكونهما للطلب ولكون الطلب في استدعاء
تعجيل المطلوب اظهر منه في عدم الاستدعاء
لدى عند الانصاف والنظر الى حال المطلوب باخواتهما
ومنها الاستفهام والنداء منبهة على ذلك صالح وتمام
ينبه على ذلك تبادر الفهم اذا امر المولى عبده بالقيام
ثم امره قبل ان يقوم بان يضطجع وينام حتى المساء
الى ان المولى غير الامر دون تقدير الجمع بينهما في
الامر وارادة التراخي للقيام وكذا استحسان العقلاء
عند امر المولى عبده بالقيام او القعود او عتب سيده
اياه اذا لم يتبادر الى ذلك ذمه واما الكلام في
ان الامر اصل في المرة او في الاستمرار وان النهي
اصل في الاستمرار ام في المرة كما هو مذهب البعض
فالوجه هو ان ينظر ان كان الطلب بهما راجعا الى قطع

الواقع كقولك في الأمر للساكن تحرك وفي النهي للمتحرك
لا تتحرك فلا شبهة لمن وإن كان الطلب حاصلاً
في الحال الواقع كقولك في الأمر للمتحرك تحرك
ولا تظنن هذا طلباً للحاصل فإن الطلب حال وقوعه
يتوجه إلى الاستقبال كما نبهت عليه في فصل القانون
ولا وجود في الاستقبال قبل صيرورته حالاً وقولك
في النهي للمتحرك لا تسكن فلا شبهة الاستمرار واعلم
أن هذه الأبواب الأربعة التمني والاستفهام
والأمر والنهي تشترك في الإعانة على تقدير الشرط
بعدها كقولك في التمني ليت لي مالاً أنفقه على معنى
إن أرزقه أنفقه وقولك في الاستفهام أين بيتك
أزرك على معنى إن تعرفنيه أو أن أعرفه أزرك
وأما العرض كقولك ألا تنزل تصب خيراً
على معنى إن تنزل تصب فليس باباً على حدة وإنما
هو من مولدات الاستفهام كما عرفت وقولك

في الأمر أكرمني أكرمك قال الله تعالى فهب لي من
لدنك ولياً يرثني بالجزم وأما قراءة الرفع فلا
حملها على الاستئناف دون الوصف لئلا يلزم منه أنه
لم يوهب من وصفه لهلاك يحيى قبل زكريا
قال الله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة
وينفقوا مما رزقناهم ومنهم من يضمر لام الأمر
مع يقيموا إلا أن إضمار الجازم نظير إضمار الجار
فانظر وقولك في النهي لا تشتم يكن خيراً لك على معنى
إن لا تشتم يكن خيراً لك وتقدير الشرط لقرائن الأحوال
غير ممتنع قال الله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
على تقدير إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم وقال
فالله هو الولي على تقدير إن أرادوا أولياء بحق فالله
هو الولي بالحق ولا ولي سواه وأمثال ذلك في
القرآن كثيرة وكذا تقدير الجزاء لها كذلك قال الله تعالى
إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد

من بني إسرائيل على شِلِه فآمن واستكبرتم وترك
الجزاء وهو الستم ظالمين لذكر الظلم عقيبه
في قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين

الباب الخامس في النداء ما يتعلق بالنداء
من حروفه وتفصيل الكلام في معانيها سبق التعرض
لذلك في علم النحو فلا نتكلم فيه ولكن ههنا نوع
من الكلام صورته صورة النداء وليس بنداء
فننبه عليه وتلك الصورة هي قولهم أما أنا فأفعل
كذا أيها الرجل ونحن نفعل كذا أيتها القوم واللهم
اغفر لنا أيتها العصابة يراد بهذا النوع من
الكلام الاختصاص على معنى أنا أفعل كذا متخصصا
بذلك من بين الرجال ونحن نفعل كذا متخصصين
من بين الأقوام واللهم اغفر لنا مخصوصين من
بين العصائب واعلم أن الطلب كثيرا
ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك الخبر

فيذكر أحدهما في موضع الآخر ولا يصار إلى ذلك
إلا لتوخي نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع إلى دربة
في نوعنا هذا ولا يعض فيه بضرس قاطع والكلام
بذلك متى صادف مقامات البلاغة أفرز لك عن
السحر الحلال بما شئت ومن المتممات ما قد سبق
إلى أن نظم الكلام لذا استحسن مثله من غير البليغ
وإن اتحد المقام إذ لا شبهة في صحة اختلاف النظم
مقبولا وغير مقبول عند اختلاف المقام فلا بد لحسن
الكلام من انطباق له على ما لأجله يساق ومن طالب
عرفان جهات الحسن لا يتخطاها ولا يسلم ممن يعرج
الكلام منه على غيرها ويتعرى عن الحسن الذهاب بشوبه
ولا بد مع ذلك من أذن لا فتنا آفات البلاغة حصر غثه
فإنها أمة العظمى والبلية الكبرى لتلك الآفات
لا من أصحابه هي لغيرها مخلوقة إذا اتصل بذويها الكلام
ألا ترى بالندر التمييز مستجمع لهم جعلهم مستحقا غرقه

المتخلف والأمر فإنما نجد القرآن متفاوت القدر ارتفاعاً
وانحطاطاً بين العلماء في نوعنا هذا وبين الجهلة و
الجهات المحسنة لاستعمال الخبر في موضع
الطلب كثيرة تارة تكون قصد التفاؤل بالوقوع
كما إذا قيل لك في مقام الدعاء أعاذك الله من الشبهة
وعصمك من الحيرة ووفقك للتقوى ليتفاءل بلفظ
المضي على عدها من الأمور الحاصلة التي حقها الإخبار
عنها بأفعال ماضية وإنه نوع مستحسن بالاعتبار
وتلك إذا حسن اعتبار ما هو أبعد كما في الكتاب
في حق المخدرات لفظ حراستها بما هو أقعد والبعد
كما في إبدال الظرف لهذا السفرجل إلى براجية
لاشتمال اسمه الظاهر بالعربية على حروف سفرجل
فما ظنك بالقريب ومثل خلع هرون على كاتبه
إذ سأله عن شيء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين
بلا إنه لم يتبع ما عليه الأغبياء فيما بينهم من لا أيد

الله بترك الواو أو غيره هرون حين خرج إلى ناحية
لمطالعة عماراتها وقد تراءت له في طريقه شجرة
من بعيد فسأل عنها كاتباً فصحبه فقال الكاتب شجرة
الوفاق تفادياً عن لفظ الخلاف فكساه لفري
ذلك لغير ما لحن فيه أو هل حين غضب الراعي
على شاعر أبي معاذ لما ضرير حين افتتح موعد أحبابك
للفرقة غداً لغضبه شيء غير معنى التفاؤل حتى قال
له موعد أحبابك يا أعمى ولكن المثل السوء وأمر
بإخراجه ومثل تسمية العرب الفلاة مفازة
والعطشان ناهلاً واللديغ سليماً فإن شاكل
ذلك بلا من باب التفاؤل فالمفازة هي المنجاة
والناهل هو الريان والسليم هو ذو السلامة
وتارة لإظهار الحرص في وقوعها فالطالب
متى تبالغ حرصه فيما يطلبه ربما انتقشت في
الخيال صورته لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيل

الى غير الحاصل حاصلا حتى اذا حكم الحس بخلافه
غلّطه تارة واستخرج له محملا اخرى وعليه قول
شيخ المعرة ماسرت الا وطيف منك يصحبني
سرى امامى وتأويبا على اثرى يقول لكثرة ما ناجت
نفسي بك انتقشت في خيالى فاعدك بين يدى مغلطا
للبصر بعلة الظلام اذا لم يدركك ليلا امامى وعدك
خلفى اذا لم يتيسر لى تغليطه حين لا يدركك بين يدى
نهارا وتارة لقصد الكناية كقول العبد للمولى
اذا حول عنه الوجه ينظر المولى الى ساعة ق
وجه حسنه اما نفس الكناية ان شرت ولما لاحراز
عن صيغة الامر واما بهما وتارة لحمل المخاطب على
المذكور ابلغ حمل بالطف وجه كما اذا سمعت
من لا يحب ان ينسب الى الكذب تقول لك تأتيني
غدا او لا تأتيني وتارة مناسبات اخر فتاملها
ففيها كثرة وما من آية من آي القرآن واردة على

هذا الاسلوب الا مدارها على شيء من هذه النكت
قال الله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون
الا الله في موضع لا تعبدوا واذ اخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم في موضع لا تسفكوا يا ايها الذين
آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله في موضع
آمنوا وجاهدوا فانظر ومن ذلك القبيل
قول كل من يقول من البلغاء في الدعاء رحمه الله
او يرحمه الله ومن الجهات المحسنة لايراد الطلب
في مقام الخبر اظهار معنى الرضا بوقوع الداخل
تحت لفظ الطلب اظهارا الى درجة كان المرضى
مطلوب قال كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة
فذكر لفظ الامر بالاساءة ثم عطف عليه بلفظ او
الامر بضد الاساءة تنبيها بذلك على ان ليس المراد بالامر
الايجاب المانع عن الترك لكن المراد هو الاباحة

التي لا تنافي تخيير المخاطب بين ان تفعل وان لا تفعل
فاعلا كل ذلك لتوخي اظهار مزيد الرضا باي
ما اخترت في حقه من الاساءة او الاحسان او توخي
لاظهار نفي ان يتفاوت جوابه بتفاوته وتنوعه وعدم
تنوعه كما تقول صم او لا تصم فاني لا اترك الصيام
توهم من تخاطب انك تطلب منه ان تصوم وتنظر
في حالك او لا تصوم وتنظر ليتبين ثباتك على
الصيام صام او لم يصم وقوله استغفر لهم او
لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم وكذا قوله انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
منكم وما شاكل ذلك من لطائف الاعتبارات
وترى في باب التعجب من نحو اكرم بزيد على قول من
يقول انه بمعنى الخبر آخذا همزته من قبيل ذي كذا
جاعلا الباء زائدة مثلها في كفى بالله منخرطا في هذا
السلك ولهذا النوع اعني اخراج الكلام لا على

مقتضى الظاهر اساليب متفننة اذ ما من مقتضى
كلام ظاهري الا ويرد ولهذا النوع مدخل في جهة
من جهات البلاغة على ما ننبه على ذلك منذ اعتنينا
بشأن هذه الصناعة وترشدك اليه تارة بالتصريح وتارة
بالفحوى ولكل من تلك الاساليب عرق في البلاغة
يتشرب من افانين سحرها ولا كالاسلوب الحكيم فيها
وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال
أتت تشتكي عندي مزاولة القرى وقد رات الضيفان ينحون منزلي
فقلت كاني ما سمعت كلامها هم الضيف جدي في قراهم وعجلي
او السائل بغير ما يتطلب كما قال يسئلونك عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج قالوا لرسول
ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد
قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا فاجيبوا بما ترى وكما قال يسئلونك
ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين

والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سألوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف
بتنزيل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله
لتوخي التنبيه له بألطف وجه على تعديه
عن موضع سؤال هو اليق بحاله ان يسأل
عنه او اهم له اذا تأمل وان هذا الاسلوب
الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع
ما سلبه حكم الحال فيها وابرزه في معرض السحر وهل
الان شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسل سخيمته
حتى آثر ان يحسن على ان يسيء غير ان
سحره بهذا الاسلوب اذ توعده الحجاج بالقيد
في قوله لاحملنك على الادهم فقال متغابيا
مثل الامير حمل على الادهم والاشهب مبرزا
وعيده في معرض الوعد متوصلا ان
يريه بالطف وجه ان امرأ مثله في مسند

الامرة المطاعة خليق بان يصفد لا ان يصفد
وان يعد لا ان يوعد
وليكن هذا آخر كلامنا الآن في
علم المعاني منتقلين عنه الى علم
البيان بتوفيق الله تعالى
وعونه حتى اذا قضينا الوطر
من ايرادنا ما نحن له
استأنفنا الكلام في
النوعين المعلمين
لتتميم المراد منهما
بحسب المقامات
ان شاء الله
تعالى

علم البيان

الفصل الثاني في علم البيان

والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة وهي أن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن فإنك إذا أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا وقلت خد يشبه الورد في الحمرة امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو النقص فإنك إذا أقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها فالسامع إن كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح وإلا لم يفهم شيئا أصلا وإنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر وثان وثالث فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك العلائق في وضوح التعلق وخفائه صح في طريق إفادته

الوضوح والخفاء وإذا عرفت هذا عرفت أن صاحب علم البيان له فضل احتياج إلى التعرض لأنواع دلالات الكلم فنقول لا شبهة في أن اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن يدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية ومتى كان لمفهوم ذلك ولنسمه أصليا تعلق بمفهوم آخر أمكن أن يدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلا في مفهومها الأصلي كالسقف في مفهوم البيت وتسمى هذه دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضا ولا يجب في ذلك التعلق أن يكون مما يثبته العقل بل إن كان مما يثبته اعتقاد المخاطب لعرف أو لغير عرف أمكن المتكلم أن يطمع من مخاطبه ذلك في صحة أن ينتقل ذهنه من المفهوم الأصلي إلى الآخر بوساطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده وإذا عرفت

انّ ايراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى
الا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى الى
معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم احدهما للآخر بوجه
من الوجوه ظهر لك انّ علم البيان مرجعه اعتبار الملازمة
بين المعاني ثم اذا عرفت انّ اللزوم اذا تصوّر بين
الشيئين فاما ان يكون من الجانبين كالّذي بين الامام
والخلف بحكم العقل او بين طول القامة وبين طول
النجاد بحكم الاعتقاد او من جانب واحد كالذي بين العلم
والحيوة بحكم العقل او بين الاسد والجرأة بحكم الاعتقاد
ظهر لك ان مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين جهة
الانتقال من لازم الى ملزوم ولا يريك نظام الانتقال
من احد لازمي الشيء الى الآخر مثل ما اذا انتقل من بياض
الثلج الى البرودة فتأمل واذا ظهر لك ان مرجع علم
البيان هاتان الجهتان علمت انّ انصباب علم البيان
الى التعرض للمجاز والكناية فانّ المجاز ينتقل

فيه من الملزوم الى اللازم كما نقول رعينا غيثا والمراد
لازمه وهو النبت وقد سبق انّ اللزوم لا يجب ان
يكون عقليا بل ان كان اعتقاديا إمّا لعرف او لغير عرف
صحّ البناء عليه واما نحو قولك امطرت السماء نباتا
اي غيثا من المجازات المنتقل فيها عن اللازم الى
الملزوم فمنخرط في سلك رعينا الغيث وفضل ترجيح
المجاز على الحقيقة والكناية على التصريح اذا انتهينا
اليه يطلعك على كيفية انخراطه في سلكه باذن الله
تعالى والمطلوب بهذا التكلف هو الضبط فاعلم
وانّ الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم كما تقول
فلان طويل النجاد والمراد طول القامة الذي هو ملزوم
طول النجاد فلا ايضا ما لي جعل النجاد طويلا او قصيرا
لا لكون القامة طويلة او قصيرة فلا علينا ان نجعلهما
اصلين واذ لا يخفى انّ طريق الانتقال من الملزوم
الى اللازم طريق واضح بنفسه ووضوح طريق

الانتقال من اللازم الى الملزوم انما هو بامر غير وهو العلم
بكون اللازم مساويا للملزوم او اخص منه فلا عرف
في تاخير الكناية لكونها بالنظر الى هذه الجهة نازلة
من المجاز منزلة المركب من المفرد ثم ان المجاز اعني
الاستعارة من حيث انها من فروع التشبيه كما سبق
عليه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى
اللازم بل لابد فيها من تقدمه تشبيه شيء بذلك
الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه
فلابد من ان ناخذ اصلا ثالثا ونقدمه فهو الذي
اذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر
البياني **الاصل الاول** من علم البيان
في الكلام في التشبيه لا يخفى عليك ان التشبيه
مستدعي طرفين مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما
من وجه وافتراقا من آخر مثل ان يشتركا في الحقيقة
ويختلفا في الصفة او بالعكس فالاول كالانسانين

اذا اختلفا صفة طولا وقصرا والثاني كالطويلين
اذا اختلفا حقيقة انسانا وفرسا والا فانت خبير
بان ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين
يابى التعدد فيبطل التشبيه لان تشبيه الشيء
لا يكون الا وصفا له بمشاركته المشبه به في امر والشيء
لا يتصف بنفسه كما ان عدم الاشتراك بين الشيئين
في وجه من الوجوه يمنعك من محاولة التشبيه بينهما لرجوعه
الى طلب الوصف حيث لا وصف ولان التشبيه لا يصار
اليه الا لغرض وان حالته تتفاوت بين القرب والبعد
وبين القبول والرد هذا القدر المجمل لا يحوج الى دقيق
نظر انما المحوج هو تفصيل الكلام في مضمونه وهو طرفا
التشبيه ووجه التشبيه والغرض من التشبيه و
احوال التشبيه لكونه قريبا او غريبا مقبولا او مردودا
فظهر من هذا ان لا بد من النظر في هذه المطالب الاربعة
فلننوعه اربعة انواع **النوع الاول** النظر

في طرفي التشبيه المشبه والمشبه به إما أن يكونا
مستندين إلى الحس كالخد عند التشبيه بالورد
في المبصرات وكالأطيط عند التشبيه بصوت
الفراريج في المسموعات وكالنكهة عند التشبيه بالعنبر
في المشمومات وكالريق عند التشبيه بالخمر في المذوقات
وكالجلد الناعم عند التشبيه بالحرير في الملموسات وإما
ما يستند إلى الخيال كالشقيق عند التشبيه بأعلام
ياقوت منشرة على رماح من الزبرجد فهو في قرن
الحسيات ملزوز تقليلا للاعتبار وتسهيلا على المتعلم
وإما أن يكونا مستندين إلى العقل كالعلم إذا شبه بالحياة
وإما أن يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا
كالعدل إذا شبه بالقسطاس وكالمنية إذا شبهت
بالسبع وكحال من الأحوال إذا شبهت بناطق أو بالعكس
من ذلك كالعطر إذا شبه بخلق كريم وإما الوهميات
المحضة كما إذا قدرنا صورة وهمية محضة مع المنية مثلا

ثم شبهناها بالمخلب أو بالناب المحققين فقلنا أنشبت
المنية فلانا بشيء هو لها شبيه بالمخلب وبشيء هو لها
شبيه بالناب أو مع الحال ثم شبهناها باللسان
فقلنا نطقت الحال بشيء هو لها شبيه باللسان فلحقه
بالعقليات وكذا الوجدانيات كاللذة والألم والشبع
والجوع فاعرفه **النوع الثاني** النظر في وجه التشبيه
لما انحصر التشبيه بين أن يكون الاشتراك بالحقيقة
والافتراق بالصفة تارة مثل جسمين أبيض وأسود
كذا مثل أنف ومرسن فهما مشتركان بالحقيقة وهي العضو
المعلوم وإنما يفترقان باتصاف أحدهما بالاختصاص
بالإنسان واتصاف الآخر بالاختصاص بالمرسونات
وما جرى مجراهما من نحو شفة وجحفلة ورجل وحافر
وبين أن يكون الاشتراك بالصفة والافتراق بالحقيقة
أخرى مثل طويلين جسم وخط والوصف منحصر
بين أن يكون مستندا إلى الحس كالكيفيات الجسمانية

مثل الاتصاف بما يدرك بالبصر من الالوان والاشكال
والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن
والقبح وغير ذلك او بما يدرك بالسمع من الاصوات
الضعيفة او القوية او التي بين بين او بما يدرك بالذوق
من انواع الطعوم او بما يدرك بالشم من انواع الروائح
او بما يدرك باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة
والثقل وما يتضاف اليها او غير ان يكون مستندا
الى العقل والعقلي ايضا اما الحصر بين حقيقي كالكيفيات
النفسانية مثل الاتصاف بالذكاء والتيقظ والمعرفة
والعلم والقدرة والكرم والسخاء والحلم والغضب
وما جرى مجراها من الغرائز والاخلاق واما اعتباري
ونسبي كاتصاف الشيء بكونه مطلوب الوجود او
العدم عند النفس او بكونه مطموعا فيه او بعيدا عن الطمع
او بشيء تصوري وهمي محض فمن المعلوم عندك ان

الحقائق منقسمة الى بسائط وذوات اجزاء مختلفة
وان في الصفات ما مرجعها امر واحد وما مرجعها اكثر
ظهر لك مما ذكر ان وجه التشبيه يحتمل ان يتفاوت
فنقول وبالله التوفيق وجه التشبيه
اما ان يكون امرا واحدا او غير واحد وغير الواحد اما
ان يكون في حكم الواحد لكونه اما حقيقة ملتئمة واما
اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة او لا يكون
في حكم الواحد اما الاول فاما ان يكون حسيا
او عقليا ولا بد للحسي من ان يكون طرفاه حسيين
لامتناع ادراك الحسي من غير المحسوس بخلاف
العقلي فانه يعم انواع الطرفين الاربعة المذكورة
لصحة ادراك العقل من المحسوس شيئا ولذلك تسمع
علماء هذا الفن رضوان الله عليهم اجمعين يقولون التشبيه
بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي فالحسي
كما تجد اذا شبه بالورد في الحمرة وكالصوت الضعيف

اذا شُبّه بالهمس في الخفاء وكالنكهة اذا شبّهت
بالعنبر في طيب الرائحة وكالريق اذا شُبّه بالخمر
في لذة الطعم على زعم القوم وكالجلد الناعم اذا شبّه
بالحرير في لين المس وههنا نكتة لا بد من التنبيه
لها وهي ان التحقيق في وجه الشبه يأبى ان يكون
غير عقلي وذلك انه متى كان حسيا وقد عرفت
انه يجب ان يكون موجودا في الطرفين وكل موجود فله
تعين فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع ان يكون
هو بعينه موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس
المتعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم ضرورة العقل
وبحكم التنبيه على امتناعه ان شئت ومن استلزامه
اذا عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد او بالعكس
كون الحمرة معدومة موجودة معا وهكذا في اخواتها
بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيئا
واحدا فيلزم ان يكون امرا كليا ماخوذا من المثلين بتجريدهما

عن التعين لكن ما هذا شأنه فهو عقلي ويمتنع ان يقال
فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين في الطرفين فان
المثلين متشابهان فعمّا وجه تشبيه فان كان عقليا
كان المرجع في وجه الشبه العقلي في المآل وان كان
حسيا استلزم ان يكون مع المثلين مثلان آخران وكان
الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل وتمام
التحقيق موضعه علوم أخر والعقلي كوجود الشيء
العديم النفع اذا شبّه بعدمه في العراء عن الفائدة
او كالعلم اذا شبّه بالحيوة في كونهما جهتي ادراك فيما طرفاه
معقولان وكالرجل اذا شبّه بالاسد في الجرأة او كاصحاب
النبي عليه السلام اذا شبّهوا بالنجوم في مطلق الاهتداء
بذلك فيما طرفاه محسوسان وكالعلم اذا شبّه بالنور
في الهداية او كالعدل اذا شبّه بالقسطاس في تحصيل
ما بين الزيادة والنقصان فيما المشبه معقول والمشبه
به محسوس وكالعطر اذا شبّه بخلق كريم في استطابة النفس

ايامنا أو كالنجوم اذا شبهت بالسنن في عدم الخفاء فيما المشبه
محسوس والمشبه به معقول وفي كثر هذه الامثلة في
معنى وحدتها تسامح فاعرف **واما** القسم الثاني
وهو ان يكون وجه التشبيه غير واحد لكنه في حكم الواحد
فهو على نوعين **اما** ان يكون مستندا الى الحس كما
الثاني اذا شبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة
والشكل الكري والمقدار المخصوص وكالثريا اذا شبهت
بعنقود الكرم المنور في الهيئة الحاصلة من تقارن الصور
البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية
مخصوصة الى مقدار مخصوص وكالشاة الجبلي اذا
شبه بحمار ابتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على
راسه شجرتا غضا وكالشمس اذا شبهتها بالمرآة في كف
الاشل في الهيئة التي تؤديها من الاستدارة مع الاشراق
والحركة السريعة المتصلة وتموج الاشراق او اذا
شبهتها بالبوتقة فيها ذهب ذائب كما قال

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة احميت يجول فيها ذهب ذائب
في الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع صفاء اللون
واتصال الحركة وتشبه هنا وجه المتحرك بين انبساط
وانقباض وذلك لان البوتقة اذا احميت وذاب
فيها الذهب واخذ يتحرك فيها بجملته من غير غليان
متشكلا بشكل البوتقة في الاستدارة تلك الحركة العجيبة
كأنه يهم بان ينبسط حتى يفيض من جوانب البوتقة
لما في طبعه من النعومة ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض
لما بين اجزائه من كمال التلاحم وقوة الاتصال والبوتقة
في ضمن ذلك متحركة تبعا مؤدية مع الذهب الذائب
فيها الهيئة المذكورة فان الشمس اذا احد الانسان
النظر اليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة
وكوجه الشبه في قوله
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فليس المراد من التشبيه تشبيه النقع بالليل ثم
تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة
الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقات
فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب
المشرقة في جوانب منه وفي قوله

وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق

فليس المراد تشبيه النجوم بالدرر ثم تشبيه السماء
بالبساط الازرق انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة
من النجوم البيض المتلالئة في جوانب من اديم السماء
الملقية بتباعدها عن الزرقة الصافية بالهيئة الحاصلة
للمستطرفة من درر منثورة على بساط ازرق دون
شيء آخر مناسب للدرر في الحسن والقيمة وفي قوله

كأنما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة
منصرف بالليل عن دعوة قد اسرجت قدامه شمعة

فالمراد ايضا تشبيه الهيئة الحاصلة من المريخ والمشتري

قدامه بالهيئة الحاصلة من المنصرف عن الدعوة
مسرج الشمع من دونه ويسمى امثال ما ذكر من
الابيات تشبيه المركب بالمركب والمذكورة قبلها تشبيه
المفرد بالمفرد وهذا فن لا يفضل احتياج الى سلامة الطبع
وصفاء القريحة فليس الحاكم في تمييز الباين اذا التبس
احدهما بالآخر سوى ذاك ومن تشبيه المفرد بالمفرد
قوله كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف

واما ان يكون مستندا الى العقل كما اذا اشبهت
اعمال الكفرة بالسراب في المنظر المطمع مع المخبر المؤيس
وكما اذا اشبهت الحسناء من منبت السوء بخضراء الدمن
في حسن المنظر المنضم الى سوء المخبر والتعري
عن اثر خفي او الجماعة المتناسبة في الكمال الممتنع
لذلك عن تعيين فاضل بينهم ومفضول بالحلقة المفرغة
الممتنعة عن تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا

واما القسم الثالث وهو ان لا يكون وجه التشبيه

أمراً واحداً أو أموراً لا بمنزلة الواحد فهو على أقسام
ثلاثة أن تكون تلك الأمور حسية أو عقلية أو
البعض حسياً والبعض عقلياً فالأول كما إذا
شبهت بعض الطيور بالغراب في حدة النظر وكمال
الحذر وإخفاء السفاد والثالث كما إذا شبهت
إنساناً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن وعلو
الرتبة واعلم أنه ليس بلازم فيما بين أصحاب علم
البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو
به بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أنعمت
فيه النظر لم تجده إلا شيئاً مستتبعاً لما يكون وجه
التشبيه في المآل فلا بد من التنبيه عليه من ذلك
قولهم في الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان
ولا تكد تتنافر حروفها أو تكرارها ولا تكون غريبة
وحشية تستكرهها لكونها غير مألوفة ولا تشتبه
معانيها وتستغلق فيصعب الوقوف عليها فتشمئز عنها

النفس هي كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة
وكالنسيم في الرقة وقولهم في الحجة المطلوب بها
قلع الشبهة متى صادفوها معلومة الأجزاء يقينية
التأليف قطعية الاستلزام هي كالشمس في الظهور
فيذكرون الحلاوة والسلاسة والرقة أو الظهور
لوجه الشبه على أن وجه الشبه في المآل هناك
شيء غيرها وذلك لأن الحلاوة وهو ميل الطبع
إليها ومحبة النفس ورودها عليها ولازم السلاسة
والرقة وهو إفادة النفس نشاطاً وللإمداد إلى الصدر
انشراحاً وإلى القلب روحاً فشأن النفس مع الألفاظ
الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الشهي
الذي يلذ طعمه فتهش النفس له ويميل الطبع إليه
ويحب وروده عليها وكشأنها مع الماء الذي ينساغ
في الحلق ويتحدر فيه لجلب انحداره للراحة ومع
النسيم الذي يسري في البدن فيتخلل المسالك

اللطيفة منه فيفيد ان النفس نشاطا ويهديان
الى الصدر انشراحا والى القلب ذكاء ولان ما لظلام اسود
وهو ان الذ الحجاب فشان البصير مع الشبهة كشان
البصر مع الظلمة في كونهما معها كالمحجوبين وانقلاب حالهما
الى خلاف ذلك مع الحجة اذا بهرت والشمس اذا ظهرت
وتسامحهم هذا لا يقع الا حيث يكون التشبيه في
وصف اعتباري كالذي نحن فيه واقعا لتشبيه
ان يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق
التنبيه عليه من تسامحهم هذا وقد جاريناهم نحن في
ذلك كما ترى واعلم ان حق وجه التشبيه
شمول الطرفين فاذا اصابه صح والا فسد كما اذا جعلت
وجه التشبيه في قولهم النحو في الكلام كالملح في الطعام
الصلاح باستعمالهما والفساد باهمالهما صح لشمول هذا
المعنى المشبه والمشبه به فالملح ان استعمل في
الطعام صلح الطعام والا فسد والنحو كذلك

اذا استعمل في الكلام نحو عرف زيد عمرا برفع الفاعل
ونصب المفعول صلح الكلام وصار منتفعا به في تفهيم
المراد منه واذا لم يستعمل فيه فلم يرفع الفاعل ولم ينصب
المفعول فسد لخروجه عن الانتفاع به واذا جعلت
وجه التشبيه ما قد يذهب اليه ذوو التعنت
من ان الكثير من الملح يفسد الطعام والقليل يصلحه
فالنحو كذلك كما عرفت لخروجه اذ ذاك عن شمول الطرفين
الى الاختصاص بالمشبه به فان التكثير او التقليل
انما يتصور في الملح بان تجعل القدر المصلح منه للطعام
مضاعفا مثلا اما في النحو فلا لامتناع ان تجعل رفع الفاعل
او نصب المفعول مضاعفا هذا او ربما املى تصحيح قول
المتعنتين ولكنه ليس مما يهمنا الان النوع الثالث
النظر في الغرض من التشبيه الغرض من التشبيه
في الاغلب يكون عائدا الى المشبه ثم قد يعود الى المشبه به
فاذا كان عائدا الى المشبه فاما ان يكون لبيان

حاله كما اذا قيل لك ما لون عمامتك فقلت كلون
هذه واشرت الى عمامة لديك واما لان يكون لبيان
مقدار حاله كما اذا قلت هو في سواده كحلك الغراب
واما لان يكون لبيان امكان وجوده كما اذا رمت
تفضيل واحد على الجنس الى حد يوهم اخراجه عن
البشرية الى نوع اشرف وانه في الظاهر كما ترى
أمر كالممتنع فتتبعه التشبيه لبيان امكانه قائلا
حاله كحال المسك الذي هو بعض دم الغزال وليس
يعد في الدماء لما اكتسب من الفضيلة الموجبة اخراجه
الى نوع اشرف من الدم واما ان يكون لتقوية شانه
في نفس السامع وزيادة تقرير له بعينه كما اذا كنت
مع صاحبك في تقرير انه لا يحصل من سعيه على طائل
ثم اخذت ترقم على الماء وقلت هل افاد رقمي على الماء
نقشا ما انك في سعيك كرقمي على الماء فانك تجده
لتمثيلك هذا اميل التقرير مما لا يخفى واما ان يكون

لايرائه الى السامع في معرض التزيين او التشويه او
الاستطراف وما شاكل ذلك كما اذا شبهت وجها اسود
بمقلة الظبي افراغا له في قالب الحسن ابتغاء تزيينه
او كما اذا شبهت وجها مجدورا بسلحة جامدة قد نقرتها
الديكة اظهارا له في صورة اشوه ارادة ازدياد القبح
والتنفير او كما اذا شبهت الفحم فيه جمر موقد ببحر من المسك
موجه الذهب نقلا لبعض صحبه الوقوع الى اقتنائه
علاوة للتطرف وللاستطراف وجه آخر وهو ان يكون
المشبه به نادر الحضور في الذهن اما في نفس الامر
كالذي نحن فيه فانا اذا احضر استطرف استطراف النوادر
عند مشاهدتها واستلذ استلذاذها لجدتها فلكل
جديد لذة واما لخصوص المشبه في اوان الحديث
فيه مثل حضور النار والكبريت مع حديث البنفسج
والرياض كما في قوله
ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت

كانها فوق قامات ضعفن بها اوائل النار في اطراف كبريت
فان صورة اتصال النار باطراف الكبريت ليست مما
يمكن ان ينال لانها نادرة الحضور في الذهن ندرة صورة
بحر من المسك موجه الذهب وانما النادر حضورها
مع حديث البنفسج فاذا احضر احضارا مع المشبه استطرف
لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما وهل الحكاية
المعروفة في حديث حسد جرير لعدي بن الرقاع الا لكون
ما نحن فيه يحكى ان جريرا قال انشدني عدي
عرف الديار توهما فاعتادها فلما بلغ الى قوله
تزجي اغن كان ابرة روقه رحمته وقلت قد وقع
ما عساه يقول وهو اعرابي جلف جاف فلما قال
قلم اصاب من الدواة مدادها استحالت الرحمة
حسدا واما الغرض العائد الى المشبه به فيرجع
الى ايهام كونه اتم من المشبه في وجه التشبيه كقوله
وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح

فانه تعمد ايهام ان وجه الخليفة في الوضوح اتم من الصباح
وكقوله وكان النجوم بين دجاها
سنن لاح بينهن ابتداع فانه جرى على رأي ذوي الصباغ
للمعاني شبهوا الهدى والشريعة والسنن وكل ما هو
علم بالنور لجعل صاحبها في حكم من يمشي في نور الشمس فيهتدي
الى الطريق المستقيم فلا يتعسف فيعثر تارة على عدو قتال
ويتردى اخرى في مهواة مهلكة وشبهوا الضلالة والبدعة
وكل ما هو جهل بالظلمة لجعل صاحبها في حكم من يخبط
في الظلماء فلا يهتدي الى الطريق فلا يامن ان يعثر وينكب
ثم قصد في تشبيهه هذا تفضيل السنن في الوضوح
على النجوم وتنزيل البدع في الظلام فوق الدياجي
وكقوله ولقد ذكرتك والظلام كانه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
فانه حين رأى الاوقات التي تحدث فيها المكاره
وصفت بالسواد كقولهم اسود النهار في عيني و
اظلمت الدنيا علي جعل يوم النوى كانه اعرف واشهر

بالسواد من الظلام فشبهه به ثم عطف عليه فؤادي
لم يعشق تظرفا فإن الغزل يدعي العشق على من لا يعرف
العشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فنظمه
في سلكه وكقوله
كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع
فإنه لما رأى العادة جارية أن يشبه المتخلص من البأساء
بالبدر الذي ينحسر عنه الغمام قلب التشبيه ليري
أن صورة النجاء من البأساء لكونها مطلوبة فوق كل
مطلوب أعرف عند الإنسان من صورة انتضاء البدر
من تحت غيمه فشبه هذه بتلك وكقوله
وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا
فإنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق والسعة عاد
تعمد فشبه الأرض الواسعة بخلق الكريم ادعاء
أنه في تأديته معنى السعة أكمل من الأرض المتباعدة
الأطراف ومن الأمثلة ما حكيه عز وجل

عن مستحلي الربا من قولهم إنما البيع مثل الربا في
مقام إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في
البيع دعاهم منهم إلى جعل الربا في باب الحل أقوى
حالا وأعرف من البيع ومن الأمثلة ما قال تعالى
أفمن يخلق كمن لا يخلق لمزيد التوبيخ فيه دون أن يقول
أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه
لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها
بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وعندي أن الذي
تقتضيه البلاغة القرآنية هو أن يكون المراد بمن لا يخلق
الحي العالم القادر من الخلق لا الأصنام وأن يكون الإنكار
متوجها إلى توهم تشبيه الحي العالم القادر من الخلق به
تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا تعريضا بعي بالغ لإنكار
لتشبيه ما ليس بحي عالم قادر به تعالى ويكون قوله
أفلا تذكرون تنبيه توبيخ على مكان التعريض وقوله
عز وعلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه بدل أرأيت من اتخذ

مراده انه مصبوب في هذا القالب فاحسن التامل ثم
التقديم قد اصاب شاكلة الرمي واما جعل الغرض
العائد الى المشبه به وهو ما ذكرنا لان المشبه به حقه
ان يكون اعرف بجهة التشبيه من المشبه واخص بها
واقوى حالا معها وربما لم يصح ان يذكر لبيان مقدار المشبه
ولا لبيان امكان وجوده ولا لزيادة تقرير على الوجه
الذي تقدم ولا لابرازه في معرض التزيين كالوجه الاسود
اذا شبهته بمقلة الظبي ولا لتقبيح استحسان سواد
سواد الوجه او معرض التشويه كالوجه المجدور اذا شبهته
بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة اراده تقبيح من استقبح
ونفرتها الى حد ولا لوجه لامتناع تعريف المجهول بالمجهول
وتقرير الشيء بما ليس اوضح لتقرير وابلغ او معرض
الاستطراف كالفحم فيه جمر موقد اذا شبهته
ببحر من المسك موجه الذهب مثلا لامتناع وقوع
الى الواقع ليستطرف او للوجه الآخر على ما تقدم

لمثل ما ذكر وربما كان الغرض العائد الى المشبه به بيان
كونه اهم عند المشبه كما اذا اشير الى وجه كالقمر في
الاشراق والاستدارة وقيل هذا الوجه يشبه ماذا فقلت
الرغيف اظهارا للاهتمام بشان الرغيف لا غير وهذا
الغرض يسمى اظهار المطلوب ولا يحسن المصير اليه الا في
مقام الطمع في تيسر المطلوب كما يحكى عن الصاحب ان قاضي
سجستان دخل عليه فوجد الصاحب متفننا فاخذ يمدحه
حتى قال وعالم يعرف بالسجزي واشار الى الندماء
ان ينظموا على اسلوبه ففعلوا واحدا بعد واحد الى ان انتهت
النوبة الى شريف في البين فقال اشهى الى النفس من الخبز
فامر الصاحب ان يقدم له مائدة واما اذا تساوى
الطرفان المشبه والمشبه به في جهة التشبيه فالاحسن
ترك التشبيه الى التشابه ليكون كل واحد من الطرفين
مشبها ومشبها به تفاديا من ترجيح احد المتساويين
ويظهر من هذا ان التشبيه اذا وقع في باب التشابه

صح فيها العكس بخلافه فيما عداه وكان حكم المشبه به اذ
ذاك غير ما تلي عليك فصح ان يقال بدا الصبح كغرة الفرس
وبدت غرة الفرس كالصبح متى كان المراد بالشبه وقوع
منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض
قليلا بالاضافة الى السواد قال وكان الشمس المنيرة دينار
جلته حدائد الضراب وان يقال المرآة المجلوة او الدينار
الخارج من السكة كالشمس متى كان القصد من التشبيه
الى مجرد مستدير يتلألأ متضمن لخصوص في اللون
لكون وجه التشبيه في جميع ذلك غير مختص بحال الطرفين
زيادة اختصاص واعلم ان التشبيه متى كان وجهه
وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص
باسم التمثيل كالذي في قوله
اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله
فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التي
لا تمد بالحطب فيتسرع فيها الفناء ليس الا في امر متوهم

له وهو ما يتوهم اذا لم تأخذ معه في المقاولة من علمك بتطلبه
اياها عسى ان يتوصل بها الى نفثة مصدور من قيامه
ذاك مقام ان تمنعه ما يمده ليتسرع فيه الهلاك
وانه كما ترى منتزع من عدة امور وكالذي في قوله
وان من ادبته في الصبى كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذي ابصرت من يبسه
فان تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى اوان
الغرس المونق باوراقه ونضرته ليس الا فيما يلازم كونه مهذب
الاخلاق مرضي السيرة حميد الفعال لتأدبه المطلوب
بسبب التاديب المصادف وقته من تمام الميل اليه وكمال
الاستحسان لحاله وانه كما ترى امر تصوري لا صفة حقيقية
وهو مع ذلك منتزع من عدة امور وكالذي في قوله
عز من قائل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الاية

بهم تعلق الطمع للتي يتمنى مطلوب بسبب مباشرة الأسباب القريبة
من تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وإنه
أمر متوهم كما ترى منتزع من أمور جمة وكالذي في
قوله تعالى أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد
وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر
الموت وأصل النظم أو كمثل ذوي صيب فحذف ذوي
لدلالة يجعلون أصابعهم في آذانهم عليه وحذف مثل
لما دل عليه عطفه على قوله تعالى كمثل الذي استوقد
نارا إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين مثل المستوقدين
وهو صفتهم العجيبة الشأن وبين ذوات ذوي صيب
إنما التشبيه بين صفة أولئك وبين صفة هؤلاء و
نظيره قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله
كما قال عيسى بن مريم للحواريين أنصار الله وبين قول عيسى
للحواريين من أنصاري إلى الله وإنما المراد كونوا أنصار الله
مثل كون الحواريين أنصاره وقت قول عيسى من أنصاري

على

على أن ما مصدرية مشتغل ما قال استعمال مقدم الحاج
ثم نظير المذكور في حذف المضاف والمضاف إليه قول
القائل أسال البحار فانتحى للعقيق وقول آخر
وقد جعلتني من حزيمة إصبعا على ما قدر الشيخ أبو علي
الفارسي رحمة الله عليه من أسال سقيا سحابه
ومن ذا مسافة إصبع وحذف المضافات من الكلام
عند الدلالة سائغ من ذلك قوله فكان قاب قوسين
أو أدنى في تقديره فكان مقدار مسافة قرب جبرئيل
مثل قاب قوسين وأنى قوله أو كصيب من السماء إلى آخره
تمثيل لما أن وجه التشبيه بينهم وبين المنافقين هو أنهم
في المقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب
لا يحظون إلا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الأهوال
وإنه كما ترى مما نحن بصدده وكذا الذي في قوله عز وعلا
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
أسفارا فإن وجه التشبيه بين أحبار اليهود والذي

كلفوا العلماء في التورية ثم لم يعلموا بذلك من الكمال
الكامل الاستفادة متوهمين ان الانتفاع بامر ابلغ شيء
بالانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه وليس
بمشتبه كونه عائدا الى التوهم ومركبا من عدة معان
والذي نحن بصدده من الوصف غير الحقيقي اخرج
منظور فيه الى التامل الصادق من ذوي بصيرة نافذة
وروية ثاقبة لالتباسه في كثير من المواضع بالعقلي
الحقيقي لاسيما المعاني التي ينتزع منها فربما انتزع
من ثلثة فافضت الخطاء لوجوب انتزاعه من اكثر كقوله
كما ابرقت قوما عطاشا غمامة فلما راوها اقشعت وتجلت
لذا اخذت تنتزع وجه التمثيل من قوله ابرقت
قوما عطاشا غمامة لحسبت زلت عن غرض الشاعر
من تشبيهه بمراحل فان مغزاه ان يصل ابتداء مطمعا
بانتهاء موئس وذلك يوجب انتزاع وجه الشبه من
مجموع البيت ثم ان التشبيه التمثيلي متى

فيما استعمل على سبيل الاستعارة لا غير يسمى مثلا ولورود
الامثال على سبيل الاستعارة لا تغير وسيأتيك الكلام
في الاستعارة باذن الله تعالى النوع الرابع النظر
في احوال التشبيه من كونه قريبا او غريبا مقبولا او
مردودا ان الكلام في ذلك يستدعي تقديم اصول
وانا اذكر لك ما يرشدك الى كيفية سلوك الطريق
هناك بتوفيقي قد مهدت قواعد منها لتكون لك عدة
في دركك ما عسى تاخذ في طلبه منها ان ادراك
الشيء مجملا اسهل من ادراكه مفصلا ومنها ان
حضور صورة شيء يتكرر على الحس اقرب من حضور صورة
شيء يندر ويبعد على الحس وحال المعنيين الاصلين
واضح ومنها ان الشيء مع ما يناسبه اقرب
حضورا منه مع المتخالف وقد سبق تقريره في باب الفصل
والوصل ومنها ان استحضار الامر الواحد ايسر
من استحضار غير الواحد وحاله ايضا مكشوف ومنها

أن ميل النفس إلى الحسيات أتم منه إلى العقليات
وأعني بالحسيات ما تجرد منها بناء على امتناع
النفس من إدراك الجزئيات على ما نبهت عليه وزيادة
ميلها إليها دون غيرها من العقليات لزيادة تعلقها
بها بسبب تجريدها إياها عن العقل ونظمها إياها في سلك
ما عداها ولزيادة ألفها بها أيضا لكثرة تأديها إليها من
أجل كثرة طرقه وهي الحواس المختلفة المؤدية لها ولكن
ما يقال من أن ألف النفس مع الحسيات أتم منه مع العقليات
لتقدم إدراك الحس على إدراك العقل فبعد تقرير أن
إدراك النفس إنما يكون للمجردات وأن مدرك النفس
غير مدرك الحس شيء كما ترى عن إفادة المطلوب بمعزل
وعن تحقيق المقصود بألف منزل ومنها أن النفس
لما تعرف أجل منها لا تعرف لمحبتها العلم طبعا ومنها
أن تجدد صورة عند ما أحب إليها والذ عندها من حالة
معادة ما تنزل القبول بحيث ينبغي أن تستعان فيه بملالة

آلف من حديث معاد ولكل جديد لذة ولعمري إن التوفيق
بين حكم بالألف وبين حكم التكرار أحوج شيء إلى التأمل
فليتفطن لأن يألف مع الشيء لا يتحمل تكراره على النفس
ولو كان التكرار يورث الكراهة لكان المألوف أكره
شيء عند النفس وامتنع إذ ذاك نزاعها إلى مألوف
والوجدان يكذب ذلك وإذ قد تقدم إليك ما ذكرنا
فنقول من أسباب قرب التشبيه وكونه نازل
الدرجة أن يكون وجهه أمرا واحدا كالسواد في قولك
مدادك كالفحم أو البياض في قولك شهد كالثلج أو أن يكون
المشبه به مناسبا للمشبه كما إذا شبهت الجرة الصغيرة
بالكوز أو الجرة الضخمة المستطيلة بالنخل أو العنبة
الكبيرة المستدارة بالإجاصة أو أن يكون المشبه به غالب
الحضور في خزانة الصور لجهة من الجهات كما إذا
شبهت الشعر الأسود بالليل أو الوجه الجميل بالبدر
أو المحبوب بالروح ومن أسباب بعده وغرابته

أن يكون وجه التشبيه أمورا كثيرة كما في تشبيه النار
بعين الديك أو تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور
أو تشبيه نحو قوله
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
أو أن يكون المشبه به بعيد النسبة عن المشبه
كالخنفساء عن الدخان قبل تشبيه لجاجها بالآخر
في اللجاج أو البنفسج عن النار والكبريت قبل تصور
التشبيه بين الطرفين أو أن يكون المشبه به نادر
الحضور في الذهن لكونه شيئا وهميا كما في قوله
ومسنونة زرق كأنياب أغوال أو مركبا خياليا كما في
وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد
أو مركبا عقليا كما في قوله عز من قائل إنما مثل الحياة
الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض
مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض

زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها
أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس
وكلما كان التركيب خياليا كان أو عقليا من أمور أكثر
كان حاله في البعد والغرابة أقوى وأما كون
التشبيه مقبولا فالأصل فيه أن يكون الشبه
صحيحا وقد تقدم معنى الصحة وأن يكون كاملا في
تحصيل ما علق به من الغرض وأن يكون سليما عن الابتذال
مثل أن يكون المشبه به محسوسا أعرف شيء بأمر لون
مخصوص أو شكل أو مقدار أو غير ذلك إذا كان الغرض
من التشبيه بيان حال المشبه من جهة ذلك الأمر
أو بيان مقداره على ما هو عليه في النفس أي لا أعرف عندها
أمثل ولا متى صادفته أقبل لا سيما فيما الغرض به الحالة كذلك
لكن يجب في الثاني كون المشبه به مع ما ذكر على حد
مقدار المشبه في وجه التشبيه لا أزيد ولا أنقص
وكلما كان أدخل في السلامة عن الزيادة أو النقصان

كان أدخل في القبول أو مثل أن يكون المشبه به أتم
محسوس في أمر حسي من وجه الشبه إذا قصد تزيين
المشبه الناقص منزلة الكامل أو قصد زيادة تقرير
المشبه عند السامع لمثل ما تقدم أو مثل أن يكون
المشبه به مسلم الحكم معروفه فيما تتصل بين وجه الشبه
إذا كان الغرض من التشبيه بيان إمكان الوجود أي
محاولة التزيين أو التشويه فقبول النفس لما تعرف
فوق قبولها لما لا تعرف أو مثل أن يكون المشبه به
في التشبيه الاستطرافي نادر الحضور في الذهن
لبعده عن التصور أو نادر الحضور فيه مع المشبه لبعد
نسبته إليه فالنفس تتسارع إلى قبول نادر يطلع
عليها لما تتصور لديه من لذة التجدد وتمثال مغربها
عن كراسته معتاده هذا وإنك متى تفطنت للأسباب
قرب التشبيه وتقارب مسلكه وكذا للأسباب
انحطاطه من القبول في سلكه تفطنت للأسباب بعده

وغرابته وللأسباب رده لرداءته ولكن نذهب عليك
أن مقرب التشبيه حتى كان أقوى كان التشبيه أقرب
وكذا مبعده متى كان أقوى كان أغرب وجرى التالك في
شان قبوله ورده على نحو مجراه في شان قربه وبعده
واعلم أن ليس من الواجب في التشبيه ذكر كلمة
التشبيه بل إذا قلت زيدا أسد واكتفيت بذكر الطرفين
عد تشبيها مثله إذا قلت كأن زيدا أسد اللهم
إلا في كونها أبلغ ولا ذكر المشبه لفظا بل إذا كان محذوفا
مثله لذا قلت أسد أي لست جاعلا للمشبه به خبرا
مفتقرا إلى المبتدأ ركني لقصر المسافة بين الملفوظ به
في الكلام والمحذوف منه بشرائطه في قوة الإفادة وإنما
الواجب في التشبيه إذا ترك المشبه أن لا يكون
مضروبا عنه صفحا مثله إذا قلت عندي أسد
أو رأيت أسدا أو نظرت إلى أسد فإنه لا يعد تشبيها
وسيأتيك بيان حاله ولم تراعه كون زيدا أسد وقرينه

المحذوف المبتدا التشبيه لانك حين اوقعت اسدا هو
مفرد غير جملة خبرا لزيد استدعى ان يكون هو اياه مثله
في زيد منطلق في ان الذي هو زيد بعينه منطلق والا
كان زيد اسد مجرد تعديد نحو جمل فرس الاسناد
لكن العقل يابى ان يكون الذي هو انسان هو بعينه
اسدا فيلزم الامتناع حمل اسم الجنس وصفا حتى يصح
الاسناد الى المبتدا المصير الى التشبيه بحذف
كلمته قصدا الى المبالغة واذا عرفت ان وجود
طرفي التشبيه يمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه
عرفت ان فقد كلمة التشبيه لا يوثر الا في الظاهر و
عرفت ان نحو رايت بفلان اسدا ولقيني منه اسد
وهو اسد في صورة انسان ولذا نظرت اليه لم تر الا اسدا
وان رايته عرفت جبهة الاسد ولئن لقيته
ليلقينك منه الاسد وان اردت اسدا فعليك بفلان
وانما هو اسد وليس هو آدميا بل هو اسد كل ذلك

تشبيهات لا فرق الا في شان المبالغة فالخيط الابيض
والخيط الاسود في قوله عز وجل حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود تعدان من باب التشبيه
حيث بينا بقوله من الفجر ولولا ذلك لكانا من باب
الاستعارة والحاصل من مراتب التشبيه ثمان
احدها ذكر الاركان الاربعة وهي المشبه و
المشبه به وكلمة التشبيه ووجه التشبيه كقولك
زيد كالاسد في الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة و
ثانيتها ترك المشبه كقولك كالاسد في الشجاعة
وهي كالاولى في عدم القوة وثالثها ترك كلمة
التشبيه كقولك زيد اسد في الشجاعة وفيها نوع
قوة ورابعتها ترك المشبه وكلمة التشبيه
كقولك اسد في الشجاعة في موضع الخبر عن زيد وهي
كالثالثة في القوة وخامستها ترك وجه التشبيه كقولك
زيد كالاسد وهي ايضا قوية لعموم وجه الشبه

وسادسها ترك المشبه ووجه الشبه كقولك كالاسد
في موضع الخبر عن زيد وحكمها الحكم الخامسة و
سابعها ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه كقولك
زيد اسد وهي اقوى الكل وثامنها افراد المشبه
به في الذكر كقولك اسد في الخبر عن زيد وهي كالسابعة
واعلم ان الشبه قد ينتزع من نفس التضاد نظرا
الى اشتراك الضدين فيه من حيث اتصاف كل واحد
منهما بمضادة صاحبه ثم ينزل منزلة شبه التناسب
بواسطة تمليح او تهكم فيقال للجبان ما اشبهه بالاسد
وللبخيل انه حاتم ثان الاصل الثاني
من علم البيان في المجاز ويتضمن التعرض للحقيقة
والكلام في ذلك مفتقر الى تقديم التعرض لوجه
دلالات الكلم على مفهوماتها ولمعنى الوضع من المعلوم
ان دلالة اللفظ على مسمى دون مسمى مع استواء نسبته
اليهما ممتنع فيلزم الاختصاص باحدهما ضرورة والاختصاص

لكونه

لكونه امرا ممكنا يستدعي في تحققه مؤثرا مخصصا وذلك
المخصص بحكم التقسيم اما الذات او غيرها لما لله
تعالى وتقدس او غيره ثم ان في السلف من يحكي عنه اختيار
الاول وفيهم من اختار الثاني وفيهم من اختار الثالث
واطبق المتأخرون على فساد الرأي الاول ولعمري انه فاسد
فان دلالة اللفظ على مسمى لو كانت لذاته كدلالته
على اللافظ وانك لتعلم ان ما بالذات لا يزول بالغير
لكان يمتنع نقله الى المجاز وكذا الى جعله علما ولو كانت
دلالته ذاتية لكان يجب امتناع ان لا تهدينا على معاني
الهندية كلماتها ووجوب امتناع ان لا تدل على الالفاظ
بين متنافيين كالناهل للعطشان وللريان على ما سمعته
من اصحاب اللغة لما تقدم لي ان تذكرت كالجون
للاسود وللابيض وكالقرء للحيض والطهر وامثالها
لاستلزامه ثبوت المعنى مع انتفائه معا قلت مذهب هل
او جن وجوه فساده اظهر من ان يخفى واكثرهم

ان نحصى مادام محمولا على الظاهر ولكن الذى يدور
فى خلدى منه اشرف وكانه تنبيه على ما عليه
ائمة علمى الاشتقاق والتصريف رحمهم الله ان الحروف
فى انفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة
والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك مستدعية
فى حق المحيط بها علما ان لا يسوى بينها واذا اخذ
فى تعيين شىء منها لمعنى ان لا يهمل التناسب بينهما قضاء
لحق الحكمة مثل ما ترى فى الفصم بالفاء الذى هو حرف
رخو لكسر الشىء من غير ان يبين والقصم بالقاف
الذى هو حرف شديد لكسر الشىء حتى يبين وفى الثلم
بالميم الذى هو حرف خفيف لما ينبئ للخلل فى الجدار
والثلب بالباء الذى هو حرف شديد للخلل فى العرض
وفى الزفير بالفاء لصوت الحمار والزئير بالهمزة الذى
هو شديد لصوت الاسد وما شاكل ذلك وان للتركيبات
كالفعلان والفعلى بتحريك العين فيها مثل النزوان

والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص ايضا
فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف وفى ذلك نوع تاثير لانفس
الكلم فى اختصاصها بالمعانى هذا والحق بعد اما التوقيف
والالهام قولا بان المخصص هو تعالى وتقدس واما الوضع
والاصطلاح قولا باسناد التخصيص الى العقلاء
والمرجع بالآخرة فيهما امر واحد وهو الوضع لكن الواضع
اما الله عز وجل واما غيره **فالوضع** عبارة عن تعيين
اللفظة بازاء معنى بنفسها وقولى بنفسها احتراز
عن المجاز اذا عينته بازاء ما اردته بقرينة فان
ذلك التعيين لا يسمى وضعا واذا عرفت ان دلالة
الكلمة على المعنى موقوفة على الوضع وان الوضع تعيين
الكلمة بازاء معنى بنفسها وعند كل علم ان دلالة معنى
على معنى غير ممتنعة عرفت صحة ان تتناول
الكلمة مطلوبا بها نفسها تارة معناها الذى هى موضوعة
له ومطلوبا بها اخرى معنى معناها بمعونة قرينة

ومبنى كون الكلمة حقيقة ومجازا على ذا فالحقيقة
هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل
في الوضع كاستعمال الاسد في الهيكل المخصوص فلفظ
الاسد موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه وانما ذكرت
هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة ففي الاستعارة تعد
الكلمة مستعملة فيما هي موضوعة له على اصح القولين
ولا نسميها حقيقة بل نسميها مجازا لغويا لبناء دعوى
المستعار موضوعا للمستعار له على ضرب من التأويل
كما ستحيط بجميع ذلك علما في موضعه بإذن الله تعالى
ولك ان تقول الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما
تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال الاسد في الهيكل
المخصوص والقرء في ان لا يتجاوز الطهر والحيض
غير مجموع بينهما فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسبا
الى الوضعين اما اذا خصصته بواحد اما صريحا كما
ان تقول القرء بمعنى الطهر واما استلزاما كان تقول

القرء لا بمعنى الحيض فانه حينئذ ينتصب دليلا دالا
بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان للوضع عند
بإزائه بنفسه وان استنبطته نفسك بتأمل منك فاحفظ
وقولي دلالة ظاهرة احتراز عن الاستعارة فستعرف
وجه الاحتراز في باب الاستعارة ولك ان تقول
الحقيقة هي الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق و
الحقيقة تنقسم عند العلماء الى لغوية وشرعية وعرفية
والسبب في انقسامها هذا هو ما عرفت ان اللفظة
يمتنع ان تدل على مسمى من غير وضع فمتى رأيتها دالة
لم تشك في ان لها وضعا وان لوضعها صاحبا فالحقيقة
لدلالتها على المعنى تستدعي صاحب وضع قطعا فمتى
تعين عندك نسبت الحقيقة اليه فقلت لغوية ان كان
صاحب وضعها واضع اللغة وقلت شرعية ان كان
صاحب وضعها الشارع ومتى لم يتعين قلت عرفية وهذا
المأخذ يعرفك ان انقسام الحقيقة الى اكثر مما هي منقسمة

اليه غير متعذر في نفس الامر **وأما المجاز** فهو الكلمة
المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا
في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة
عن ارادة معناها في ذلك النوع وقولي بالتحقيق احتراز
عن ان لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز نظرا
الى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له وقولي استعمالا
في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها احتراز عما اذا اتفق
كونها مستعملة فيما تكون موضوعة له لا بالنسبة الى
نوع حقيقتها كما اذا استعمل صاحب اللغة الغائط
مجازا فيما يفضل عن الانسان من منهضم متناولاته او
كما اذا استعار صاحب الحقيقة الشرعية الصلوة للدعاء
او صاحب العرف الدابة للحمار والمراد بنوع حقيقتها
اللغوية ان كانت اياها او الشرعية او العرفية ايتها
كانت وقولي مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في
ذلك النوع احتراز عن الكناية فان الكناية كما عرفت

تستعمل ويراد بها المكنى عنه فتقع مستعملة في غير ما هي
موضوعة له مع انا لا نسميها مجازا لعرائها عن هذا
القيد ولك ان تقول **المجاز** هو الكلمة المستعملة
في غير ما تدل عليه بنفسها في ذلك النوع ولك ان تقول
المجاز هو الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق
استعمالا في ذلك بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة
مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع **واعلم** انا
لا نقول في عرفنا استعملت الكلمة فيما تدل عليه او في
غير ما تدل عليه حتى يكون الغرض الاصلي طلب دلالتها
على المستعمل فيه ومن حق الكلمة في الحقيقة التي
ليست بكناية ان تستغني في الدلالة على المراد منها
بنفسها عن الغير لتعينها للدلالة عليه بجهة الوضع واما ما يظن
بالمشترك من الاحتياج الى القرينة في دلالته على ما هو
معناه فقد عرفت ان منشأ هذا الظن عدم تحصيل
معنى المشترك الدائر بين وضعين وحق الكلمة في المجاز

أن يستغني عن الغير في الدلالة على ما يراد منها لتعينها
لذلك الغير وسميت الحقيقة حقيقة لمكان الثبات
وهو أن الحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من حققت الشيء
أحقه إذا أثبته فمعناها المثبتة والكلمة متى استعملت
فيما كانت موضوعة له دالة عليه بنفسها كانت مثبتة
في موضعها الأصلي وإما فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء
يحق إذا وجب فمعناها الواجب وهو الثابت والكلمة
المستعملة فيما هي موضوعة له ثابتة في موضعها الأصلي
واجب لها ذلك وأما التاء فهي عندي للتأنيث في الأكثر
لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة
على الموصوف وهو الكلمة وكذلك المجاز يسمى مجازا لجهة
التناسب لأن المجاز مفعل من جاز المكان يجوزه إذا
تعداه والكلمة إذا استعملت في غير ما هي موضوعة
له وهو ما لا تدل عليه بنفسها فقد تعدت موضعها الأصلي
واعتبار التناسب في التسمية من أنه أقدام رتبة

شاهدت فيها من الرتبة ما تعجبت فإياك والتسوية
بين تسمية إنسان له حمرة بأحمر وبين وصفه بأحمر أن ترك
فلأن اعتبار المعنى في التسمية لترجيح الاسم على غيره
حال ~~غير~~ حال تخصيصه بالمسمى واعتبار المعنى في
الوصف لصحة إطلاقه عليه فإن أحدهما غير الآخر
وإن كثيرا سووا ثم سمعونا نقول لله عز اسمه سمي الله
لكونه مجاز عقول اشتقاقا من كذا لعلكم تسمعون ذا
اشتقاقا من كذا فظنوا إنسانا فأخذوا أرضون والكرم
حيث باتوا وظلوا إليها لخلق غفرا و بحد الحقيقة
والمجاز عند أصحابنا في هذا النوع بغير ما ذكرت
يحدون الحقيقة هكذا كل كلمة أريد بها ما وقعت
له في وضع واضع وقوعا لا يستند فيه إلى غيره و
إنهم يقولون واضع التنكير دون التعريف ليعم
واضع اللغة وغيره من أصحاب الأوضاع المتأخرة
عن وضع اللغة والضمير في فيه يعود إلى الوقوع

وفي غيره يعود الى الوضع وانما يذكرون هذا القيد
تقريرا للمعنى الاول مثل ان يقولوا كل كلمة اريد بها
ما وقعت له في وضع واضع والذي يتبع له الكلمة في
غير الوضع سواء ما تتناوله عقلا بواسطة الوضع
كما اذا وقعت للعشرة مثلا في الوضع فانها يكون وقعت
للخمسة وخمسة الا انها في وقوعها للخمسة وخمسة
تستند الى غير الوضع وهو العقل ويحدون المجاز
هكذا كل كلمة اريد بها غير ما وقعت له في وضع
واضع لملاحظة بين الثاني والاول واعلم
ان الكلمة حال وضعها اللغوي لما عرفت من ان
الحقيقة ترجع الى اثبات الكلمة في موضعها وان
المجاز يرجع الى اخراج الكلمة عن موضعها حقها
ان لا تسمى حقيقة ولا مجازا كالجسم حال الحدوث
لا يسمى ساكنا ولا متحركا واما حال الوضعين الآخرين
فحقها كذلك لكن في الاول بالاطلاق وفي الثاني

بتقييد الحقيقة بنوعيها مثلا ان يقال لا تكون
حقيقة شرعية ولا مجازها وان كان الاطلاق
قد يحتمل واذ قد تقدم اليك ما احاطت به
معرفتك فبالحري ان نشمر الذيل لتلخيص ما عند السلف
في الاصلين وتخليصه مما يقع من الحشو في البين
وان نسوقه مرتبا ترتيبا يقيد اوليات فوائدهم مقررا
تقريرا يميط اللثام عن وجوه فوائدهم فاعلين ذلك
لنطلعك على كنه ما انجروا اليه ونعثرك على شأو ما قد
انا خروا الذين منبهين في اثناء المساق على ما يزوغ عنه
وما نحن نراه فاذا استنشقنا من كمال تأملك في تحقيق ما
ذكرناه اثرت عن استطلاع طلعتها اياها شئت اعلم
ان المجاز عند السلف من علماء هذا الفن قسمان
لغوي وهو ما تقدم ويسمى مجازا في المفرد وعقلي
وسيأتيك تعريفه ويسمى مجازا في الجملة واللغوي
قسمان قسم يرجع الى حكم لها في الكلام والراجع الى

قسم يرجع

معنى الكلمة قسمان خالٍ عن الفائدة ومتضمن لها
والمتضمن للفائدة قسمان خالٍ عن المبالغة في
التشبيه ومتضمن لها وانه يسمى بالاستعارة و
لها انقسامات فهذه فصول خمسة مجاز لغوي راجع
الى المعنى خالٍ عن الفائدة مجاز لغوي معنوي
مفيد خالٍ عن المبالغة في التشبيه استعارة
مجاز لغوي راجع الى حكم للكلمة مجاز عقلي
ويتلوه الكلام في الحقيقة العقلية وانا اسوق
اليك هذه الفصول باذن الله تعالى

الفصل الاول المجاز اللغوي الراجع الى معنى
الكلمة غير المفيد هو ان تكون الكلمة موضوعة
لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة
لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة مثل ان تستعمل
المرسن وانه موضوع لمعنى الانف مع قيد ان
يكون انف مرسون استعمال الانف من غير زيادة

قيد بمعونة القرائن كقول العجاج
وفاحما ومرسنا مسرجا يعني انفا يبرق كالسراج
او مثل المشفر وهو موضوع للشفة مع قيد ان تكون
شفة بعير استعمال الشفة فتقول فلان غليظ المشفر
في ضمن قرينة دالة على ان المراد هو الشفة لا غير
او مثل ان تستعمل الحافر وانه موضوع للرجل مع قيد
ان تكون رجل فرس او حمار استعمال الرجل بالاطلاق
اعتمادا على دلالة القرائن على ذلك يسمى هذا القبيل
مجازا لتعديه عن مكانه الاصلي ومعنويا لتعلقه
بالمعنى لا بالحكم كالذي سياتيك ولغويا لاختصاصه
بمكانه الاصلي بحكم الوضع وغير مفيد لقيامه مقام
احد المترادفين من نحو ليث واسد وحبس ومنع
عند المصير الى المراد منه **الفصل الثاني**
المجاز اللغوي الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن
المبالغة في التشبيه هو ان تعدى الكلمة عن

مفهومها الاصلي بمعونة القرينة الى غيره لملاحظة بينهما
او نوع تعلق نحو ان يراد النعمة باليد وهي موضوعة للجارحة
المخصوصة لتعلق النعمة بها من حيث انها تصدر عن اليد و
منها تصل الى المقصود بها وكذا اذا اريدت القوة او القدرة بها
لان القدرة اكثر ما يظهر سلطانها في اليد وبها يكون
البطش والضرب والقطع والاخذ والدفع والوضع
والرفع وغير ذلك من الافاعيل التي تخبر فضل اخبار عن
وجود القدرة وتنبئ عن مكانها اتم انباء ولذلك تجدهم
لا يريدون باليد شيئا لا ملابسة بينه وبين هذه الجارحة
ونحو ان يراد المزادة بالراوية وهي في الاصل اسم للبعير
الذي يحملها للعلاقة الحاصلة بينهما وهو بسبب حمله
اياها وان يراد البعير بالحفض وهو متاع البيت بنحو من
الجهة المذكورة ونحو ان يراد الرجل بالعين اذا كان
ربيئة من حيث ان العين لما كانت المقصودة في كون الرجل
ربيئة صارت كانها الشخص كله ونحو ان يراد النبت

بالغيث كما يقولون رعينا غيثا لكون الغيث سببا فيه
ونحو ان يراد الغيث بالسماء لكونه من جهتها يقولون
اصابتنا السماء اي الغيث ونحو ان يراد الغيث بالنبات
كما لو قيل امطرت السماء نباتا لكون الغيث سببا فيه او بالسنام
كقول من قال اسنمة الآبال في سحابه ومن هذا يعرف
وجه تفسير من فسر انزال ازواج الانعام في قوله تعالى
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج بانزال الماء لانها
اذا نظر الى ما ورد من ان كل ماء في الارض فهو من السماء
ينزل لمحل وعلامتها الى الصخرة ثم يقسمه وقيل [illegible]
قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في
الارض ومن لكن فيه قوله وينزل لكم من السماء رزقا
اي مطرا هو سبب الرزق وقوله وفي السماء رزقكم وما
ينخرط في هذا السلك هداه لقد اي الطف به واضله الله
اي خذله ومنع الطافه لكونها عبثا في حقه وقوله عز سلطانه
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار اي العناد المستلزم

للنار وقوله انما يأكلون في بطونهم نارا لاستلزام اموال
اليتامى اياها وقول القائل يأكلن كل ليلة اكافا
اي علفا بثمن اكاف للتعلق بين ذلك العلف وبين الاكاف
وقولهم اكل فلان الدم اي الدية للتعلق بينهما ومن
امثلة المجاز قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
استعملت قرأت مكان اردت القراءة لكون القراءة مسببة
عن ارادتها استعمالا مجازيا بقرينة الفاء في فاستعذ
والسنة المستفيضة بتقدم الاستعاذة ولا التفات
الى من يوجب الاستعاذة فذاك لضيق العطن وقوله
ونادى نوح ربه في موضع اراد نداء ربه بقرينة فقال
رب وقوله وكم من قرية اهلكناها في موضع اردنا
هلاكها بقرينة فجاءها باسنا والباس الاهلاك
وقوله وحرام على قرية اهلكناها في موضع اردنا هلاكها
بقرينة انهم لا يرجعون اي عن معاصيهم للخذلان
وقوله ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون

اي اردنا هلاكها اذ معنى الآية كل قرية اردنا هلاكها لم
يؤمن احد منهم افهم لا يؤمنون وما ادل نظم الكلام
على الوعيد بالاهلاك اما ترى سلامة كان في افهم يؤمنون
لا يقع في المجاز بلا تقدير وحمل على ان نهلكهم وانما جاءت
للامتناع عما ذكرت على ضيق العطن لا تعتني جرى
فيما سوى بعض المجاز مستفيضا بكاد يريك من اذا تكلم بالكلام فهو
كمن صلى لغير قبلة اليس كل احد يقول للحفار ضيق
فم الركية وعليه فقس والتضييق كما تشهد له عقلك
الراجح سوى التغيير من السعة الى الضيق ولا سعة هناك
انما الذي هناك هو مجرد تجويز ان يريد الحفار التوسعة
فينزل مجوزا مرادا منزلة الواقع ثم يأمر بتغييره الى الضيق
اما يجب ان يكون في تلك قرب اجرى واجرى امثال ذلك
ثم تعدى الكلمة بمعونة القرينة عن معناها الاصلي
الى غير لتعلق بينهما بوجه قويا كان او ضعيفا واضحا
او خفيا والتعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي

ألا ترى كيف تحيل عندي أن يكون منعك في قوله علت كلمته
ما منعك أن لا تسجد مراداً به ما دعاك إلى أن لا تسجد
وأن يكون لا غير صلة قرينة للمجاز منطوية ما منعك
إذ كأنهم ضلوا أن لا تبتغي من أمثلة المجاز المستثنى
منه في باب الاستثناء وتحقيق الكلام في ذلك مفتقر
إلى التعرض للتناقض وسينشعب من علم المعاني شعبة
ثم المصير إلى ما لديه عليه فالرأي أن نؤخر الكلام في
الاستثناء إلى الفراغ عن تلك الشعبة وهي شعبة علم
الاستدلال وتسميته مجازاً لغوياً ومعنوياً لما تقدم
ومفيداً لتضمنه تشبيه شاهد للتحقق ما أنت تريده و
سيأتيك تقرير هذا المعنى في الأصل الثالث بإذن الله
تعالى وأما معنى كونه خالياً عن المبالغة في التشبيه
فمفوض إلى الفصل الذي يليه **الفصل الثالث**
في الاستعارة الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه
وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس

المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول
في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدعياً أنه من جنس
الأسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه
مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر أو كما تقول
إن المنية أنشبت أظفارها وأنت تريد بالمنية السبع
بادعاء السبعية لها وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع
فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار وسمي هذا النوع
من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين معنى العارية
وذلك أنا متى ادعينا في المشبه كونه داخلاً في المشبه
به فرداً من أفراده برز فيما صادف من جانب المشبه به
كأنه اسم جنسه وحقيقته أولاً ثم ما لنا إن مهما في معرض
نفس المشبه به نظراً إلى ظاهر الحال من الدعوى فالشجاع
حال دعوى كونه فرداً من أفراد حقيقة الأسد يكتسي اسم
الأسد اكتساء الهيكل المخصوص إياه نظراً إلى الدعوى
والمنية حال دعوى كونها داخلة في حقيقة السبع

اذا اثبت لها مخلب او ناب ظهرت مع ذلك ظهور نفس
السبع مغترفا انه كذلك ينبغي وكذلك الصورة المتوهمة
على شكل المخلب او الناب مع المنية المدعى انها سبع تبرز
في تسميتها باسم المخلب بروز الصورة المتحققة المسماة باسم
المخلب من غير فرق نظرا الى الدعوى وهنا شأن العارية
فان المستعير يتزين معها في معرض المستعار عنه لا يتفاوتان
الا في ان احدهما اذا فتش عنها مالك وسر آخر ليس كذلك
وههنا سؤال وجواب سمعتهما في فصل الاستعارة بالكناية
ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور او المتروك مستعارا
منه واسمه مستعارا والمشبه به مستعارا له ولك
قرع سمعك من ان الاستعارة تعتمد ادخال المستعار له في جنس
المستعار منه سر السر في امتناع دخول الاستعارة
في اعلام الكلم الا اذا تضمنت نوع وصفية لسبب خارج
تضمن اسم حاتم الجود ومادر البخل وما جرى مجراهما واما
عد هذا النوع لغزا فعلى خلاف القولين وهو المتصف

كما ستقف عليه وكان شيخنا الحاتمي تغمده الله برضوانه
احد ناصريها فان لهم فيه قولين احدهما انه لغوي
نظرا الى استعمال الاسد في غير ما هو له عند التحقيق
فانا وان ادعينا للشجاع الاسدية فلا نتجاوز حديث
الشجاعة حتى ندعي للرجل صورة الاسد وهيئته وعبالة
عنقه ومخالبه وانيابه وما الى ساير ذلك من الصفات
البادية لحواس الابصار ولئن كانت الشجاعة من اخص
اوصاف الاسد وامكنها لكن اللغة لم تضع اسم
لها وحدها بل لها في مثل تلك الجثة وتلك الصورة والهيئة
ومع تلك الانياب والمخالب الى غير ذلك من الصور الخاصة
في جوارحه جمع ولو كانت وضعته لتلك الشجاعة
التي تعرفها لكان صفة لا اسما ولكان استعماله فيمن
كان على غاية قوة البطش ونهاية جراءة المقدام من
جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ولما ضرب بعرق
في الاستعارة اذ ذاك التشبيه ولا انقلب لمطلوب

بنصب القرينة وهو مانع الكلمة عن حملها على ما هي موضوعة له الى المجاز حملها على ما هي موضوعة له و

ثانيهما انه ليس بلغوي نظرا الى الدعوى فان كونه لغويا يستدعي كون الكلمة مستعملة في غير ما هي موضوعة له ولا يمتنع مع ادعاء الاسدية للرجل داخل في جنس الاسود فرد من افراد حقيقة الاسد وكذا مع ادعاء كون الصبيح الكامل الصباحة انه شمس وانه قمر وليس البتة شيئا غيرهما اطلاق اسم الاسد على ذلك عن اعتراف بانه رجل او اطلاق اسم الشمس او القمر على هذا عن اعتراف بانه آدمي لم يتجه ذلك في الدعوى وقيل لا من الاعتراف بانه آدمي غير شمس وغير قمر في الحقيقة انى يكون موضع التعجب قوله

قامت تظللني من الشمس * نفس اعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس

او موضع نهي عن التعجب قوله لا تعجبوا من بلى غلالته

قد زر ازراره على القمر وقوله

ترى الكتان يلمحها * نور من البدر احيانا فيبليها

فكيف تنكر ان تبلى معاجرها * والبدر في كل وقت طالع فيها

ومع الاصرار على دعوى انه اسد وانه شمس وانه قمر يمتنع ان يقال لم تستعمل الكلمة فيما هي موضوعة له وهذا مدار ترديد الامام عبد القاهر قدس الله روحه لهذا النوع بين اللغوي تارة وبين العقلي اخرى على هذين الوجهين جزاه الله افضل الجزاء فهو الذي لا يزال ينبه القلوب في مستودعات لطائف نظره الايا لو تعليها وانشادا لكنك اذا وقفت على وجه التوفيق بين اصرار المستعير على ادعائه الاسدية للرجل وبين نصبه في ضمن الكلام قرينة دالة على انه ليس الهيكل المخصوص مصدقه غام كشف لك الغطاء واعلم ان وجه التوفيق مدار تبني دعوى الاسدية للرجل على ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق التاويل متعارف وهو الذي

لدغاية جرأة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة
المخصوصة وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة و
تلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على
نحو قال ابو الطيب المتنبي هذا الادعاء في علو نفسه و
جماعته من جنس الجن وعشيرته من جنس الطير حيث
قال نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال
مستشهدا لدعواه هاتيك بالخيالات العرفية والتاويلات
المناسبة من نحو حكمهم اذا اداروا امر بعيد عن
التدليس باسد واذا رأوا انسانا لا يتقاه احد تدليس
بانسان وانزهوا اسدا وهو اسد في صورة انسان
واني تخصص تصديق القرينة بنفيها المتعارف
الذي يسبق الى الفهم ليتعين ما انت تستعمل الاسد
فيه ومن البناء على هذا التنويع قوله
تحية بينهم ضرب وجيع وقولهم عتابك السيف
وقوله عز وعلا يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من

اتى الله بقلب سليم على ما ستسمع هذه الآية في فصل
المستثنى منه ان شاء الله تعالى ومنه قوله
وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس
ولا استعارة لبناء الدعوى فيها على التاويل تفارق
الدعوى الباطلة فان صاحبها يتبرأ عن التاويل
وتفارق الكذب بنصب القرينة المانعة عن اجراء
الكلام على ظاهره فان الكذاب لا ينصب دليلا على
خلاف زعمه وانى ينصب وهو لترويج ما يقول راكب
كل صعب وذلول واذ قد عرفت ما كان يتعلق
ببيان وصف الاستعارة ووجه تسميتها استعارة
وتقرير استنادها الى اللغة ومفارقتها للدعوى الباطلة
والكذب فاعلم ان الاستعارة تنقسم الى مصرح
بها ومكنى عنها والمراد بالاول هو ان يكون الطرف
المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به والمراد بالثاني
ان يكون الطرف المذكور هو المشبه والمصرح بها

تنقسم الى تحقيقية وتخييلية والمراد بالتحقيقية ان
يكون المشبه المتروك شيئا متحققا اما حسيا واما عقليا
والمراد بالتخييلية ان يكون المشبه المتروك شيئا وهميا
محضا لا تحقق له الا في مجرد الوهم ثم تنقسم كل واحدة
منهما الى قطعية وهي ان يكون المشبه المتروك
متعين الحمل على ما له تحقق حسي او عقلي او على ما لا تحقق
له البتة الا في الوهم والى احتمالية وهي ان يكون
المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ما له التحقق واخرى
على ما لا تحقق له فهذه اقسام اربعة الاستعارة المصرح
بها التحقيقية مع القطع الاستعارة المصرح بها
التخييلية مع القطع الاستعارة المصرح بها المحتملة
للتحقيق والتخييل الاستعارة بالكناية ثم ان الاستعارة
ربما قسمت الى اصلية وتبعية والمراد بالاصلية
ان يكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولا
اوليا والمراد بالتبعية ان لا يكون داخلا دخولا

اوليا وربما الحقها التجريد فسميت مجردة او الترشيح
فسميت مرشحة فيجب ان نتكلم في هذه الانقسامات
وهي ثمانية القسم الاول في الاستعارة المصرح
بها التحقيقية مع القطع هي اذا وجدت وصفا
مشتركا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة هو في احدهما
اقوى منه في الآخر وانت تريد الحاق الاضعف
من جنس ملزوم الاقوى باطلاق اسمه عليه وسد طريق
التشبيه بافراده في الذكر توصلا بذلك الى المطلوب
لوجوب تساوي التلازم عند تساوي ملزوميهما فاعلا
ذلك في ضمن قرينة مانعة عن حمل المفرد بالذكر على
ما يسبق منه الى الفهم كيلا يحمل عليه فيبطل الغرض
التشبيهي بانيا دعواك على التاويل المذكور ليمكن
التوفيق بين دلالة الافراد بالذكر وبين دلالة القرينة
المتعاندتين ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة مثال
ذلك ان يكون عندك شجاع وانت تريد ان تلحقه

وقوته بجراءة الاسد وقوته فتدعى الاسدية له باطلاق
اسمه عليه مفردا له في الذكر فتقول رأيت اسدا بلا
تعد جراءته وقوته دون جراءة الاسد وقوته مع نصب
قرينة مانعة عن ارادة الهيكل المخصوص به كيرمي
او يتكلم او في الحمام او لان يكون عندك وجه جميل
وانت تريد ان تلحق وضوحه واشراقه وملاحته
بالبدر فتدعيه بدرا باطلاق اسمه عليه مفردا له
في الذكر قائلا نظرت الى بدر يبتسم او ان يكون عندك
عالم وانت تريد الحاق كثرة فوائده بعد ما جرت العادة
على تشبيه فوائد العلماء بالفوائد الكثيرة فوائد البحر فتدعيه
بحرا سالكا في ذلك المسلك المعهود او ان تريد الحاق
عدل عادل في ازالة التفاوت بالميزان او بالقسطاس
في ذلك فتدخله في جنس الميزان او القسطاس
قائلا ميزان امين او قسطاس لا يقبل التفاوت
ومن الامثلة الاستعارة اسم احد الضدين او النقيضين

للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد والحاقه بشبه التناسب
بطريق التهكم او التمليح على ما سبق في باب التشبيه ثم
ادعاء احدهما من جنس الآخر وافراده بالذكر ونصب
القرينة كقولك ان فلانا تواترت عليه البشارات بقتله
ونهب امواله وسبي اولاده ويخص هذا النوع باسم الاستعارة
التهكمية او التمليحية واعلم ان قرينة الاستعارة ربما
كانت معنى واحدا كالذي رأيت في الامثلة المذكورة
وربما كانت معاني مربوطا بعضها بالبعض كما في قوله
وصاعقة من نصله ينكفي بها على ارؤس الاقران خمس سحائب
انظر حين اراد استعارة السحائب لانامل الممدوح
الخمس تفريعا على ما جرت العادة من تشبيه الجواد بالبحر
الفياض تارة وبالسحاب الهطال اخرى ماذا اصنع ذكر ان
هناك صاعقة ثم قال من نصله فبين ان تلك الصاعقة
من نصل سيفه ثم قال على ارؤس الاقران ثم قال خمس
فذكر العدد الذي هو عدد جميع انامل اليد فجاء ذلك كله

وربّما اراد من استعارة التمثيل للامثال ومن امثلة
استعارة وصف احدى صورتين منتزعتين من امور لوصف
الاخرى مثل ان تجد انسانا استفتي في مسألة فيهم تارة باطلاق
اللسان ليجيب ولا يهم اخرى فتاخذ صورة تردده هذا
فتشبّهها بصورة تردد انسان قام ليذهب في امر فتارة
يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر اخرى
ثم تدخل صورة المشبه في جنس صورة المشبه به روما
للمبالغة في التشبيه فتكسوها وصف المشبه به من غير
تغيير فيه بوجه من الوجوه على سبيل الاستعارة قائلا
اراك ايها المفتي تقدم رجلا وتؤخر اخرى وهذا هو
الذي نسميه التمثيل على سبيل الاستعارة ولكون الامثال
كلها تمثيلات على سبيل الاستعارة لا تجد التغيير اليها سبيلا
فاعلم **القسم الثاني** في الاستعارة المصرح بها التخييلية
مع القطع هي ان تسمى باسم صورة متحققة صورة عقلية
وهمية محضة تقدر مشابهة لها مفردا في الذكر

في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم
من كون مسماه شيئا متحققا وذلك مثل ان تشبه المنية
بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع ارواحها بالقهر والغلبة
من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم ومساس
بقيا على ذي فضيلة تشبيها بليغا حتى كانها سبع من السباع
فياخذ الوهم في تصويرها بصورة السبع واختراع ما يلازم
صورته ويتم بها شكله من ضروب هيآت وفنون جوارح
واعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس
بها وتمام افتراسه للفرائس بها من الانياب والمخالب
ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك اسامي المتحققة
على سبيل الافراد في الذكر وان تضيفها الى المنية قائلا
مخالب المنية او انياب المنية الشبيهة بالسبع ليكون
اضافتها اليها قرينة مانعة عن اجرائها على ما يسبق الى
الفهم منها من تحقق مسمياتها او مثل ان تشبه الحال
اذا وجدتها دالة على امر من الامور بالانسان الذي يتكلم

فيفعل الوهم في اختراع للحال ما قوام كلام المتكلم به وهو تصوير
صورة اللسان ثم تطلق عليها اسم اللسان المحقق وتضيفه
الى الحال فاللسان لحال الشبيه بالمتكلم ناطق بكذا او مثل ان تشبه
حكمان من احكام اذا صادفته واقعا بمشيئته امرى وتابعا لرايه
كيف شاء بالناقة المنقادة التابعة لمستتبعها كيف اراد
فتثبت له في الوهم ما قوام ظهور انقياد الناقة به واتباعها
المستتبع وهو صورة الزمام فتطلق عليها اسم الزمام المحقق
فالزمام الحكم الشبيه بالناقة في اتباع المستتبع فيد
فلان القسم الثالث في الاستعارة المصرح
بها المحتملة للتحقيق والتخييل وهي كما ذكرنا ان يكون المشبه
المتروك صالح الحمل على ما له تحقق من وجه وعلى ما له تحقق
لا من وجه آخر ونظيره قول زهير
صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعرى افراس الصبا ورواحله
اراد ان يبين انه امسك عما كان يرتكب اوان الصبا واقلع
النفس عن التلبس بذاك معرضا الاعراض الكلي عن المعاودة

لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل فقال وعري
افراس الصبا ورواحله اي ما بقيت آلة من آلاتها المحتاج
اليها في الركوب والارتكاب قائمة كاثرا نوع فرضت
من الانواع حرفية او غيرها متى وطنت النفس على اجتنابه
ودفع القلب رايا عن دق بابه وقطع العزم عن معاودة
ارتكابه يتفق العناية بحفظ ما قوامه ذلك النوع به من
الآلات والادوات فترى يد التعطيل يستولى عليها
فتنهك وتضيع شيا فشيا حتى لا تكاد تجد في ادنى
مدة اثرا منها ولا عثيرا فبقيت لذلك معراة لا آلة ولا اداة
فحق قوله افراس الصبا ورواحله ان يعد استعارة تخييلية
لما يسبق الى الفهم ويتبادر الى الخاطر من تنزيل افراس الصبو
ورواحله منزلة انياب المنية ومخالبها وان كان
يحتمل احتمالا بالتكلف ان يجعل الافراس والرواحل
عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة
لها في استيفاء اللذات او عن الاسباب التي قلما تتاخذ

في اتباع الغي وجرّاً ذيل البطالة او ان الصبي ركن لك
تركته علت كلمته فاذاقها الله لباس الجوع الظاهر من اللباس
عند اصحابنا الحمل على التخييل وان كان يحتمل عندي ان
يحمل على التحقيق وهو ان يستعار لما يلبسه الانسان عند
جوعه من انتقاع اللون ورثاثة الهيئة القسم الرابع
في الاستعارة بالكناية هي كما عرفت ان تذكر المشبه وتريد به
المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي ان
تنسب اليه وتضيف شيئا من لوازم المشبه به المساوية
مثل ان تشبه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر مضيفا
اليها على سبيل الاستعارة التخييلية من لوازم المشبه
به ما لا يكون الا له ليكون قرينة دالة على المراد فتقول
مخالب المنية نشبت بفلان طاويا لذكر المشبه به وهو
قولك الشبيهة بالسبع او مثل ان تشبه لسان الحال
ناطق بكذا تاركا لذكر المشبه به وقد ظهر ان الاستعارة
بالكناية لا تنفك عن الاستعارة التخييلية هذا ما عليه

مساق كلام الاصحاب مستقصا اذا انتهينا الى آخر هذا
الفصل على تفصيل ههنا وكأني بك لما قدمت ان الاستعارة
تستدعي ادعاء ان المستعار له من جنس المستعار منه دعوى
اصرار وادعاء لست لك مع الاصرار يأبى الاعتراف
بحقيقته والاستعارة بالكناية مبناها على ذكر المشبه
باسم جنسه يختلج في ضميرك ان الجمع بين الانكار
البليغ وبين الاعتراف الكامل انى يتأتى فالوجه في ذلك
هو انا نفعل ههنا باسم المشبه ما نفعل في الاستعارة
بالتصريح بمسمى المشبه به كما انا ندعي هناك الشجاع
مسمى للفظ الاسد بارتكاب تأويل على ما سبق حتى
يتهيأ التفصي عن التناقض في الجمع بين ادعاء الاسدية
وبين نصب القرينة المانعة عن ارادة الهيكل المخصوص
ندعي ههنا اسم المنية اسما للسبع مرادفا له بارتكاب
تأويل وهو ان المنية تدخل في جنس السباع لاجل
المبالغة في التشبيه بالطريق المعهود ثم نذهب على سبيل

التخييل الى ان الوضع كيف صح منا ان نضع اسمين لحقيقة
واحدة وان لا يكونا مترادفين فيتهيأ لنا بهذا الطريق
دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية القسم
الخامس في الاستعارة الاصلية هي ان يكون المستعار
اسم جنس كرجل واسد وكقيام وقعود ووجه كونها اصلية
هو ما عرفت ان الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار له
بالمستعار منه وقد تقدم في باب التشبيه ان التشبيه
يستدعي وصفا للمشبه بكونه مشاركا للمشبه به في وجه
والاصل في الموصوفية هي الحقائق مثل ما تقول جسم ابيض
او بياض صاف وجسم طويل او طول مفرط وانما قلت
الاصل في الموصوفية هي الحقائق ولم ابتّ لانا نعقل الوصف
الا للحقيقة قصرا للمسافة حيث يقولون نحو شجاع باسل
وجواد فياض وعالم نحرير ان باسلا وصف لشجاع وفياضا
وصف لجواد ونحريرا وصف لعالم القسم السادس في الاستعارة
التبعية هي ما تقع في غير اسماء الاجناس كالافعال والصفات

المشتقة منها وكالحروف بناء على ان الاستعارة تعتمد
التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا والافعال
والصفات المشتقة منها والحروف عن ان توصف بمعزل
فهذه كلها عن احتمال الاستعارة بانفسها بمعزل وانما المحتمل
لها في الافعال والصفات المشتقة منها مصادرها وفي
الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسري
فيها واعني بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها
مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية والى معناها انتهاء الغاية
وكي معناها الغرض فابتداء الغاية وانتهاء الغاية والغرض
ليست من معانيها اذ لو كانت هي معانيها والابتداء والانتهاء
والغرض اسماء لكانت هي ايضا اسماء لان الكلمة اذا سميت
اسما سميت لمعنى الاسمية لها وانما هي متعلقات معانيها اي
اذا افادت هذه الحروف معاني رجعت الى هذه بنوع استلزام
فلا تستعير الفعل الا بعد استعارة مصدره فلا تقول نطقت
الحال بكذا او دلت الا بعد تقدير استعارة نطق الناطق

لدلالة الحال على الوجد الذي عرفت من ادخال دلالة الحال
في جنس نطق الناطق لقصد المبالغة في التشبيه والحال
ايضاح دلالة الحال للمعنى بايضاح نطق الناطق له وكذا
اذا الحال ناطقة بكذا بدل دالة على كذا وكذا قوله
عز سلطانه فبشرهم بعذاب اليم في الاستعارة التهكمية
بدل فانذرهم وقول قوم شعيب عليه السلام انك لانت
الحليم الرشيد بدل السفيه الغوي لقرائن احوالهم
ومما نحن فيه قولهم للشمس جونة لشدة ضوءها والجون
الاسود وللغراب اعور لحدة بصره وعلى هذا الاستعير
الحرف لا بد تقدير الاستعارة في متعلق معناه فاذا
اردت استعارة لعل لغير معناها قدرت الاستعارة
في معنى الترجي ثم استعرت هناك لعل مثال ان تبني
على اصول العدل ذاهبا الى ان الصانع حكيم تعالى وتقدس
ان يكون في افعاله عبث بل كل ذلك حكمة وصواب
مفعول لغرض صحيح ما خلى الا لغرض الاحسان

وحين ركب فيه الشهوة الحاملة على فعل ما يجب تركه
والنفرة الحاملة على ترك ما يجب فعله واودع عقله
المضادة لحكمتهما حتى تنازعتها ايدي الدواعي والصوارف
فوقعت بحيث الحيرة لا متقدم له عنه ولا متاخر
تحملها الحيرة ما لايرى سبيل الغناء اذا اتبع العقل وقع
من النفس المشتهية النافرة في عناء واذا اتبع النفس
وقع من العقل الناهي الآمر في عناء ولا مخلص هناك
ما اوقعه في ورطة تلك الحيرة سفها ولا عبثا تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وانما فعل ذلك لغرض الاحسان وهو
التكليف ليتمكن من اكتساب ما لا يمكن فعله في حقه ابتداء
من التعظيم العظيم مع الدوام في ضمن التمتع من انواع
المشتهيات بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على بال احد مخلصة ان يشوبها منغص فاكتسب ايثاره
له بالقسر ولذلك وضع زمام الاختيار في يده ممكنا
اياه من فعل الطاعة والمعصية مريدا منه ان يختار

ما يترتب له تلك السعادة فلا بد ان يجري في ذلك جميع علله
فيشبه حال المكلف المتمكن من فعل الطاعة والمعصية
مع الارادة منه ان يطيع باختياره بحال المرتجي المخير
بين ان يفعل وان لا يفعل ثم تستعير لجانب المشبه لعل
جاعلا قرينة الاستعارة علم العالم بالذات الذي لا يخفى عليه
خافية يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون والا لا خلق الله
الخلق لعلهم يعبدون او لعلهم يتقون وعليه قول رب العزة
علام الغيوب يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون ونظائره واذا اردت استعارة لام
الغرض قدرت الاستعارة في معنى الغرض ثم استعرت
لام الغرض هناك مثل ان يكون عندك ترتب وجود امر على امر
من غير ان يكون الثاني مطلوبا بالاول ويكون الاول غرضا
فيه فتشبهه بترتب وجود بين امرين مطلوب بالاول منهما
الثاني ثم تستعير للترتب المشبه كلمة الترتب المشبه به
في ضمن قرينة مانعة عن حملها على ما هي موضوعة له فتقول

اذا رايت عاقلا قد احسن الى انسان ثم آذاه ذلك انه
قد احسن اليه ليؤذيه ومن ذلك قوله علت كلمته فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقد ظهر مما ذكر فيه
ان رب في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
حقها ان تعد من باب الاستعارة التهكمية وان تعد تبعية على
قول سيبويه في رب واصلية على قول الاخفش وقد سبق
ذكر هذا الخلاف في علم النحو واعلم ان مدار قرينة
الاستعارة التبعية في الافعال وما يتصل بها على نسبتها
الى الفاعل كقولك نطقت الحال او الى المفعول الاول
كقول ابن المعتز قتل البخل واحيا السماحا او الى الثاني
المنصوب كقول الاخر صبحنا الخزرجية مرهفات
وقول الاخر نقريهم لهذميات او المجرور كقوله علت كلمته
فبشرهم بعذاب اليم او الى الجميع كقوله
تقري الرياح رياض الحزن مزهرة اذا سرى النوم في الاجفان ايقاظا
هذا ما امكن من تلخيص كلام الاصحاب في هذا الفصل

ولو انهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية
بان قلبوا فجعلوا في قولهم نطقت الحال بكذا الحال الذي ذكروها
عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن المتكلم
بواسطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام وجعلوا
نسبة النطق اليه قرينة الاستعارة كما تراهم في قوله
واذا المنية انشبت اظفارها يجعلون المنية استعارة
بالكناية عن السبع ويجعلون اثبات الاظفار لها قرينة
الاستعارة وهكذا لو جعلوا البخل استعارة بالكناية عن
حي ابطلت حيوته بسيف وغير سيف فالحق بالعدم
وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة الاستعارة ولو جعلوا ايضا
اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة
الشهية على سبيل التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى
اليها قرينة الاستعارة لكان اقرب الى الضبط فتدبر
واني قد عرفت ما ذكرت فلا باس ان احكي لك ما عند
السلف في تعريف الاستعارة حذرا عند بعضهم تعليق العبارة

على غير ما وضعت له في اصل اللغة على جهة النقل
للابانة وعند الاكثر جعل الشيء الشيء لاجل المبالغة
في التشبيه كقولك لسان الحال وزمام الحكم ولا ازيد
على الحكاية **القسم السابع والقسم الثامن**
في تجريد الاستعارة وترشيحها **اعلم** ان الاستعارة في
نحو عندي اسد اذا لم تعقب بصفات او تفريع كلام لا تكون
مجردة ولا مرشحة وانما يلحقها التجريد او الترشيح اذا عقبت
بذلك **ثم** ان الضابط فيما كان اصلا واحدا هو انك
قد عرفت ان الاستعارة لا بد لها من مستعار له ومستعار منه
فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له او تفريع كلام
ملائم له سميت مجردة ومتى عقبت بصفات او تفريع كلام
ملائم للمستعار منه سميت مرشحة مثالها في التجريد
ان تقول ساورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة
صقيل العضب وحاورت بحرا ما اكثر علومه وما اجمعه
للحقائق وما اوقفه على الدقائق ومثالها في الترشيح

ان تقول ساورت اسدا مصورا اعظم اللبدتين وافي
البراثن منكر الزئير وجاوزت بحرا زاخرا لا تزال تتلاطم
امواجه ولا يغيض فيضه ولا يدرك قعره ولا اعني
بالصفات الصفات النحوية بل الوصف المعنوي كيف
كان ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه وصرف
النفس عن توهمه حتى لا يبالي ان تبني على علو القدر
وسمو المنزلة بناءك على العلو المكاني وللسمو كما فعل
ابو تمام اذ قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء
وابن الرومي اذ قال

اعلم الناس بالنجوم بنو نوبخت علما لم يأتهم بالحساب
بل بان شاهدوا السماء سموا بترق في المكرمات الصعاب
مبلغ لم يكن ليبلغه الطالب الا بتلكم الاسباب

وكما قال ايضا يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبدلت بعدكم بدلا
ان صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بان قاس ولكن بان رقى فعلا

اعلاكم في السماء مجدكم فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى ان بلغتم زحلا

وتلزم الاستعارة لما يلزم المستعار منه من التعجب
او غير التعجب مما لا يليق الا بالمستعار عنه كما فعل من
قال قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس
ومن قال لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر
ومن قال اتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا ومن قال
ولم ار قبلي من مشى البدر نحوه اوما ترى فيما فعلوا
كيف نبذوا امر التشبيه وراء ظهورهم وكيف نسوا حديث
الاستعارة كان لم يخطر منهم على بال ولا ارى ها هنا لطيف
خيال ولذا كانوا مع التشبيه ومع الاعتراف بالاصل
يسترعون ان لا يبنوا الا على الفرع ويقولوا

هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

وقوله وعد البدر بالزيارة ليلا فاذا ما وفى قضيت نذوري

قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على طلعة الصباح المنير
قال لا احب تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدور
قلت نوري فأرسلت لنا اليك سحرا قلت فالليل كان اخفى وادنى
فاجابت بحجة آذت القلب حسرة انا شمس وانما تطلع الشمس بكرة
فهم اي تسويغ ذلك مع جحد الاصل في الاستعارة اقرب
واذ قد عرفت اقسام الاستعارة فاعلم ان الاستعارة
لها شروط في الحسن ان صادفتها حسنت والا عريت
عن الحسن وربما اكتسبت قبحا وتلك الشروط رعاية جهات
حسن التشبيه التي سبق ذكرها في الاصل الاول
بين المستعار له والمستعار منه في الاستعارة بالتصريح
التحقيقية والاستعارة بالكناية وان لا تشمها في كلا
من جانب اللفظ رائحة من التشبيه ولذلك
نوصي في الاستعارة بالتصريح ان يكون الشبه بين المستعار
له والمستعار منه جليا بنفسه او معروفا سائرا بين
الاقوام والا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة

ودخلت في باب التعمية والالغاز كما اذا قلت رأيت
عودا مستقيما اوان الغرس واردت انسانا مؤدبا في
صباه او قلت رأيت ابلا مائة لا تجد فيها راحلة واردت
الناس واما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن
الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لها كما في قولك
فلان بين انياب المنية ومخالبها ثم اذا انضم اليها المشاكلة
كما في قوله عز اسمه يد الله فوق ايديهم كانت احسن واحسن
وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجنت
في قول الطائي لا تسقني ماء الملام واما ان الاستعارة
مبناها على التشبيه تتنوع الى خمسة انواع تنوع التشبيه
اليها استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي او بوجه
عقلي واستعارة معقول لمعقول واستعارة محسوس
لمعقول واستعارة معقول لمحسوس فمن النوع
الاول قوله عز اسمه واشتعل الرأس شيبا فالمستعار
منه هو النار والمستعار له هو الشيب والجامع بينهما

وهو انبساط ولكنه في الثاني اقوى فالطرفان حسيان
ووجه الشبه حسي ومن الثالث قوله عز اسمه اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم فالمستعار له الريح والمستعار منه
المرأة والجامع المنع من ظهور النتيجة والاثر فالطرفان
حسيان ووجه الشبه عقلي وكذلك قوله وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فالمستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل
والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلدته فالطرفان
حسيان والجامع هو ما يعقل من ترتب احدهما على آخر
وكذلك قوله فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس
فالمستعار له الارض المزخرفة المتزينة والمستعار منه
النبات وهما حسيان والجامع الهلاك وهو امر معقول
وكذلك قوله حصيدا خامدين فاصل الخمود للنار ومن
الثالث قوله عز اسمه من بعثنا من مرقدنا فالرقاد مستعار
للموت وهما امران معقولان والجامع عدم ظهور الافعال
وقوله وقدمنا الى ما عملوا فالقدوم وهو مجيء المسافر

بعد مدة مستعار للاخذ في الجزاء بعد الامهال وهما امران
معقولان والجامع وقوع المدة في البين وكقوله سنفرغ
لكم ايها الثقلان فالفراغ هو الخلاص عن المهام والله
عز سلطانه لا يشغله شان عن شان وقع مستعار للاخذ
في الجزاء وحده وذلك امر عقلي والطرفان عقليان
وقوله تكاد تميز من الغيظ وكذا قوله سمعوا لها
تغيظا فالغيظ والتغيظ مستعاران من الحالة الوجدانية
التي تدعو الى الانتقام للحالة المتوهمة من نار الله اعاذنا
الله منها برحمته وفضله وقوله ولما سكت عن موسى
الغضب فالمستعار منه هو امساك اللسان عن الكلام و
انه امر معقول والمستعار له تفاوت الغضب عن اشتداده
الى السكون وانه ايضا امر وجداني عقلي والجامع هو ان
الانسان مع الغضب اذا اشتد وجد حالة للغضب كأنها
تغريه فاذا سكن وجده كأنه قد امسك عن الاغراء ومن
الرابع قوله عز اسمه بل نقذف بالحق على الباطل

يدمغه فاصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير
القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل
فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي وقوله مستهم
البأساء والضراء فاصل المس للاجسام ثم وقع مستعارا
لمقاساة الشدة وقوله ضربت عليهم الذلة فالمستعار منه
ضرب الخيمة او ما شاكلها والثاني حسي والمستعار له التثبيت
والثاني عقلي وكذلك قوله وزلزلوا فاصل الزلزال
التحريك العنيف ثم وقع مستعارا لشدة ما نالهم وقوله
فاصدع بما تؤمر فالصدع هو كسر الزجاجة
والثاني حسي مستعار لتبليغ الرسالة ببذل الامكان
والثاني عقلي وقوله واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فاصل الخوض في الماء ثم وقع مستعارا للذكر للآيات
وكل خوض ذمه الله تعالى في القرآن فهو من هذا القبيل
وقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون فالوادي مستعار
للامر والهيمان للاشتغال به على سبيل التحير فالمستعار منه

في منه والمثل حسي والمستعار له عقلي ومن الكتاب
قوله عز اسمه انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية فالمستعار
منه التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة الماء وهو حسي
والجامع الاستعلاء المفرط وقوله بريح صرصر عاتية
فالعتو هنا مستعار استعارة الطغيان في المثال الاول
وقوله فنبذوه وراء ظهورهم فالنبذ وراء الظهر
وهو ان تلقي الشيء خلفك امر حسي ثم وقع مستعارا
للتعرض للغفلة وانه امر عقلي والجامع الزوال عن المشاهدة
وقوله فاحيينا به بلدة ميتا فالاحياء امر عقلي ثم وقع
مستعارا لاظهار النبات والاشجار والثمار وانه امر حسي
وكذلك قوله فانشرنا به بلدة ميتا اي احيينا واعلم
ان الكلام في جميع ما ذكر من الامثلة في الانواع الخمسة
قول الاصحاب ولعل لي في البعض نظرا الفصل
السابع من فصول المجاز في المجاز اللغوي الراجع
الى حكم للكلمة في الكلام عند السلف رحمهم الله

ان يكون الكلمة منقولة عن حكم لها اصلي الى غيره كما في
قوله علت كلمته وجاء ربك فالاصل جاء امر ربك فالحكم
الاصلي في الكلام لقوله ربك هو الجر واما الرفع فمجاز
وفي قوله واسئل القرية فالاصل واسئل اهل القرية
فالحكم الاصلي للقرية في الكلام هو الجر والنصب مجاز وفي
قوله ليس كمثله شيء فالاصل ليس مثله شيء بنصب مثله
والجر مجاز ومثل لهذا النوع على حرف واحد هو ان
تكتسي الكلمة حركة لاجل حذف كلمة لا بد من
معناها او لاجل اثبات كلمة مستغنى عنها استغناء
واضحا كالكاف في قوله عز اسمه ليس كمثله شيء او الباء
في نحو بحسبك ان تفعل كذا او نحو كفى بالله وفي الباء في نحو
ليس زيد بمنطلق او ما زيد بقائم ورأيي في هذا النوع
ان يعد ملحقا بالمجاز ومشتبها به لما بينهما من الشبه
وهو اشتراكهما في التعدي عن الاصل الى غير اصل لا ان
يعد مجازا وبسبب هذا لم اذكر الحد شاملا له ولكن

العهدة في ذلك على السلف

الفصل الخامس

في المجاز العقلي المجاز العقلي هو الكلام المفاد به
خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل
افادة للخلاف لا بواسطة وضع كقولك انبت الربيع
البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة الكعبة
وهزم الامير الجند وبنى الوزير القصر وانما قلت خلاف
ما عند المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول خلاف
ما عند العقل لئلا يمتنع طرده بما اذا قال الدهري
عن اعتقاد جهل او جاهل غيره انبت الربيع البقل رائيا
انبات البقل من الربيع فانه لا يسمى كلامه ذلك مجازا
وان كان بخلاف العقل في نفس الامر ولذلك لا تراهم
يحملون نحو اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة
ومر العشي على المجاز ما لم يعلموا او يغلب في ظنهم ان
قائله ما قاله عن اعتقاد او ما تراهم كيف استدلوا
لقول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي

على ذنبنا كلهم لا نصنع من ان رأت رأسي كرأس الاصلع
ميّز عنه قنزعا عن قنزع جذب الليالي ابطئي او اسرعي
حين نسب الخيار شعره عن رأسه الى ما الزمان قائلا ميّز
عنه قنزعا عن قنزع جذب الليالي لكونه مجازا بما اتبعه
من قوله افناه قيل الله للشمس اطلعي
حتى اذا واراك افق فارجعي الشامية لنا ستدل ان يريد
حمل كلامه الشاب على الظاهر ولئلا يمتنع عكسه
بمثل كسا الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند
فليس في العقل امتناع ان يكسو الخليفة نفسه الكعبة
ولا امتناع ان يهزم الامير وحده الجند ولا يقدح ذلك
في كونهما من المجاز العقلي وانما قلت لضرب من التأويل
ليحترز به عن الكذب فانه لا يسمى مجازا مع كونه
كلاما مفيدا خلاف ما عند المتكلم وانما قلت افادة للحكم
لا بواسطة وضع ليحترز به عن المجاز اللغوي في صورة
ومعنى اذا ادعى ان انبت موضوع لاستعماله في القادر

المختار او وضع لذلك فان المجاز حينئذ يسمى لغويا لا
عقليا وانما قلت بواسطة وضع على التنكير دون ان
اقول الوضع لئلا يتوهم ان المراد وضع اللغة ان ادعى ووضع غيرها
ان ارتكب ولاجل هذه الصورة لا ترى علماء هذا الفن
يحكمون على نحو انبت الربيع البقل بكونه مجازا عقليا الا
بعد بيان ان صيغ الافعال في معنى نسبتها الى الفاعل
ليست تدل على معنى سوى صدورها عن شيء ما فاما ان ذلك
الشيء قادر ام غير قادر فليس بداخل في مفهوماتها وضعا
ويبينون ذلك بوجوه منها انّ وضعها لاستعمالها
في القادر فيما نقل عن احد من رواة اللغة وترك ذكر
القيد دليل في العرف على الاطلاق وحكم العقل بانه لا بد
لها من مؤثر قادر ان لم يجعل دليلا في ترك تقييد ما ذكر
في الوضع لعدم الحاجة اليه من اجل شهادة العقل
فلا اقل من ان لا يجعل دليلا في التقييد لاستواء العقل
يجمع في احيا واشاب وانبت وامثالها صدورها عن القادر

بوساطة مؤثر لا يكون موصوفا بالقدرة ومنها ان فعل
في قولهم فعل الربيع النور لو كان موضوعا لاستعماله في
القادر ومن المعلوم ان التفاوت بين الفعل ومصادره لا يكون
بالتجوز والاقتران بالزمان لكان يلزم ان يكون قولنا فعل الله
في كذا كذى وفعل الماء في كذا كذى وفعل الدواء الفلاني
كذا مجازا معلوما لكل احد لكن ادعاء ذلك غير لائق بالمعقول
ومنها ان نحو خلق واحيا واشاب وانبت لو كانت
موضوعة لاستعمالها في القادر بناء على حكم العقل بانها
لا توجد الا باختيار مختار لكان نحو شغل الحيز وقبل العرض
بان شغل الحيز وقبول العرض ومنافاة الضد ليس بالاختيار
ودعوى كونها موضوعة لذلك دعوى غير مسموعة من اهل اللسان
ويسمى هذا النوع مجازا لتعدي الحكم فيه عن مكانه الاصلي
فالحكم في انبت الربيع البقل بكون الانبات فعلا للربيع
مكانه الاصلي عند العقل كونه فعلا لله عز وعلا وفي هزم
الامير الجند بكون هزم الجند فعلا للامير مكانه الاصلي

عند العقل كونه فعلا للعسكر لا للامير ويسمى عقليا لا لغويا لعدم
رجوعه الى الوضع وكثيرا ما يسمى حكميا لتعلقه بالحكم
كما ترى ومجازا في الاثبات ايضا لتعلقه بالاثبات وليس
من واجبات هذا المجاز ان يكون مكان الحكم الاصلي
فعلا ما بنفس العقل كما في انبت الربيع البقل بل ان
استعان في علمه بذلك بامر غير الوضع كما في هزم الامير الجند
وكسا الخليفة الكعبة جاز ولم يخرجه عن كونه عقليا لكن
الاليق اطلاق اسم العقلي على الاول واسم الحكمي او
الاثباتي على الثاني واعلم ان هذا المجاز لرجوعه الى
الحكم واستدعاء الحكم محكوما به ومحكوما له واحتمال كل واحد
منهما الوضعية والمجاز الوضعي لا يزال يتردد بين اربع
صور لا مزيد عليهن اما ان يكون المحكوم به حقيقتين وضعيتين
واما ان يكونا مجازين وضعيين واما ان يكون المحكوم به
حقيقة وضعية والمحكوم له مجازا وضعيا واما بالعكس من هذا
مثال الاولى قولك انبت الربيع البقل وشفى الطبيب

المريض وكسا الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند فالمحكوم
له هو الربيع والطبيب والخليفة والامير كل منها حقيقة
وضعية مستعملة في مكانها الوضعي والمحكوم به هو
انبات البقل وشفاء المريض وكسوة الكعبة وهزم الجند
كل من ذلك حقيقة ايضا وضعية مستعملة في مكانها
الوضعي والمجاز انما في مجرد الحكم كما ترى ومثال
الثانية احيا الارض شباب الزمان وسر الكعبة البحر
الفياض المحكوم له وهو شباب الزمان والبحر الفياض
مجازان وضعيان والمحكوم به وهو احياء الارض وسرة
الكعبة مجازان ايضا وضعيان ونفس الحكم في المثالين
مجاز عقلي ومثال الثالثة انبت البقل شباب الزمان
وكسا الكعبة البحر الفياض ومثال الرابعة احيا الا
رض وسر الخليفة الكعبة واعلم ان هذا
المجاز الحكمي كثير الوقوع في كلام رب العزة قال عز وعلا
فما ربحت تجارتهم وقال واذا تليت عليهم آياته زادتهم

وقال فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا وقال تؤتي
اكلها وقال حتى تضع الحرب اوزارها وقال واخرجت
الارض اثقالها باسناد الافعال في هذه كلها الى غير ما
هي له عند العقل كما ترى فان الحكم العقلي فيها عن مكانه
الاصلي اذ مكانه الاصلي اسناد الربح الى اصحاب
التجارة والاسناد زيادة الايمان الى العلم بالآيات واسناد
ايتاء الاكل الشجرة الى خالقها واسناد وضع اوزار الحرب
الى اصحاب الحرب والاسناد اخراج اثقال الارض الى خالق
الارض ولا يختلجن في ذهنك بعد ان اتضح لك
كون المجاز فرع اصل تحقق مجاز انما كان بد من حقيقة
يكون متعديا عنها الامتناع تحقق فرع من غير اصل
فلا يجوز في نحو سرتني رؤيتك ونحو اقدمني بلدك
حق لي على فلان ونحو وصيرني هواك وفي الحيف يضرب المثل
ونحو يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا ان لا يكون
لكل من هذه الافعال فاعل في التقدير اذا انت [illegible]

الفعل اليه وجدت الحكم واقعا في مكانه الاصلي عند العقل
ولكن حكم العقل فيهما بأنه شيء ارتضى لصحة الاسناد ما
فهو داخل فاذا ارتضى في نحو سرتني رؤيتك صحة اسناد
السرور الى من ذلك رؤيته ولتاجها الكرم وهو الله عز وعلا
فقل اصل الكلام سرني الله وقت رؤيتك كما تقول
في انبت الربيع البقل اصل الحكم انبت الله البقل
وقت الربيع وفي شفى الطبيب المريض اصل الكلام شفى الله
المريض عند علاج الطبيب واذا ارتضى في اقدمني بلدك
حق لي على فلان اي قدمت لذلك كما تصرح بذلك
فتقول حملتني نفسي على الطاعة اي اطعت وحاصله
يرجع الى معنى اقدمني قدرتي على القدوم والباعث له
الخالص فالفعل في وجوده يحتاج ابدا الى فاعل ذي
داع له الخالص وتطبيق محبتك جاءت بي اليك
بلا اصل جاءت بي نفسي اليك لمحبتك اي جئتك لمحبتك
ووجد المجيء اليك من نفسي لمحبتك ولا ياك والظن

باقدمني بلدك حق لي على فلان ومحبتك جاءت بي اليك
كونهما حقيقتين فالفعلان فيهما مسندان كما ترى الى مجرد
الداعي والعقل لا يقبل الداعي فاعلا وانما يقبل مجردا كان
للفاعل اعني المتصف بالقدرة وتمام تحقيق هذا البحث
يستدعي نوعا من العلوم غير نوع علم البيان فليقتنع
بهذا القدر واذا ارتضى في وصيرني هواك وبي لحيني
يضرب المثل صحة اسناد صير الى الله على معنى
اهلكني الله ابتلاء بسبب اتباعي هواك واذا ارتضى
في يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا صحة اسناد
يزيد الى الله عز وجل على معنى يزيدك الله حسنا في وجهه
لما اودع من دقائق الحسن والجمال بكمال قدرته
متى تأملت وتأنيت فقل فاعل اقدمني ذلك وفاعل صيرني
ويزيد هذا وامثالها الحقيقيان لعقلية وتسمى حكمية
ايضا واثباتية فهي الكلام المفاد به ما عند المتكلم
من الحكم فيه كقولك انبت الله البقل وشفى الله المريض

وكما خلّع الخليفة الكعبة وهزم عسكر امير الجند
وبنى عمله الوزير القصر وانما قلت ما عند المتكلم من
الحكم فيه دون ان نقول ما في العقل من الحكم فيه ليتناول
كلام الدهري اذا قال انبت الربيع البقل رائيا انبات
البقل من الربيع وكلام الجاهل اذا قال شفى الطبيب
المريض رائيا شفاء المريض من الطبيب حيث عدّ امثالها
حقيقتين مع كونهما غير مطابقين لما في العقل من الحكم
فيهما ومن اراد تصحيح ذلك بما فيه الى ان يعني بعقل
المتكلم استتبع هنات ومن حق هذا المجاز الحكمي
ان يكون فيه للمسند اليه المذكور نوع تعلق وشبه بالمسند
اليه المتروك فانه لا يرتكب ذلك الا لمثل ما ترى للربيع
في انبت الربيع البقل من نوع شبه بالفاعل المختار
من دوران النبات معه وجودا وعدما نظرا الى عدم
النبات بدونه وتعلقه بالشتاء ووجوده مع وجوده دوران
الفعل مع اختيار القادر وجودا وعدما وكذلك ما ترى

ايضا للتداوي في شفى الدواء المريض من دوران الشفاء
مع تناوله وجودا وعدما وما ترى للخليفة في كسا الخليفة البيت
من دوران كسوة البيت مع امره وجودا وعدما فان لم يكن
هذا الشبه بين المذكور والمتروك كما في انبت الربيع
البقل وشفى الدواء المريض نسبتها الى ما تكره ولما
تسمح من علماء هذا الفن كثيرا في المجاز العقلي انه يكون
مجازا في الاثبات ربما افهم اختصاصه بالخبر فلا تخصصه
به وقلت في مثل ما اذا قلنا التي بعدك اقتنعت باليسير
من الدنيا وطبت نفسا عن زخارفها ومحوت وساوس
الفضول عن دفتر الخاطر وليس يهنئني ساغر التلافي
لما فرط فليفعل الدهر ما شاء وليختلف الفصول
اختلافها فلينبت الربيع ما احب ولتثمر الاشجار ايا
شاءت وليفعل الخريف ما ادرك فلست ابالي اي
منها شاء ولعمر باسرها من باب المجاز الحكمي واذ اتاك
المجاز العقلي وجب الكامل عنه يرجع الى ايقاع

لضرب

نسبة في غير موضعها عند المتكلم من حيث اللغة من التأ
مثل التشبيه بين الانبات والبقل والربيع في الخبر والامر
والنهي والاستفهام وبين الوزير وبناء القصر في ذلك
هذا كله تقرير للكلام في هذا الفصل بحسب راي الاصحاب
من تقسيم المجاز الى لغوي وعقلي واما الذي عندي هو
نظم هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع
استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في
التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة كما عرفت وجعل
نسبة الانبات اليه قرينة للاستعارة وبجعل الامير المدبر
لاسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم و
جعل نسبة الهزم اليه قرينة للاستعارة وانا بناء
على قولي هذا ههنا وقولي ذلك في فصل الاستعارة التبعية
وقولي في المجاز الراجع عند الاصحاب الى حكم الكلمة على ما سبق
اجعل المجاز كله لغويا وينقسم عندي هكذا الى مفيد وغير مفيد
والمفيد الى استعارة وغير استعارة والاستعارة الى مصرح

ومكني عنها والمصرح بها الى تحقيقية وتخييلية والمكني
عنها الى ما قرينتها امر مقدر وهمي كالانياب في قولك
انياب المنية وكنطقت في قولك نطقت الحال بكذا والى
امر محقق كالانبات في قولك انبت الربيع البقل وكالهزم
في قولك هزم الامير الجند والتحقيقية والتخييلية كلتاهما
الى قطعية واحتمالية للتحقيق والتخييل فتحصل اقسام
ثلثة من ذلك تحقيقية بالقطع وتخييلية بالقطع وتحقيقية
او تخييلية بالاحتمال **واعلم** ان حد الحقيقة العقلية
والمجاز العقلي عند اصحابنا رحمهم الله غير ما ذكرت
حد الحقيقة العقلية عندهم كل جملة وضعتها على
ان الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل واقع موقعه
وحد المجاز العقلي كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها عن
موضعه في العقل لضرب من التاول واذ قد عرفت ما ذكرت
وما ذكروا فاختر ايهما شئت **الفصل الثالث**
من علم البيان في الكناية الكناية هي ترك التصريح

بترك التصريح الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك
كما تقول فلان طويل النجاد لينتقل منه الى ما هو ملزومه
وهو طول القامة وكما تقول فلانة نؤوم الضحى لينتقل منه
الى ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة غير محتاجة الى السعي
بنفسها في اصلاح المهمات وذلك ان وقت الضحى وقت
سعي نساء العرب في امر المعاش وكفاية اسبابه وتحصيل
ما يحتاج اليه في تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها فلا تنام
فيه من نسائهم الا من يكون لها خدم ينوبون عنها في السعي
لذلك وتسمى هذا النوع كناية لما فيه من اخفاء وجه التصريح
ودلالة الكناية على ذلك لان ك ن ى كيفما تركبت دارت
مع تأدية معنى الخفاء من ذلك كنى عن الشيء يكني اذا لم يصرح
به ومنه الكنى وهو ابو فلان وابن فلان وام فلان
وبنت فلان سميت كنى لما فيها من اخفاء وجه التصريح
باسمائهم الاعلام ومن ذلك نكى في العدو ينكي اذا اوصل
اليه مضارا من حيث لا يشعر بها ومنه نكايات الزمان

لجوانحها الملمة على بنيه من حيث لا يشعرون ومن ذلك
الكين للحمة المستبطنة في فلهم المرأة لخفائها ومن
ذلك مقلوب الكين قلب الكلب لاخفار الناس اياه و
احترازهم ان يصرحوا بلفظه فضلا ان يرتكبوا معناه
جهارا ثم ان الكناية تتفاوت الى تعريض وتلويح ورمز
وايماء واشارة كما ساق الحديث بحسب اختلاف المقام عن
ذلك والفرق بين المجاز والكناية يظهر من وجهين
احدهما ان الكناية لا تنافي ارادة الحقيقة بلفظها
فلا يمتنع في قولك فلان طويل النجاد ان تريد طول نجاده
من غير ارتكاب تأول مع ارادة طول قامته وفي قولك
فلانة نؤوم الضحى ان تريد انها تنام ضحى لا عن تأويل
ترتكب في ذلك مع ارادة كونها مخدومة مترفهة والمجاز
ينافي ذلك فلا تصح في نحو رعينا الغيث ان تريد
معنى الغيث وفي نحو قولك في الحمام اسد ان تريد معنى
الاسد من غيرتأويل والمجاز ملزوم قرينة معاندة

لإرادة الحقيقة كما عرفت وملزوم معاند الشيء معاند
لذلك الشيء والثاني ان مبنى الكناية على الانتقال
من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من
الملزوم الى اللازم كما ستعود الى هذا المعنى عند ترجيح
الكناية على التصريح ولذا قد عرفت ان الكناية ينتقل
فيها من اللازم الى الملزوم فاعلم ان المطلوب بالكناية
لا يخرج عن اقسام ثلاثة احدها طلب نفس الموصوف وثانيها
طلب نفس الصفة وثالثها تخصيص الصفة بالموصوف
والمراد بالوصف ههنا كالجود في الجواد والكرم في الكريم
والشجاعة في الشجاع وما جرى مجراها القسم الاول
في الكناية المطلوب بها نفس الموصوف والكناية في
هذا القسم تقرب تارة وتبعد اخرى فالقريبة هي
ان تتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين
عارض فتذكرها متوصلا بها الى ذلك الموصوف
مثل ان تقول جاء المضياف وتريد به زيدا لعارض

اي المعنى القائم بالغير

لاختصاص المضياف بزيد والبعيدة هي ان تتكلف
اختصاصها بان تضم الى لازم آخر وآخر فتلفق مجموعا
وصفيا مانعا عن دخول كل ما عدا المقصود فيه مثل
ان تقول في الكناية عن الانسان حي مستوي القامة
عريض الاظفار القسم الثاني في الكناية المطلوب بها نفس
الصفة ان الكناية في هذا القسم ايضا تقرب تارة وتبعد
اخرى فالقريبة هي ان تنتقل الى مطلوبك من
لازم قريب اليه مثل ان تقول فلان طويل نجاده
او طويل النجاد متوصلا به الى طول قامته او مثل ان تقول
فلان كثير اضيافه او كثير الاضياف متوصلا به الى انه
مضياف واعلم ان بين قولنا طويل نجاده وقولنا
طويل النجاد فرقا وهو ان الاول كناية ساذجة والثاني
كناية مشتملة على تصريح فتامل واستعن في ذلك بما قلت
بالبحث عن تذكير الوصف في نحو فلانة حسن وجهها
وعن تأنيثه في نحو فلانة حسنة الوجه وباستحضار

ما تقدم لي في حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر في باب التشبيه وان هذا النوع القريب تارة
يكون واضحا كما في المثالين المذكورين وتارة خفيا كما في
قولهم عريض القفا كناية عن الابله وفي قولهم عريض الوسادة كناية
عن هذه الكناية واما البعيدة فهي ان تنتقل الى مطلوبك
من لازم بعيد بواسطة لوازم متسلسلة مثل ان تقول
كثير الرماد فتنتقل من كثرة الرماد الى كثرة الجمر ومن
كثرة الجمر الى كثرة احراق الحطب تحت القدور ومن كثرة
احراق الحطب الى كثرة الطبائخ ومن كثرة الطبائخ الى
كثرة الاكلة ومن كثرة الاكلة الى كثرة الضيفان ثم من
كثرة الضيفان الى انه مضياف فانظر بين الكناية وبين
المطلوب بها كم ترى من لوازم ومثل ان تقول جبان
الكلب او مهزول الفصيل فتنتقل الى كونه مضيافا
كما قال وما يك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل
فان جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد

لأن يعس دونها مؤذن بالهرير والنباح في وجه من
لا يعرف امر طبيعي له مركوز في جبلته مشعر باستمرار تأديب
له لامتناع تغير الطبيعة وتفاوت الجبلة بموجب لا يقوى
واستمرار تأديبه ان لا ينبح مشعر باستمرار موجب نباحه وهو
اتصال مشاهدته وجوها اثر وجوه واتصال مشاهدته
لتلك مشعر بكون ساحته مقصد اداني واقاصي وكونه
كذلك مشعر بكمال شهرة صاحب الساحة بحسن قرى
الاضياف فانظر الى جبن الكلب للمضيافية كيف
تجده بواسطة عدة لوازم وكذلك هزال الفصيل
يلزم فقد امه وفقدها مع كمال عناية العرب بالنوق لا سيما
بالمتليات لقوام اكثر مجاري احوالهم بالابل يلزم كمال
قوة الداعي الى نحرها اذ لا داعي الى نحر المتليات اقوى
من صرفها الى الطبائخ ومن صرف الطبائخ الى قرى
الاضياف فهزال الفصيل كما ترى يلزم المضيافية بعدة
وسائط ومن هذا النوع ايضا قول نصيب

لعبد العزيز على قومه ، وغيرهم منن ظاهره ،
فبابك أسهل أبوابهم ، ودارك مأهولة عامره ،
وكلبك آنس بالزائرين ، من الأم بالابنة الزائره ،
فإنه حين أراد أن يكني عن وفور إحسان عبد العزيز إلى
الأنام دل أولاً بأنه يدور القريب والبعيد جعل كلبه آنسا
بالزائرين عنده معارف فالكلب إنما يأنس بمن يعرف ودل
بمعنى كونهم معارف عنده على اتصال مشاهدته إياهم ليلا
ونهارا ودل بمعنى ذلك على لزومهم سدة عبد العزيز ودل
بمعنى لزومهم سدته على تسني مباغيهم منه لك تسنيا بالاتصال
لا ينقطع ثم دل بمعنى ذلك على ما أراد فانظر كيف لوح
مع بعد المسافة بين أنس الكلب بالزائرين وبين إحسان عبد العزيز
الوافر ، ونظيره قول نصيب مع زيادة لطف قول آخر
تراه إذا ما أبصر الضيف مقبلا ، يكلمه من حبه وهو أعجم ، ومنه قول
ابن هرمة ، لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل ،
دل بقوله لا أمتع العوذ بالفصال على أنه لا يبقي لها فصالها

فتنتفي بها من جهة استئناسها بها وحصول الفرح الطبيعي
لها في مشاهدتها إياها وما تستلذ من حركاتها لديها و
يحتمل أن يريد لا أبقي العوذ بسبب فصالها نظرا لفصالها
فتسلم عن النحر فتتمتع بالفصال من هذه الجهة ودل بمعنى أنه
ينحرها على أنه يصرفها إلى قرى الضيفان وكذا دل بقوله
قريبة الأجل على أنها لا تلبث عنده حية ودل بذلك
على أنه ينحرها ثم دل بنحرها على مقرى الضيف القسم
الثالث في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة
بالموصوف هي أيضا تتفاوت في اللطف فتارة تكون
لطيفة وأخرى ألطف وأنا أورد عليك الأمثلة منها
قول زياد الأعجم وهو لطيف ، إن السماحة والمروءة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج ، فإنه حين أراد أن لا يصرح
بتخصيص السماحة والمروءة والندى بابن الحشرج فيقول
السماحة لابن الحشرج والمروءة له والندى له فأتى
الطريق إلى تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح لكنا

الاضافة او معناها و اما الاسناد او معناه فالاضافة
كقولك سماحة ابن الحشرج او سماحته مظهرا كان المضاف
اليه او مضمرا ومعناها كقولك السماحة لابن الحشرج او
السماحة له والاسناد كقولك سمح ابن الحشرج بتقدير ضمير
ابن الحشرج في سمح العائد اليه كما هو اعني تخصيص الصفة
بالموصوف مصرح به في جميع ما تقدم من الامثلة او كما في
الوصف المكنى عنه وهو طول القامة بقولك طويل النجاد
كيف تجعله مضافا الى ضمير موصوف في قولك زيد طويل
نجاده وهو الهاء في نجاده العائد الى زيد المطلوب تخصيص
طول القامة به او مسندا الى ضمير موصوف في قولك
طويل النجاد وهو الضمير في طويل العائد الى الموصوف
او الوصف المكنى عنه وهو وفور الاحسان بانس
الكلب الزوار كيف تجعله مضافا الى ضمير موصوف وهو
عبد العزيز المخاطب المطلوب تخصيص وفور الاحسان به
او الوصف المكنى عنه وهو المضيافية بالامتناع المفرد

بالفصال والابتياع قربة الاجل كيف تجعله مسندا الى
ضمير موصوف وهو ضمير الحكاية الى لجر الى ابن هرمة
المطلوب تخصيص المضيافية به فاذا صنع جمع السماحة
والمروءة والندى في قبة تنبيها بذلك ان محلها ذو قبة
مجاورا لابد لك لاختصاصها بابن الحشرج ثم لما اراى
غرضه ما كان يتم بذلك فذي قباب في الدنيا كثيرة
جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج حتى تم غرضه
ومنها قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه
وقد يظن هذا من قبيل طويل النجاد وليس كذلك
فطويل النجاد باسناد الطويل الى النجاد تصريح باثبات
الطول للنجاد وطول النجاد كما تعرف قائم مقام طول
القامة فاذا صرح من بعد باثبات النجاد لزيد فتامل
ومنها قوله وهو الطف والمجد يدعو ان يدوم لجيده
عقد مساعي ابن العميد نظامه لنظر حين اراد
ان يثبت المجد لابن العميد لا على سبيل التصريح كذا

صنع اثبت لابن العميد مساعي يجعلها نظام عقد
ان مناط ذلك العقد هو جيد المجد فنبه بذلك على
اعتبار ابن العميد بتزيين المجد بعقد محبته ونبه بذلك
على انه ماجد ولم يقتنع بذلك حتى جعل المجد المعرف
تعريف الجنس داعيا ان يديم ذلك العقد لجيده فنبه
بذلك على طلب حقيقة المجد له لم يعتبار ابن العميد ونبه
بذلك على ان تزيينه واستعتاره بثنائه مقصوران
على ابن العميد حتى تخصيص المجد بابن العميد واكده ابلغ
تاكيد وحاصله ان الشاعر جعل المجد متزينا في المال بابن
العميد وجعل تزينه به تخصيصا له به على نحو ما يقال
تزينت الوزارة بفلان اذا حلت له ومنها قول
الشنفرى الازدي في وصف امرأة بالعفة
يبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت
فانه حين اراد ان يبين عفافها وبراءة ساحتها عن التهمة
وكمال نجاتها عن ان تلام بنوع من الجهة على سبيل الكناية

قصد الى نفس النجاة عن اللوم ثم لما رآها غير مختصة
بتلك العفيفة لوجود عفائف في الدنيا كثيرة نبه الى
بيت يحيط بها تخصيصا للنجاة عن اللوم بها فقال
يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ولم يقل يظل قصدا الى
زمان لمزيد اختصاص بالفواحش وهو الليل وقول ابي نواس
فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير
فانه اراد ان يجمع الجود لا على سبيل التصريح ويثبته
للممدوح لا على سبيل التصريح ايضا فعمد الى نفس الجود
فنفى ان يكون متوزعا يقوم منه جزء بهذا وجزء بذاك
فنكر الجود قصدا الى فرد من افراد الحقيقة ونفى ان يجوز
ممدوحه فقال فما جازه جود بالتنكير كما ترى تنبيها
بذلك على ان لو جازه لكان قائما بمحل هناك لامتناع
قيامه بنفسه ثم لمثل هذا قال ولا حل دونه كناية بذلك
عن عدم توزعه وتقسمه ثم خصصه من بين جهات تلك
الجهة بالممدوح بعد ان عرفه باللام الاستغراقية فقال

ولكن يصير الجود حيث يصير كناية عن ثبوته له ومنه قولهم مجلس فلان مظنة الجود والكرم وقد يظن ان منها قسما رابعا وهو ان يكون المطلوب بالكناية الوصف والتخصيص معا مثل ما يقال يكثر الرماد فی ساحة عمرو فی الكناية عن ان عمرا مضياف فليس كذلك اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هما كنايتان والانتقال من لازمين الى ملزومين احد اللازمين كثرة الرماد والثانی تقييدها بقوله فی ساحة عمرو واعلم ان الكناية فی القسم الثانی ای الثالث تارة تكون مسوقة لاجل الموصوف المذكور كما تقول فلان يصلی ويزكی ويتوصل بذلك الى انه مؤمن وفلان يلبس الغيار ويريد انه يهودی وكما تشك(؟) وتارة تكون مسوقة لاجل موصوف غير مذكور كما تقول فی عرض من يؤذی المؤمنين المؤمن هو الذی يصلی ويزكی ولا يؤذی اخاه المسلم وتتوصل بذلك الى نفی الايمان عن المؤذی وكقولك علمت كلمته فی غرض المنافق

هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب اذا فسر الغيب بالغيبة بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبی عليه السلام او عن جماعة المسلمين على معنى هدى للذين يؤمنون عن اخلاص لا للذين يؤمنون عن نفاق واذ قد وعيت ما القی اليك فنقول متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسبا واذا لم تكن كذلك نظر فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكنی عنه متباعدة لتوسط لوازم كما فی كثير الرماد واشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها مناسبا لان التلويح هو ان تشير الى غيرك عن بعد وان كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو عريض القفا وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسبا لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال رمزت الی مخافة من بعلها من غير ان تبدی هناك كلامها وان كانت لا مع نوع الخفاء

كقول ابي تمام أبين فما يزددن سوى كريم وحسبك ان يزدن ابا سعيد فانه في افادة ان ابا سعيد
كريم غير خاف كان اطلاق اسم الاسد مع الاشارة عليها
مناسبا وكقول البحتري
او ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول
فانه في افادة ان آل طلحة امجاد ظاهر وكقول آخر
اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكرا من الغيث في الزمن الممحل
فانه في افادة كرم بني حنبل كما ترى وكقول آخر
متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم
فانه في افادة كرم مسلمة اظهر من الجميع واما قوله
سألت الندى والجود ما لي اراكما تبدلتما ذلا بعز مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما فقالا اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

في افادة جود ابن يحيى ومجده فعلى ما ترى من الظهور
واعلم ان التعريض تارة يكون على سبيل الكناية
واخرى على سبيل المجاز فاذا قلت آذيتني فستعرف
واردت المخاطب ومع المخاطب انسانا آخر معتمدا
على قرائن الاحوال كان من القبيل الاول وان لم
ترد الا غير المخاطب كان من القبيل الثاني فتأمل وعلى
هذا فقس وفرع ان شئت فقد نبهتك واعلم ان ارباب
البلاغة واصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على ان
المجاز ابلغ من الحقيقة وان الاستعارة اقوى من التصريح
بالتشبيه وان الكناية اوقع من الافصاح بالذكر والسبب
في ان المجاز ابلغ من الحقيقة هو ما عرفت ان مبنى المجاز
على الانتقال من الملزوم الى اللازم فانت في قولك رعينا
الغيث ذاكر للملزوم النبت مريدا به لازمه بمنزلة مدعي
الشيء ببينة فان وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم
لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم لا دائما انفكاكا كليا

عنه الى كون الشيء ملزوما وما غير ملزوم باعتبار واحد فو
لذلك نعيننا الثبت مدع للشيء لا ببينة وكم بين ادعاء
الشيء ببينة وبين ادعائه لا بها والسبب في ان
الاستعارة اقوى من التصريح بالتشبيه امران احدهما ان
في التصريح بالتشبيه اعترافا بكون المشبه به اكمل من المشبه
في وجه التشبيه على ما قررت في باب التشبيه والثاني ان
في ترك التصريح بالتشبيه الى الاستعارة التي هي مجاز مخصوص
الفائدة التي سمعت في المجاز لنفسها من دعوى الشيء ببينة
والسبب في ان الكناية عن الشيء ادفع من الافصاح
بذكره نظير ما تقدم في المجاز بل عينه بيان ذلك ان
مبنى الكناية كما عرفت على الانتقال من اللازم الى ملزوم
معين ومعلوم عندك ان الانتقال من اللازم الى ملزوم
معين يعتمد مساواته اياه لكنهما عند التساوي يكونان متلازمين
فيصير الانتقال من اللازم الى الملزوم اذ ذاك بمنزلة
الانتقال من الملزوم الى اللازم فيصير حال الكناية

كحال المجاز في كون الشيء معها مدعى ببينة ومع الافصاح
بالذكر مدعى لا ببينة وبهذا الطريق ينخرط نحو امطر
السما نباتا في سلك نحو رعينا الغيث فافهم هذا
ما امكن من تقرير كلام السلف رحمهم الله في هذين
الاصلين ومن ترتيب الانواع فيهما وتذييلها بالمليق
بهما وتطبيق البعض منها بالبعض وتوفية كل من ذلك
حقه على موجب مقتضى الصناعة وبحسب ما اوردت
ذوق البصائر واني اوصيهم ان لا يفرقهم كلامي نوع استماع
دفاتهم ذلك في كلام السلف اذا تصفحوه ان لا يتخذوا
ذلك مغمزا للسلف او فضلا لي عليهم فغير مستبدع في ليال
نوع فرض ان يزل عن اصحابه كما هو الشبه بذلك النوع
في بعض الاصول والفروع او التطبيق للبعض بالبعض
متى كانوا المخترعين له وانما يستبعد عن ذلك ممن يرجى
عمره للقفا في ما امهم تلك ثم لم يقوا ان يتنبه وعلماء
هذا الفن وقليل ما هم كانوا في اختراعه والتخريج

اصوله وتمهيد قواعد مبانى احكام ابوابها وفصولها
والنظر فى تفاريعها واستقراء امثلتها اللائقة بها
وتلقطها من حيث يجب تلقطها واتعاب الخاطر فى التفتيش
والتنقير عن ملاقطها وكدّ النفس والروح فى ركوب
المسالك المتوعرة الى الظفر بها مع تشعب هذا النوع
الى شعب بعضها ادق من البعض وتفننها افانين بعضها
اغمض من بعض كما عسى ان يقرع سمعك طرف من ذلك
فلولا ما وفقت به القوة البشرية اذ ذاك ثم وقوع عند
فتورها منهم ما هو لازم وأما بعد فان خلاصة الاصل
هى ان الكلمة لا تفيد المعنى الا بالوضع او الاستلزام
بواسطة الوضع واذا استعملت فاما ان يراد معناها
فالاول هو الحقيقة فى المفرد وهى تستغنى فى الافادة
بالنفس عن الغير والثانى هو المجاز فى المفرد وانه
مفتقر الى نصب دلالة مانعة عن ارادة معنى الكلمة
والثالث هو الكناية ولا بد له من دلالة حال الحقيقة

فى المفرد والكناية تشتركان فى كونهما حقيقتين وتفترقان
فى التصريح وعدم التصريح او غير معناها فى المجاز اما
ان يقدر قائما مقام معناها بواسطة المبالغة فى التشبيه
او لا يقدر فالاول هو الاستعارة والثانى هو المجاز
المرسل والمذكور فى الاستعارة اما ان يكون هو المشبه به او
المشبه والاول هو الاستعارة بالتصريح والثانى هو
الاستعارة بالكناية وقرينتها ان يثبت للمشبه او ينسب
اليه ما هو مختص بالمشبه به والمشبه به المذكور فى
الاستعارة بالتصريح اما ان يكون مشبهه المتروك شيئا
له تحقق او شيئا لا تحقق له والاول الاستعارة التحقيقية
والثانى التخييلية والكلمة اذا اسندت فاسنادها
بحسب راى الاصحاب دون رأينا اما ان يكون على وفق
عقلك وعلمك او لا يكون والاول هو الحقيقة فى
الجملة اما ان يكون مقرونة بافادة مستلزم او لا يكون
والاولى داخلة فى الكناية والثانية داخلة فى التصريح

وإذ قد عرفنا الحقيقة في المفرد وفي الجملة وعرفنا
تنوع الكناية إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة
وعرفنا تنوع المجاز إلى مرسل مفيد وغير مفيد وإلى
استعارة مصرح بها ومكنى عنها وعرفنا ما يتصل بذلك
من التحقيقية والتخييلية والقطعية والاحتمالية ومن
الأصلية والتبعية على رأي الأصحاب دون رأينا على ما تقدم
والمجردة والمرشحة وحصل لنا العلم بتفاوت التشبيه
في باب المبالغة إلى الضعف وإلى القوة وإلى كونه تشبيهاً مرسلاً
وكونه تمثيلاً ساذجاً وكونه تمثيلاً بالاستعارة وكونه مثلاً
وقضينا الوطر عن كمال الاطلاع على هذه المقاصد
فنقول البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني
حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد
أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها ولها أعني
البلاغة طرفان أعلى وأسفل متباينان تبايناً لا يتراءى
له نارهما وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة فمن

الأسفل تبتدئ البلاغة وهو القدر الذي إذا انحط
منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه في صدر الكتاب
من أصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايد متصاعدة إلى
أن تبلغ حد الإعجاز وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه
واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه
كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة
ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا وطريق
اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين نعم للبلاغة
وجوه ملتثمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلى
عليك أما نفس وجه الإعجاز فلا وأما الفصاحة
فهي قسمان راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد
وراجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية
وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب
الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر لا مما
أحدثها المولدون ولا مما أخطأت فيه العامة ولا من

أجرى على قوانين اللغة وأن تكون سليمة عن التنافر والمراد بتعقيد
الكلام هو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك إلى
المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك إلى
أن لا تدري من أين تتوصل وبأي طريق تتحصل كقول الفرزدق
وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه
أو كقول أبي تمام ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... كاثنين ثان إذ هما في الغار
وغير المعقد هو أن يفتح صاحبه لفكرك الطريق المستوي
ويمهده وإن كان فيه معاطف نصب عليه المنار وأوقد الأنوار
حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته وتقطعه قطع الواثق
بالنجح في طيته وإذ قد وقفت على البلاغة وعلى الفصاحة
المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية
أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحة ما عسى يستتر
عنك ثم إن ساعدك الذوق أدركت منها ما قد أدرك من
تحدى بها وهي قوله علت كلمته وقيل يا أرض ابلعي
ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت

على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين والنظر في هذه الآية
من أربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما
مرجعا البلاغة أما النظر فيها من جهة علم البيان وهو
النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول
إنه عز سلطانه لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من
الأرض إلى بطنها فارتد وأن نقطع طوفان السماء فانقطع
وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض وأن نقضي أمر نوح
وهو إنجاز ما كنا وعدنا من إغراق قومه فقضي وأن نسوي
السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى
الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال
هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ
في تكوين المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وأن السماوات
والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته إيجادا
وإعداما ولمشيئته فيها تغييرا وتبديلا كأنها عقلاء مميزون
قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره

والإذعان لحكمته وتحتّم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده وتصوّروا
مزيد اقتداره فعظمت مهابته في نفوسهم وضربت سرادقها
في أفنية ضمائرهم فكما يلوح لهم إشارته كان المشار إليه
مقدّماً وكما يرد عليهم أمره كان المأمور متمثّلاً تلقّي
الإشارة بغير الإمضاء والانقياد والأمر بغير الإذعان
والامتثال ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال جلّ وعلا
قيل على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل
وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض ويا سماء ثم
قال كما ترى يا أرض ويا سماء مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة
للشبه المذكور ثم استعار لغؤور الماء في الأرض البلع الذي
هو إعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب
إلى مقرّ خفي ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيهاً
له بالغذاء لتقوّي الأرض بالماء في الإنبات للزروع و
الأشجار تقوّي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة
لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون

الماء ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المتقدم ذكره وخاطب
في الأمر ترشيحاً لاستعارة النداء ثم قال ماءك بإضافة
الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض
باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب لأجل الترشيح
ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل
الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم أمر على سبيل الاستعارة
وخاطب في الأمر قائلاً أقلعي لمثل ما تقدم في ابلعي ثم قال
وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً
لم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الأمر وسوّى السفينة
وقال بعداً كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء في صدر الآية
سلوكاً في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية أن تلك الأمور
العظام لا تتأتّى إلا من ذي قدرة لا يكتنه قهّار لا يغالب
فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلّت عظمته قائل
يا أرض ويا سماء ولا غائض ما غاض ولا قاضي مثل ذلك
الأمر الهائل أو أن يكون تسوية السفينة وإقرارها بتسوية

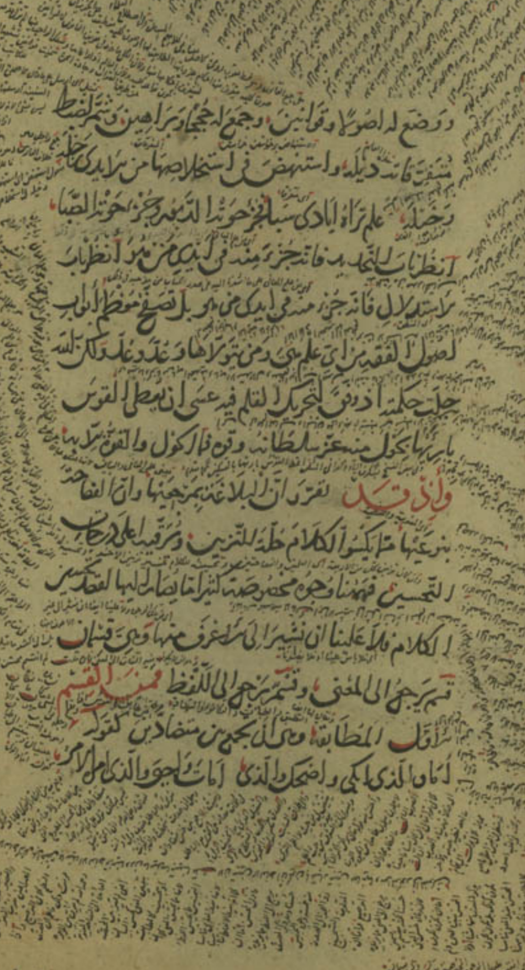
غيره واقراره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم
في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم لا غير ختم اظهار لمكان
السخط ولجهة استحقاقهم اياه وان تلك قيامة الطوفان وتلك
الصورة الهائلة ما كانت الا لظلمهم واما
النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة
فيها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا
دون سائر اخواتها لكونها اكثر في الاستعمال ولانها دالة على بعد
المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة وابداء شان
العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به
ولم يقل يا ارض بالكسر لامداد التهاون ولم يقل يا ايتها الارض
لقصد الاختصار مع الاحتراز عما في ايتها من تكلف التنبيه
غير المناسب للمقام واختير لفظ السماء لمثل ما تقدم في الارض
مع قصد المطابقة واختير لفظ ابلعي على ابتلعي لكونه
اخصر ولمجي حظ التجانس بينه وبين اقلعي اوفر وقيل
ماءك بالافراد دون الجمع لما كان في الجمع من صورة

الاستكثار المتأبي عنها مقام اظهار الكبرياء والجبروت
وهو الوجه في افراد الارض والسماء وانما لم يقل ابلعي بدون
المفعول ان لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال
والتلال والبحار وساكنات الماء باسرهن نظرا الى مقام
ورود الامر الذي هو مقام عظمة وكبرياء ثم اذ بين المراد
اختصر الكلام مع اقلعي احترازا عن الحشو المستغنى عنه
وهو الوجه في ان لم يقل قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت
ويا سماء اقلعي فاقلعت واختير غيض على غيض المشدد
لكونه اخصر وقيل الماء دون ان يقال ماء طوفان السماء وكذا
الامر دون ان يقال امر نوح وهو انجاز ما كان الله وعد نوحا
من هلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف
عن ذلك ولم يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على نحو
قيل وغيض وقضي في البناء للمفعول اعتبار البناء الفعل
للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم في موج مع
قصد الاختصار في اللفظ ثم قيل بعدا للقوم دون ان يقال

ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار وهو نزول بعداً منزلة
ليبعدوا بعداً مع فائدة أخرى وهي استعمال اللام مع بعداً الدال
على معنى أن البعد حق لهم ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع
حتى يدخل فيه ظلمهم أنفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم
في تكذيب الرسل هذا حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدم
النداء على الأمر فقيل يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي دون أن يقال
ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء جريا على مقتضى اللازم فيمن كان
مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه
في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الأرض
على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك
في القصة منزلة الأصل والأصل بالتقديم أولى ثم أتبعها قوله
وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ألا ترى
أصل الكلام قيل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ماءها ويا سماء أقلعي
عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله وغيض الماء النازل من السماء
فغاض ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الأمر

أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة
ثم أتبعه حديث السفينة وهو قوله واستوت على الجودي
ثم ختمت القصة بما ختمت هذا كله نظر في الآية من
جانبي البلاغة وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية
فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد
يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد
بل إذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها
ومعانيها تسابق ألفاظها فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق
إلى أذنك إلا ومعناها أسبق إلى قلبك وأما النظر فيها
من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة
جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة
عذبة على العذبات سلسة على الأسلات كل منها كالماء
في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ولله در
شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف
لا تسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على ما ذكرت فلعل

ما تركت أكثر ما ذكرت لأن المقصود لم يكن مجرد الإرشاد
لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان وأن لا علم في باب التفسير
بعد علم الأصول أقرأ منه على المرء لمراد الله تعالى من كلامه و
لا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته ولا أنفع في درك لطائف نكته
وأسراره ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه وهو الذي يوفي
كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التأويل
ماءه ورونقه ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيمت حقها
واستلبت ماءها ورونقها أن وقعت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم
فأخذوا بها مآخذ مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة
وهم لا يدرون ولا يدرون أنهم لا يدرون فتلك الآي من أخذهم
في عولة ومن محاملهم على ويل طويل وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا ثم مع ما لهذا العلم من الشرف الظاهر والفضل
الباهر لا ترى علما لقي من الضيم ما لقي ولا مني من سوء
الحظ بما مني أين الذي مهد له القواعد ورتب له شواهد
وبين له حدودا يرجع إليها وعين له رسوما يعرج عليها



ووضع له أصولا وقوانين وجمع له حججا وبراهين وشمر لضبط
متفرقاته ذيله واستنهض في استخلاصها من أيدي الضياع خيله
ورجله علم تراه أيادي سبا فجزء حوته الدهر وجزء حوته الصبا
أنظار التحديد فانه جزء منه في أيدي من هو أنظار
الاستدلال فانه جزء منه في أيدي من هو بل تصفح معظم أبواب
أصول الفقه من أي علم هي ومن يتولاها وعدد على ذلك الله
جلت حكمته أذن لتحريك القلم فيه عسى أن نعطي القوس
باريها ونخول منعز سلطانه وقوة فارس الكول والقوس بارئها
وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة
بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات
التحسين فههنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين
الكلام فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها وهي قسمان
قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ فمن القسم
الأول المطابقة وهي أن تجمع بين متضادين كقوله
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

وقوله علت كلمته قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء وقوله
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله وتحسبهم ايقاظا وهم
رقود ومنه المقابلة وهي ان تجمع بين شيئين متوافقين
او اكثر وبين ضديهما ثم اذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك
ضده كقوله عز وعلا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى لما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق
جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد ذلك وهي المنع و
الاستغناء والتكذيب ومنه المشاكلة وهي ان يذكر
الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله
قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا
وقوله عز وعلا صبغة الله وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله ومكروا ومكر الله وقوله تعلم
ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله بل يداه مبسوطتان

وقوله وجزاء سيئة سيئة ومنه مراعاة النظير وهي
عبارة عن الجمع بين المتشابهات كقوله
وحرف كنون تحت راء ولم يكن بدال يؤم الرسم غيره النقط
ومنه المزاوجة وهي ان تزاوج بين معنيين في الشرط
والجزاء كقوله اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج
ومنه اللف والنشر وهو ان تلف بين شيئين
في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد ومتعلق
بالآخر من غير تعيين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى ما هو له
كقوله عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومنه الجمع وهو ان
يدخل شيئين فصاعدا في نوع واحد كقوله
ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة
وقوله عز وعلا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ومنه
التفريق وهو ان تقصد الى شيئين من نوع فتوقع بينهما تباينا
كقوله ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الامير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

ومنه التقسيم وهو أن تذكر شيئا ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله

أديبان في بلخ لا يأكلان إذا صحبا المرء غير الكبد
فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الوتد

ومنه الجمع مع التفريق وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد وتفرق جهتي الإدخال كقوله

قد اسود كالمسك صدغا وقد طاب كالمسك خلقا

فإنه شبه الصدغ والخلق بالمسك ثم فرق بين وجهي المشابهة كما ترى ومنه الجمع مع التقسيم وهو أن تجمع أمور كثيرة تحت حكم ثم تقسم أو تقسم ثم تجمع فالأول كقول المتنبي

الدهر معتذر والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فإنه جمع في البيت الأول أرض العدو وما فيها في كونها خالصة للممدوح ثم قسم في الثاني ومثال الثاني قول حسان

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فإنه قسم في البيت الأول حيث ذكر ضرهم للأعداء ونفعهم للأولياء ثم جمع في الثاني فقال سجية تلك ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم كما إذا قلت

فكالنار ضوءا وكالنار حرا محيا حبيبي وحرقة بالي
فذلك من ضوئه في اختيال وهذا الحرقة في اشتعال

وكأن يلحق بهذا القبيل قوله عز سلطانه يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار الآية وأما الذين سعدوا ففي الجنة الآية ومنه الإيهام وهو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر لإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد كقوله

حملناهم طرا على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم تقييد الأعداء فأوهم أركابهم الخيل الدهم كما ترى وقوله سبحانه الرحمن على العرش

استوى وقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه واكثر المتشابهات من هذا القبيل
ومنه تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله
هو البدر الا انه البحر زاخرا سوى انه الضرغام لكنه الوبل
ومنه التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين
كقول من قال للاعور ليت عينيه سواء والمتشابهات
من القرآن مدخل في هذا النوع باعتبار ومنه سوق
المعلوم مساق غيره ويلقب بتجاهل العارف كقوله
ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف
وقوله سبحانه وتعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين ومنه الاعتراض ويسمى الحشو وهو ان يدرج
في الكلام ما يتم المعنى بدونه كما قال طرفة
فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي
فادرج غير مفسدها وكما قال النابغة
لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلا علي الاكارع

فادرج ولعمري علي بهين وكما قال ابن المعتز
ان يحيى لا زال يحيى صديقي وخليلي من دون هذا الانام
فادرج لا زال يحيى وكما قال عز قائلا فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اعتراض وكما قال فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقوله وانه لقسم لو تعلمون
عظيم اعتراض وقوله لو تعلمون اعتراض في اعتراض ومنه
الاستتباع وهو المدح بشيء على وجه يستتبع مدحا آخر كقوله
نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد
الا تراه كيف مدحه بكمال الشجاعة وجلال القدر من وجه آخر
ويوضح لك ما ذكرت اذا قسته الى قوله نهبت من الاعمار
ما لو جمعت لك لبقيت مخلدا ومنه الالتفات وقد سبق ذكره
في علم المعاني ومنه تقليل اللفاظ وتعليلها مثل
يا وهيا وناض وغيض اذا صادفا الموقع وتفرع
عليهما الايجاز في الكلام والاطناب فيه وقد سبقا في الذكر
ومن القسم الثاني التجنيس وهو تشابه الكلمتين

في اللفظ والمعتبر منه في باب الاستحسان عدة انواع احدها
التجنيس التام وهو ان لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ كقولك
بحت جنة وثانيها التجنيس الناقص وهو ان يختلفا
الهيئة دون الصورة كقولك البُرد يمنع البَرد البدعة
شَرَك الشِّرك وكقولك الجهول اما مفرِط او مفرِّط والمشدد
في هذا الباب يقام مقام المخفف نظرا الى الصورة فاعلم
وثالثها التجنيس المذيل وهو ان يختلفا بزيادة حرف
كقولك مالي كمالي وجدي جهدي وكاس كاسب ورابعها
التجنيس المضارع او المطرف وهو ان يختلفا بحرف او حرفين
مع تقارب المخرج كقولك في الحرف الواحد دامس وطامس
وحصب وحصب وكتم وكتب وفي الحرفين كقولهم ما خصصتني
وانا اختصصتني وخامسها التجنيس اللاحق وهو ان يختلفا
لا مع التقارب كقولك سعيد بعيد وكاسب كاذب
ونابذ عابث والمختلفان في اللاحق اذا اتفقا كتبة
كقولك عابث عائث يسمى تجنيس التصحيف والمتجانسان

اذا وردا على نحو قولهم من طلب وجد وجد او قولهم من قرع
بابا ولج ولج او على نحو المؤمنون هينون لينون وجنبك
من سيار بنيار او على نحو قولهم النبيذ بغير النغم غم وبغير
الدسم سم يسمى ذلك مزدوجا ومكررا ومرددا وههنا نوع
آخر يسمى تجنيسا مشوشا وهو مثل قولك بلاغة وبراعة
واذا وقع احد المتجانسين في التام مركبا ولم يكن متخالفين في الخط
كقوله اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة
يسمى متشابها وان كان متخالفين في الخط كقوله
كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا
يسمى مفروقا ومما يلحق بالتجنيس نظير قوله عز اسمه قال
اني لعملكم من القالين وقوله وجنى الجنتين وكثيرا ما يلحق
بالتجنيس الكلمتان الراجعتان الى اصل واحد في الاشتقاق
مثل ما في قوله عز اسمه فاقم وجهك للدين القيم وقوله
فروح وريحان ومن جهات الحسن رد العجز على الصدر
وهو ان يكون احدى الكلمتين المتكررتين او المتجانستين

اما الملحقين بالتجانس في آخر البيت والاخرى قبلها في
احد المواضع الخمسة من البيت وهي صدر المصراع الاول
وحشوه وآخره وصدر المصراع الثاني وحشوه كما اذا قلت

مشتهر في علمه وحلمه ... وزهده وعهده مشتهر
في علمه مشتهر وحلمه ... وزهده وعهده مشتهر
في علمه وحلمه مشتهر ... وزهده وعهده مشتهر
في علمه وحلمه وزهده ... مشتهر وعهده مشتهر

ويستحسن في هذا النوع ان لا يزجر العذر والعجز الى
التكرار ومن جهات الحسن القلب كقولك حسامه
فتح لاوليائه حتف لاعدائه وانه يسمى مقلوب الكل وكقوله
اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وانه يسمى مقلوب البعض
واذا وقع احد المقلوبين في اول البيت والثاني
في آخره يسمى مقلوبا مجنحا واذا وقع قلب الكل في كلمتين او اكثر
شعرا وغير شعر كقولك كيل مليك وحان اذ انا ح وقوله
اس ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا يسمى مقلوبا مستويا

ومن جهات الحسن الاسجاع وهي في النثر كالقوافي
في الشعر ومن جهاتها الفواصل القرآنية والكلام في
ذلك ظاهر ومن جهات الحسن الترصيع وهو ان تكون
الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز او متقاربتها
كقوله عز اسمه ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم
وقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله عز وعلا
وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم
واصل الحسن في جميع ذلك ان تكون الالفاظ توابع للمعاني
لا ان تكون المعاني لها توابع اعني ان لا تكون متكلفة ويورد
الاصحاب ههنا انواعا مثل كون الحروف منقوطة او
غير منقوطة او البعض منقوطا والبعض غير منقوط
بالسوية فلك ان تستخرج من هذا القبيل ما شئت و
تلقب كلا من ذلك بما احببت واذ قد تحققت ان
علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام
ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها الى توفية مقامات

الكلام حقها بحسب ما تفي به قوة ذكائك وعندك علم
ان مقام الاستدلال بالنسبة الى سائر مقامات الكلام
جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها علمت
ان تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها
مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان وحين انتصبنا
لافادته لزمنا ان لا ننقص شيئا هو من جملته وان نستمد
لله تعالى التوفيق في تكملته ولله الحمد اولا وآخرا
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله الموفق
للصواب

